الشيخ خالد الجندي

من علماء الأزهر الشريف

ربِّ ارحمهما

برّ الوالدين والدعاء لهما

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية عابدين القاهرة

ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ
إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ
أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا
وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ
ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾

(الإسراء:٢٣-٢٤)

أمي . . أبي
أبي . . أمي
ثنائية منحوتة على جدارية القلب

خالد الجندي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

بقلم فضيلة الشيخ خالد الجندي

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على خير المُرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهدْيه إلى يوم الدِّين ، وبعد :

فإنَّ الله تعالى قد أمر بالإحسان للوالدين ؛ فقال تعالى بعد الأمر بعبادته وحده : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا** ﴾ (الإسراء : ٢٣-٢٤) .

والإحسان للوالدين يتضمن كل عمل مِن أعمال البرِّ ، مع البعد عن كل ما يؤذيهما ، وذلك مِن الشكر لهما ، قال الله تعالى : ﴿ **أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ** ﴾ (لقمان : ١٤) ، فلتكن أيها القارئ شاكرًا لله

ولوالديك بأن تطيعهما وتخدمهما ؛ لأنهما بذلا مِن أجلك النَّفس والنفيس والصحة والراحة .

أيها القارئ الكريم : إنَّ برَّ الوالدين يُعتبَر مِن أحب الأعمال إلى الله وأفضلها بعد الصلاة ، فقد سُئل النبي ﷺ « أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ : الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا ، قيل : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ؛ فقيل : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »(١) . فبر الوالدين مقدم حتى على الجهاد في سبيل الله ، مما يدل على عظيم حقِّ الوالدين ؛ ليعرف المسلمون فضل والديهم ، وفي الحديث الشريف « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ ، فَقَالَ : أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ »(٢) .

والكتاب الذي بين أيدينا ينقسم إلى خمسة مباحث متنوعة ، بالإضافة إلى ملحق في نهاية الكتاب :

المبحث الأول : برُّ الوالدين في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : برُّ الوالدين في السنة النبوية الشريفة .

المبحث الثالث : فضائل بر الوالدين .

المبحث الرابع : الآداب التي تُراعىَ مع الوالدين .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري .

المبحث الخامس : عقوق الوالدين .

الملاحق :

ملحق (١) الدعاء للوالدين .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لخدمة دينه ، وأن يجعلنا هُداة مُرشدين ، وأسأل الله العفو الغفور أن يتقبل هذا الجهد المتواضع خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم العَرض عليه ، والله مِن وراء القصد ، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومِن سار على نهجه إلى يوم الدِّين .

وبعد : فلا زالت كلمات العماد الأصفهاني أسمع صداها في أذني : « إني رأيتُ أنَّه لا يكتب أحد كتابًا في يومه إلا قال في غده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العِبَر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

والله الموفق والمستعان

خالد الجندي

تمهيد

جعل الله تعالى برَّ الوالدين مِن أعظم القربات ، وجعل عقوقهما من أعظم الكبائر ، ففي الحديث الشريف قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاَثًا ، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا ، فَقَالَ : أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ ، قَالَ : فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ »(١) .

فبر الوالدين قربةٌ مُنجيةٌ مِن عذاب الله ، وعقوقُ الوالدين كبيرةٌ عدلت بالشِّرك ، وقرن الله تعالى برهما بعبادته في ثلاثة مواضع من القرآن ، قال تعالى : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا** ﴾ (الإسراء:٢٣) ، وقال تعالى : ﴿ **أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ** ﴾ (لقمان:١٤) ، وقال تعالى : ﴿ **وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا** ﴾ (النساء:٣٦) .

ولقد أتى بِرُّ الوالدين في المرتبة الثانية بعد الصلاة في محبة الله تعالى ، ففي الحديث الشريف الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « سَأَلْتُ النَّبِىَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ : الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا ، قَلَت : ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ : ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ، قَلت : ثُمَّ أَىٌّ؟ قَالَ : الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »(٢) .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري .

يقول الشيخ عبد الله الجار الله : « إنَّ بـرَّ الوالـدين وصـلة الأرحـام والإحسان إليهم مِـن أهـم المهمـات ، وأوجـب الواجبـات ، وأعظـم القربات ، ومِن أفضل الأعمـال الصـالحات ؛ لأنَّ في ذلـك طاعـة لله ولرسوله ، وأداء لحقِّ الوالدين والأقارب الذي هو مِن آكـد الحقـوق بعد حقِّ الله تعالى وحقِّ رسوله ﷺ . ولأنَّ الله أمـر بـبرهم وصـلتهم والإحسان إليهم ووعد على ذلك جزيل الأجر والثواب ، ونهـى عـن قطيعتهم والإساءة إليهم ، وتوعد على ذلك أليم العذاب »(١) .

فبرُّ الوالدين أمانة ، ثم هو مكيال إذا وفيته وفّى الله تعالى لك في أولادك ، وإذا أنقصته أنقص الله عليـك مِـن أولادك ، فـالبرُّ دَيـنٌ ؛ كما تريد أن يكون أبناؤك كن لأبويـك ، بـل الأبنـاء يزيـدون ، فـإن كنت بارًّا فأولادك أبرُّ ، وإن كنت عاقًّا جاء أبناؤك أعقُّ ، قال رسـول الله ﷺ : « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم »(٢) .

وقال الشـيخ يحـيى الزهـراني : « فحقُّ الوالـديـن علـى الأبنـاء لا يستطيع أن يحصيه إنسان ، فهما سبب وجود الأبناء والبنـات بعـد الله عز وجل ، ولن يستطيع الأبناء أن يحصـوا مـا لاقـاه الأبـوان مِـن تعبٍ ونَصَبٍ وأذىً ، وسهرٍ وقيامٍ ، وقلـة راحـةٍ وعـدم اطمئنـانٍ مِـن أجل راحة الأبناء والبنات وفي سبيل رعايتهم ، والعناية بهـم ، فسـهر

(١) تذكرة شباب الإسلام ببر الوالدين وصلة الأرحام ، ص ٣ عبـد الله بـن جـار الله الجار الله .

(٢) رواه الحاكم .

بالليل ، ونَصَب بالنهار ، ورعاية واهتمام بالتنظيف في كل وقت وحين ، وحماية مِن الحرِّ والبرد والمرض ، وتعهد وتفقد لحالة الأبناء مِن جوع وشبع ، وعطش وروى ، وتحسس لما يؤلمهم فهما يقومان بالعناية بالابن أشد عناية ، فيراقبان تحركاته وسكناته ، ومشيه وجلوسه ، وضحكه وعبوسه ، وصحته ومرضه ، يفرحان لفرحه ، ويحزنان لحزنه ، ويمرضان لمرضه »(١) .

• مفهوم بر الوالدين :

(بـرُّ الوالدين) مركَّبٌ إضافي مكون من أمرين : المضاف والمضاف إليه ، ولتعريفه لابدَّ من تعريف جزأيه ، ف (الْبِرُّ) : الصَّلاَحُ . وقيل : البِرُّ : الخَيْرُ .

قال ابن منظور : « ولا أَعلم تفسيراً أَجمع منه لأَنه يحيط بجميع ما قالوا »(٢) .

وقال أبو هلال العسكري : « البِرُّ : هو النفع الجليل . . . ويجوز أن يُقال : البِرُّ : سعة النفع »(٣).

---

(١) حق الوالدين على الأبناء ، ص ٢ يحيى بن موسى الزهراني، المملكة العربية السعودية .

(٢) لسان العرب ، ٤/٥١ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

(٣) معجم الفروق اللغوية ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مهران بن أحمد البغدادي أبو هلال العسكري ، ص ٢١٣ .

وقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ : البِرُّ خَيْرُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، فَخَيْرُ الدُّنْيَا مَا يُيَسِّرُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْعَبْدِ مِنَ الْهُدَى وَالنِّعْمَةِ وَالْخَيْرَاتِ ، وَخَيْرُ الآخِرَةِ الفَوْزُ بِالنَّعِيمِ الدَّائِمِ فِي الْجَنَّةِ ، جَمَعَ اللهُ لَنَا بَيْنَهُمَا بِكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ(١) .

والبرُّ : ضدُّ العقوق .

وقال ابن الأثير : البِرُّ بالكسر الإحسان ، ومنه الحديث في برِّ الوالدين ، وهو في حقهما وحقِّ الأقربين مِن الأهل ضد العقوق ، وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقهم(٢) .

و(الوالدين) هما الأب والأم ، وَيشمل لفظ (الأبوين) الأجداد والجَدَّات .

وإذ انتهينا مِن تعريف جزأي المركب الإضافي ، فإنَّه يمكن في ضوء ذلك أن نُعرِّفَ (برَّ الوالدين) بأنَّه الإحسان إليهما بالقلب والقول والفعل تقربًا إلى الله تعالى .

ويمكننا القول : إنَّ برَّ الوالدين معناه طاعتهما وإظهار الحب والاحترام لهما ، ومساعدتها بكل وسيلة ممكنة بالجهد والمال ،

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، ١٥١/١٠ أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٢٩٤/١ أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

والحـديث معهمـا بكـل أدب وتقـدير ، والإنصـات إليهمـا عنـدما يتحدثان ، وعدم التضجر وإظهار الضيق منهما .

• نوعا البر :

والْبِرُّ نَوْعَانِ : صِلَةٌ ، وَمَعْرُوفٌ .

فَأَمَّا الصِّلَةُ : فَهِيَ التَّبَرُّعُ بِبَذْلِ الْمَالِ فِي الْجِهَاتِ الْمَحْدُودَةِ لِغَيْر عِوَضٍ مَطْلُوبٍ ، وَهَذَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ سَمَاحَةُ النَّفْسِ وَسَخَاؤُهَا ، وَيَمْنَعُ مِنْهُ شُحُّهَا وَإِبَاؤُهَا ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ .

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْبِرِّ فَهُوَ : الْمَعْرُوفُ ، وَيَتَنَوَّعُ أَيْضًا نَوْعَيْنِ : قَوْلاً وَعَمَلاً . فَأَمَّا الْقَوْلُ : فَهُوَ طِيبُ الْكَلاَمِ وَحُسْنُ الْبِشْرِ ، وَالتَّـوَدُّدُ بِجَمِيلِ الْقَوْلِ ، وَهَذَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ حُسْنُ الخُلُقِ ، وَرِقَّةُ الطَّبْعِ ، وَيَجِـبُ أَنْ يَكُونَ مَحْدُودًا كَالسَّخَاءِ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ أَسْرَفَ فِيهِ كَانَ مَلَقًـا مَـذْمُومًا ، وَإِنْ تَوَسَّطَ وَاقْتَصَدَ فِيهِ كَانَ مَعْرُوفًا وَبِرًّا مَحْمُودًا .

وَأَمَّا الْعَمَلُ : فَهُوَ بَـذْلُ الجَـاهِ وَالْمُسَـاعَدَةُ بِـالنَّفْسِ وَالْمَعُونَـةُ فِـي النَّائِبَةِ ، وَهَذَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ حُبُّ الخَيْـرِ لِلنَّـاسِ وَإِيثَـارُ الصَّـلاَحِ لَهُـمْ ، وَلَيْسَ فِي هَذِهِ الأُمُورِ سَرَفٌ وَلاَ لِغَايَتِهَا حَـدٌّ بِخِـلاَفِ النَّـوْعِ الأَوَّلِ ؛

لأَنَّهَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَهِيَ أَفْعَالُ خَيْرٍ تَعُودُ بِنَفْعَيْنِ : نَفْعٌ عَلَى فَاعِلِهَا فِـي اكْتِسَابِ الأَجْرِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ ، وَنَفْعٌ عَلَى الْمُعَانِ بِهَـا فِـي التَّخْفِيـفِ عَنْهُ وَالْمُسَاعَدَةِ لَهُ »(١) .

ومن الواجب على كل مسلم أن يكون باراًّ بوالديه وإن كانا غير مسلمين ، ويجب طاعتهما في غير معصية الله تعالى ، وليصاحبهما في الدنيا بالمعروف ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ (لقمان:١٥) .

* * *

---

(١) أدب الدنيا والدين ٢٢٥ : ٢٤٨ بتصرف ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، تحقيق : مصطفى السقا، بيروت ، ١٩٧٨م .

المبحث الأول

برُّ الوالدين في القرآن الكريم

بِرُّ الوالدين واجب شرعي مِن أجل تلبية حاجاتهما المُلحة ، وخاصة في سنِّ الشيخوخة ؛ فهما يحتاجان إلى المحبة والعون والنفقة والاحترام والتقدير .

ولقد جاءت آيات القرآن الكريم متعاقبة تضع مرضاة الوالدين بعد مرضاة الله تعالى ، وتُعدُّ الإحسانَ إليهما فضيلةً تلي فضيلة الإيمان بالله ، لما لهذا الحق مِن التعظيم والإجلال والاحترام ، فقال تعالى : ﴿ **وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا** ﴾ (النساء:٣٦) .

فالآية الكريمة تحض على رعاية الوالدين والعناية بهما ؛ لأنَّ الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع المسلم ، وهي الدعامة المتينة في بناء المجتمعات الإسلامية ، والوالدان هما الركن الأساسي في استقرار الأسرة المتوازنة .

قال الإمام الشوكاني : « وقد دلَّ ذِكر الإحسان إلى الوالدين بعد الأمر بعبادة الله ، والنهي عن الإشراك به على عظم حقهما »[١] .

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ١٤١/٢ محمد ابن علي بن محمد الشوكاني .

قال الإمام البقاعي : « وكفى دلالة على تعظيم أمرهما جعل برهما قرين الأمر بتوحيده سبحانه »(١) .

وقال الدكتور محمد سيد طنطاوي : « أي عليكم أن تخلصوا لله العبادة ولا تشركوا معه شيئًا ، وعليكم كذلك أن تحسنوا إلى الوالدين بأن تطيعوهما وتكرموهما وتستجيبوا لمطالبهما التي يرضاها الله ، والتي في استطاعتكم أداؤها . وقد جاء الأمر بالإحسان إلى الوالدين عقب الأمر بتوحيد الله ؛ لأنَّ أحقَّ الناس بالاحترام والطاعة بعد الله عز وجل هما الوالدان ؛ لأنهما هما السبب المباشر في وجود الإنسان »(٢) .

إنها وصية ربانية بالوالدين ، فالإحسان إليهما جاء في القرآن كثيرًا متنوعًا ، وها هو تقديم الجار والمجرور في ذكر الوالدين وتأخير الإحسان لإظهار الاختصاص والقصر ، وإطلاق لفظ الإحسان مُنكرًا ومُنونًا ليكون عامًا شاملاً ؛ ليكون إحسانًا في القول والفعل ، وقسمات الوجه ، ونظرات العين ، ولمسات اليدين ، وكل حركة وسكنة ، وفي كل وقت وآن ، وفي كل ظرف وحال ؛ لأنَّه إحسان مطلق ، وإحسان يكون في كل أحوالهما ، وفي كلِّ أحوال أولادهما كذلك .

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ٢/٢٥٥ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

(٢) التفسير الوسيط ص ٩٣٩ ، دكتور محمد سيد طنطاوي .

وقال تعالى مؤكدًا على وجوب الإحسان للوالدين : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الأنعام:١٥١) .

قال الإمام الخازن : « أي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين إحسانًا ، وإنما ثنَّى بالوصية بالإحسان إلى الوالدين لأنَّ أعظم النعم على الإنسان نعمة الله ؛ لأنَّه هو الذي أخرجه مِن العدم إلى الوجود وخلقه وأوجده بعد أن لم يكن شيئًا ، ثم بعد نعمة الله الوالدين لأنهما السبب في وجود الإنسان ، ولما لهما عليه مِن حقِّ التربية والشفقة والحفظ مِن المهالك في حال صغره »(١) .

وقال الشيخ الشعرواي : « وسبحانه يأمر هنا بتأكيد الإحسان إلى الوالدين ؛ فهو أمر بإيجاب ويستلزم نهيا عن مقابله وهو عقوق الوالدين ، أي لا تعقوهم . فعدم الإحسان إلى الوالدين يدخل فيما حرَّم الله »(٢) .

ويأتي الأمر الرباني مرة أخرى ليؤكد على الإحسان إليهما بالقول والعمل ، وأن يحافظ على ذلك ، ولا يعقهما ويسيء إليهما في قوله وعمله ، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾ (العنكبوت:٨).

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، ٤٨٠/٢ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

(٢) تفسير الشعراوي ، ص٢٧٧٢ الشيخ محمد متولي الشعراوي ، دار أخبار اليوم ، القاهرة .

فبرُّ الوالدين لا يقتصر على الوالد المسلم أو الأم المسلمة ، بل الابن مطالب ببرهما حتى وإن كانا كافرين ، وليس هذا فحسب ، بل وإن جاهداه ليشرك بالله فعليه واجب برهما مِن غير طاعة لهما في الشِّرك .

قال الإمام علي بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ :

وأطع أبـــاك بكـــل مـــا أوصـــى بـــه

إنَّ المطيـــــع أبـــــاه لا يتضعضـــــعُ[1]

فالذي فرض طاعة الوالدين هو الله تعالى ، فإذا أراد أحد الأبـوين استغلال هذا الفرض في غير مـا أمـر سـبحانه ، فـإنَّ الله تعـالى أذن للمسـلم وطالبـه بعـدم الطَّاعـة ، وفي ذلـك إحسـان لهمـا ، وتنبيـه للرجوع إلى أمر الله تعالى ، فـإن أصـرَّا علـى المعصـية أو الكفـر ، فيبقى الابن مُحسنًا لهما في غير المعصية ، وهذا خُلُق إسلامي رفيع في الإحسان إليهمـا ، ومصـاحبتهما بمعـروف رغـم انحرافهمـا عـن الشَّريعة ، ولكن دون أن يمسا العقيدة بأي طعنٍ لا طاعـة للوالـدين فيه ، مع إبلاغهما شرع الله تعالى برفق ولين وحِكمة .

قال ابن كثير : « وإن حَرَصا عليك أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين ، فإياك وإياهما ، لا تطعهما في ذلك ، فإنَّ مرجعكم إلي يوم القيامة ، فأجزيك بإحسانك إليهما ، وصبرك على دينك ، وأحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك ، وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا ، فإنَّ المرء إنما يحشر يوم القيامة مع مَنْ

---

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، ص ١٠٢ .

أحب ، أي حبًّا دينيًّا ؛ ولهذا قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ »(١) .

والآية الشريفة نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص ، وقد حلفت أمّه عليه وأقسمت ألاَّ تأكل طعامًا حتى يرجع عن دين محمد ﷺ .

روى الإمام الواحدي قال : « حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لاَ تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ ، وَلاَ تَأْكُلَ وَلاَ تَشْرَبَ ، قَالَتْ : زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ ، وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا ، قَالَ : مَكَثَتْ ثَلاَثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ : عُمَارَةُ ، فَسَقَاهَا ، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗا ﴾ ، ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي ﴾ وَفِيهَا ﴿ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾ »(٢) .

ثم نبَّه القرآن الكريم على ذكر السبب الموجب لذلك الإحسان ، فذكر ما تحملته الأم مِن ولدها ، وما قاسته مِن المكاره وقت حملها ، ثم مشقة ولادتها ، ثم مشقة الرضاع وخدمة الحضانة ، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ

(١) تفسير القرآن العظيم ، ٢٦٥/٦ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(٢) أسباب النزول ، ص ٢٣٠ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأحقاف: ١٥) .

ويوضح الشيخ الشعراوي الفرق بين التعبير القرآني ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا** ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا** ﴾ حيث يقول : « وفَرْق بين المعنيين : ﴿ **حُسْنًا** ﴾ أي أوصيك بأنْ تعملَ لهم الحُسْن ذاته ، كما تقول : فلان عادل ، وفلان عَدْل ، فوصَّى بالحسْن ذاته . أما في ﴿ **إِحْسَٰنًا** ﴾ فوصية بالإحسان إليهما .

لكن ، لماذا وصَّى هنا بالحُسْن ذاته ، ووصَّى هناك بالإحسان؟

قالوا : وصَّى بالحُسن ذاته في الآية التي تذكر اللدد الإيماني ، حيث قال : ﴿ **وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ** ﴾ ، والكفر يستوجب العداوة والقطيعة ، ويدعو إلى الخصومة ، فأكَّد على ضرورة تقديم الحسن إليهما لا مجرد الإحسان ؛ لأنَّ الأمر يحتاج إلى قوة تكليف .

أما حين لا يكون منهما كفر ، فيكفي في برِّهما الإحسان إليهما ؛ لذلك يقول سبحانه : ﴿ **وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ .

والحقُّ سبحانه حين يُوصي بالوالدين ، وهما السبب المباشر في الوجود إنما ليجعلهما وسيلة إيضاح لأصل الوجود ، فكما أوصاك

بسبب وجودك المباشر وهما الوالدان ، فكذلك ومن باب أَوْلى يوصيك بمَنْ وهب لك أصل هذا الوجود .

فكأن الحقَّ سبحانه يُؤنِس عباده بهذه الوصية ، ويلفت أنظارهم إلى ما يجب عليهم نحو واهب الوجود الأصلي وما يستحقه من العبادة ومِن الطَّاعة ؛ لأنَّه سبحانه الخالق الحقيقي ، أما الوالدان فهما وجود سببي .

هذا إيناس بالإيمان بيَّنه تعالى في قوله ﴿ **وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا** ﴾ لأنهما سبب الوجود الجزئي ، والله تعالى سبب الوجود الكلي .

وهذا أيضًا مِن المواضع التي وقف عندها المستشرقون ، يبغُونَ فيها مَطْعنًا ، ويظنون بها تعارضًا بين آيات القرآن في قوله تعالى ﴿ **وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ ، وفي موضع آخر ﴿ **لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ** ﴾ .

وهذا التعارض لا يوجد إلا في عقول هؤلاء ؛ لأنهم لا يفهمون لغة القرآن ، ولا يفرقون بين الودِّ والمعروف ، الودّ : مَيْل القلب ، وينشأ عن هذا الميل فِعْل الخير فيمن تميل إليه ، أمّا المعروف فتصنعه مع مَنْ تحب ومَنْ لا تحب ، فهو استبقاء حياة .

وهنا يقول سبحانه : ﴿ **وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ يعني تذكَّر هذا الحُكم ، فسوف أسألك عنه يوم القيامة ، ففي موضع آخر ﴿ **وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ .

فكُفْر الوالدين لا يعني السماحَ لك بإهانتهما أو إهمالهما ، فاحذر ذلك ؛ لأنك ستُسأل عنه أمام الله : أصنعتَ معهما المعروف أم لا؟

وحيثيات الوصية بالوالدين الأب والأم ذُكرت في الآية الأخرى ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا** ﴾ ، نلحظ أنَّ الحيثيات كلها للأم ، ولم يذكر حيثية واحدة للأب إلا في قوله تعالى ﴿ **وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾ وهذه تكون في الآخرة .

قالوا : ذِكْر الحيثيات كلها للأم ؛ لأنَّ متاعب الأم كانت حال الصِّغَر ، والطَفل ليس لديه الوعي الذي يعرف به فَضْل أمه وتحمُّلها المشاق مِن أجله ، وحين يكبر وتتكوَّن لديه الإدراكات يجد أنَّ الأب هو الذي يقضي له كل ما يحتاج إليه . إذن فحيثيات الأب معلومة مشاهدة ، أمّا حيثيات الأم فتحتاج إلى بيان »[١] .

---

(١) تفسير الشعراوي، ص ٦٩٥٢ .

ولله در القائل(١) :

لأُمِّــك حَــقٌّ لَــوْ عَلِمْــت كَـبِيرُ
كَــثِيرُك يَــا هَــذَا لَدَيْــهِ يَسِــيرُ
فَكَمْ لَيْلَــةٍ بَاتَــتْ بِثِقَلِــك تَشْــتَكِي
لَهَــا مِــنْ جوَاهَــا أَنَّــةٌ وَزَفِــيرُ
وَفِي الْوَضْعِ لَوْ تَدْرِي عَلَيْهَــا مَشَــقَّةٌ
فَمِنْ غُصَــصٍ مِنْهَــا الْفُــؤَادُ يَطِــيرُ
وَكَمْ غَسَلَتْ عَنْــك الْأَذَى بِيَمِينِهَــا
وَمَــا حِجْرُهَــا إلاَّ لَــدَيْك سَــرِيرُ
وَتَفْــدِيك مِمَّــا تَشْــتَكِيه بِنَفسِــهَا
وَمِنْ ثَــدْيِهَا شُــرْبٌ لَــدَيْك نَمِــيرُ
وَكَمْ مَرَّةٍ جَاعَــتْ وَأَعْطَتْــك قُوتَهَــا
حُنُــوًّا وَإِشْــفَاقًا وَأَنْــتَ صَــغِيرُ
فَآهًــا لِــذِي عَقْــلٍ وَيَتْبَــعُ الْهَــوَى
وَآهًا لأَعْمَــى الْقَلْــبِ وَهُــوَ بَصِــيرُ
فَدُونَك فَارْغَبْ فِــي عَمِــيمِ دُعَائِهَــا
فَأَنْــتَ لِمَــا تَــدْعُو إلَيْــهِ فَقِــيرُ

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ٢/٤٠٣، ٤٠٤ شهاب الدين أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي .

ومما لا شكَّ في أنَّ الأم تعاني في أثناء حملها ووضعها لوليدها الكثير مِن المشاق والآلام والمتاعب ، فكان مِن الوفاء أن يقابل ذلك منها بالإِحسان والإِكرام .

قال ابن الجوزي : « فقد تحملت الأم بحمله أثقالاً كثيرة ، ولقيت وقت وضعه مزعجات مثيرة ، وبالغت في تربيته ، وسهرت في مداراته ، وأعرضت عن جميع شهواتها ، وقدمته على نفسها في كل حال »(١) .

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى في آية أخرى ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ** ﴾ (لقمان:١٤) . فأي حقٍّ أعظم مِن حقٍّ يأتي تاليًا مباشرة لحقِّ الله سبحانه وتعالى؟

يقول أسعد حومد : « إِنَّ الله تعالى أمر الإنسانَ بِبِرِّ والدَيهِ وطَاعَتِهِما ، وَبِالقِيامِ بِمَا يَتَوجَّبُ عَليهِ نَحْوَهُما ، وَذَكَّرَ اللهُ تَعالى الإِنسانَ بصُورَةٍ خَاصَّةٍ بما تَحَمَّلَتْهُ أُمَّهُ مِنَ العَنَاءِ والجَهْدِ والمَشَقَّةِ في حَمْلِهِ وَولاَدَتِهِ ، وإِرْضَاعِهِ وتَربِيتَهِ ، فَقَدْ حَمَلَتْهُ في جَهْدٍ ﴿ **وَهْنٍ** ﴾ يَتَزَايدُ بِتَزَايُدِ ثِقَلِ الحَمْلِ ، ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ فِي عَامَين كَامِلَين ، وهِيَ تُقَاسِي مِنْ ذَلِكَ ما تُقَاسِي مِنَ المَشَاقِّ . ثُمَّ أَمرَ اللهُ تَعالى الإِنسَانَ

---

(١) بر الوالدين ، ص١ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي .

بِشُكْرِهِ تَعَالى عَلَى نِعَمِهِ عَلَيهِ ، وبِشُكْرِ وَالِدَيهِ لأَنَّهُمَا كَانَا سَبَبَ وُجُودِهِ ، ثُمَّ نَبَّهَ اللهُ الإنسانَ إلى أَنَّهُ سَيَرجِعُ إلى اللهِ فَيُجَازِيهِ عَلَى عَمَلِهِ إنْ خَيْرًا فَخَيْرًا ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا »[1] .

قال ابن عباس : « ثلاث لازمات لثلاث ، وقرن بينهما فقال : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ ، فلا تتم طاعة الله إلا بطاعة الرسول ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ، فلا تتم إقامة الصلاة إلا بإيتاء الزكاة ، وقال في شأن الله ـ عز وجل ـ : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ ، فلا يتم شكر الله إلا بشكر الوالدين » .

يقول الشيخ الشعراوي : « والذي يتأمل الآيتين السابقتين يجد أنَّ الحقَّ سبحانه ذكر العِلّة في بِرِّ الوالدين ، والحيثيات التي استوجبت هذا البِرِّ ، لكنها خاصة بالأم ، ولم تتحدث أبدًا عن فضل الأب ، فقال : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ فأين دَوْر الأب؟ وأين مجهوداته طوال سنين تربية الأبناء؟

المتتبع لآيات بر الوالدين يجد حيثية مُجْملة ذكرت دور الأب والأم معًا في قوله تعالى ﴿ كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ .

لكن قبل أن يُربّي الأب ، وقبل أن يبدأ دوره كان للأم الدور الأكبر ؛ لذلك حينما تخاصم الأب والأم لدى القاضي على ولد لهما ، قالت الأم : لقد حمله خِفًّا وحملتُه ثقلاً ، ووضعه شهوة ووضعتُه كرهًا .

---

(١) أيسر التفاسير، ص ٣٣٦٤ أسعد حومد .

لذلك ذكر القرآن الحيثيات الخاصة بالأم ؛ لأنها تحملتها وحدها لم يشاركها فيها الزوج ؛ ولأنها حيثيات سابقة لإدراك الابن فلم يشعر بها ، فكأنه سبحانه وتعالى أراد أنْ يُذكِّرنا بفضل الأم الذي لم ندركه ولم نُحِسّ به . وذلك على خلاف دور الأب فهو محسوس ومعروف للابن ؛ فأبوه الذي يوفر له كل ما يحتاج إليه ، وكلما طلب شيئًا قالوا : حينما يأتي أبوك ، فدَوْر الأب إذن معلوم لا يحتاج إلى بيان»(١) .

فالأب ذلك الرجل الذي يكد ويتعب ، ويجد ويلهث ، ويروح ويغدو مِن أجل راحة ابنه وسعادته ، فالابن لا يحب بعد أمه إلا أباه الذي إذا دخل لعب معه ومرح ، وإن خرج تعلق به ، وبكى من أجله وصرخ ، وإذا غاب سأل عنه وانتظره بكل شوق وحب ، فإذا رضي الوالد أعطى ولده ما يريد ، وإذا غضب أدبه بالآداب الشرعية ، أدبه بالمعروف مِن غير عنف ولا إحراج .

ويستمر القرآن الكريم في تصوير مكانة الوالدين ، وبيان الأسلوب الذي ينبغي للمسلم أن يتبعه في معاملة والديه ، إن قدر لهما أو لأحدهما أن يصل إلى مرحلة الشيخوخة والضعف والعجز فيقول سبحانه : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا**

---

(١) تفسير الشعراوي ، ص ٥١٥٢ .

تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤) .

وقد خصَّ الله حالة الكِبر للوالدين بمزيد مِن الأمر بالإحسان ، والبرِّ ، واللطف ، والشفقة والرحمة ؛ لأَنَّها الحالة التي يحتاجان فيها إلى برِّه ؛ لتغير الحال عليهما بالضعف ، والكبر ، فألزم سبحانه وتعالى في هذه الحالة مِن مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه مِن قبل ؛ لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلاًّ عليه ، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه ؛ ولهذا خصَّ هذه الحالة بالذكر .

ولا عجب أنَّ رسول ﷺ تعوَّذ منها فكان يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ »(١) ، وفي رواية أخرى قال ﷺ : « وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ »(٢) . وأرذل العمر هو أخسّه وأدونه وآخره الذي تضعف فيه القوى ، وتفسد فيه الحواس ، ويختل فيه النطق والفكر ، ويحصل فيه قلة العلم وسوء الحفظ والخرف ، وخصّه الله بالرذيلة لأنَّه حالة لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد .

قال الإمام الشوكاني : « خصَّ سبحانه حالة الكبر بالذكر ، لكونها إلى البرِّ مِن الولد أحوج مِن غيرها »(٣) .

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه البخاري .

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٢٩٦/٤ .

وقال الشيخ الشعراوي : « والآية هنا أوصتْ بالوالدين في حال الكِبَر ، فلماذا خَصَّتْ هذه الحال دون غيرها؟

قالوا : لأنَّ الوالدين حال شبابهما وقُوتهما ليسا مظنّة الإهانة والإهمال ، ولا مجال للتأفف والتضجُّر منهما ، فهما في حال القوة والقدرة على مواجهة الحياة ، بل العكس هو الصحيح نرى الأولاد في هذه الحال يتقربون للآباء ، ويتمنون رضاهما ، لينالوا من خيرهما . لكن حالة الكِبَر ، ومظهر الشيخوخة هو مظهر الإعالة والحاجة والضعف ، فبعد أنْ كان مُعْطيًا أصبح آخذًا ، وبعد أنْ كان عائلاً أصبح عالة ، فخصَّ الحقُّ سبحانه حال الكِبَر لأَنَّه حال الحاجة وحال الضعف ، وصدق الحقُّ سبحانه حين قال : ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً** ﴾ .

والمتأمل في قوله تعالى ﴿ **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ** ﴾ لم تَأتِ صِفَة الكِبَر على إطلاقها ، بل قيّدها بقوله ﴿ **عِندَكَ** ﴾ فالمعنى : ليس لهما أحد غَيرك يرعاهما ، لا أخ ولا أخت ولا قريب يقوم بهذه المهمة ، وما دام لم يَعُدْ لهما غيرك فلتكُنْ على مستوى المسئولية ، ولا تتنصَّل منها ؛ لأنك أَوْلى الناس بها »[١] .

---

(١) تفسير الشعراوي ، ص ٥١٥٣ .

فكبر السن له جلال ، وضعف الكبر له إيحاؤه ، وأول مرتبة مِن مراتب الرعاية والأدب مع الوالدين ، ألاَّ يصدر مِن الولد ما يدل على الضجر والضيق ، حتى هذه الكلمة اليسيرة التي تعبر عن الزجر لا تقلها ، أو لا تقل أي عبارة تدل على الاستقذار والاحتقار ، فأخذ الله علينا ألا نؤذي الآباء ولا الأمهات بأقل القليل ولا بكلمة (أف) ، ﴿ **وَلَا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ فلا يزجرهما بكلام ، ولا ننفض اليد في وجوههما بأي طريقة تؤذي ، ﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾ فلا تسمِ وتقل : يا فلان ، ولا تغلظ عليهما بالقول فضلاً عن السب والشتم ، وإنما تناديهم بالقول اللطيف .

ويتجلى ذلك بأن تتبع معهما أمورًا خمسة :

أولاً : ألا تتأفف مِن شيء تراه أو تشمه مِن أحدهما أو منهما مما يتأذى به الناس ، ولكن اصبر على ذلك منهما ، واحتسب الأجر عليه مِن الله كما صبرا عليك في صغرك ، واحذر الضجر والملل والغضب .

ثانيًا : ألا تنغص ولا تكدر عليهما بكلام تزجرهما به .

ثالثًا : أن تقول لهما قولاً حسنًا لينًا مقرونًا بالاحترام والتعظيم مما يقتضيه حُسن الأدب ، ولا ترفع صوتك أمامهما ، ولا تحدق فيهما بنظرك ، بل يكون نظرك إليهما نظر لطف وعطف وتواضع ، وقد قال تعالى : ﴿ **وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ** ﴾ .

رابعًا : أن تدعو الله أن يرحمهما برحمته الواسعة جزاء رحمتهما لك ، وجميل شفقتهما عليك .

خامسًا : أن تتواضع لهما وتتذلل ، وتطيعهما فيما أمراك به ما لم يكن معصية لله ، وتشتاق وترتاح إلى بذل ما يطلبان منك ، رحمة منك بهما وشفقة عليهما .

وفي قوله تعالى ﴿ **وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ** ﴾ نكتة بلاغية . يقول عبد الرحمن حنبكة : « في هذا المثال تشبيه التَّذَلُّلِ لِلْوَالِدَيْنِ بتذّلل الطائر حين يخفض جناحَيْهِ أو جناحَه مُنْكَسِرًا لفراخِهِ أو لزوجه أو لغيرهما ، ولكِنْ أُضْمِر التشبيه ، فلم يُذْكَرْ لفظ المشبّه به ، وإنّما كُنِّيَ عَنْه بشيءٍ مِن صفاته وهو الجناح ، وأضيف هذا المكنَّى به إلى المشبَّه ، وهذا على ما يظهر هو مِن التشبيه البليغ المكنّى فيه عن المشبَّه به ببعض صفاته .

ومعنى الجملة على هذا التحليل : ليكُنْ ذُلُّكَ لوالِدَيكَ كطائرٍ يخفض جناحه تذلُّلاً مِن الرَّحْمَة ، فَحُذِفَتْ أوّلاً أداة التشبيه فصار تشبيهًا بليغًا ، ثمّ حُذِفَ لفظ المشبّه به ، ورُمِزَ إليه بشيء مِن صفاته وهو الجناحُ الذي يُسْتَعْمَلُ خفضُه للدلالة به على التذلُّل والرَّحْمَة ، فصار تشبيهًا مَكْنِيًّا . وناسَبَ هذا التشبيهَ استعمالُ فِعل « الْخَفْض » في عبارة ﴿ **وَٱخْفِضْ لَهُمَا** ﴾ وظَاهرٌ أنَّ هذا الْخَفْضَ يَشْتَرِكُ فيه

المشبَّهُ والمشبَّهُ به ، فالطائر يخفض جناحه ، والإِنسان يخفض جانبه الجسدي ، ويخفض جانبه النفسيّ »(١) .

وبـرُّ الوالدين لا يقتصر على الـوالـد المسلم أو الأم المسلـمة ، بل الابن مطالب ببرهما حتى وإن كانا كافرين ، وليس هذا فحسب ، بل وإن جاهداه ليشرك بالله فعليه واجب برهما مِن غير طاعة لهما في الشرك ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ (لقمان:١٥).

يقول الشيخ الشعراوي : « فمعنى ﴿ **وَإِن جَٰهَدَاكَ** ﴾ لا تعني مجرد كلمة عَرَضَا فيها عليك أن تشرك بالله ، إنما حدث منهما مجهود ومحاولات لجذبك إلى مجاراتها في الشِّرك بالله ، فإن حدث منهما ذلك فنصيحتي لك ﴿ **فَلَا تُطِعْهُمَا** ﴾ ، ثم إياك أنْ تتخذ مِن كفرهما ودعوتهما لك إلى الكفر سببًا في اللدد معهما ، أو قطع الرحم ، فحتى مع الكفر يكون لهما حق عليك ﴿ **وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ ، ثم إنهما كفرا بي أنا ، وأنا الذي أوصيك بهما معروفًا »(٢) .

فهل رأيت قدرًا أعظم ومكانة أرفع مِن أن يكون إنسان على غـير

---

(١) البلاغـة العربيـة أسسـها وعلومهـا وفنونهـا ، ص ٦٢٢ عبـد الـرحمن حنبكـة الميداني ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

(٢) تفسير الشعراوي ، ص ٧٢٧١ .

الإيمان والتوحيد ، ويأمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالإحسان إليه ، ومصاحبته بالمعروف .

والبرُّ بالوالدين مِن صفات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (مريم:١٣-١٤)، فنبي الله يحيى عليه السلام كان بارًّا بوالديه مُطيعًا لهما ، ولم يكن مُتكبرًا عن طاعة ربه ، ولا عن طاعة والديه ، ولا عاصيًا لربه ، ولا لوالديه .

قال الإمام الطبري : « وكان بـرًّا بوالديه ، مسارعًا في طاعتهما ومحبتهما ، غير عاقٍّ بهما ، ولم يكن مستكبرًا عن طاعة ربه وطاعة والديه ، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعًا متذللاً يأتمر لما أمر به ، وينتهي عما نُهِي عنه ، لا يَعْصِي ربه ، ولا والديه »(١) .

وقال الشيخ الشعراوي : « فرغم أنَّ يحيى ـ عليه السلام ـ جاء أبويْه في حال كِبَرهما وضعفهما ، ولم يجد منهما الحنان الكافي والتربية المناسبة ، ولم يشعر معهما بالأُبوة الكاملة ، فكان دورهما في حياته ثانويًا ، وجمائلهم عليه باهتة متواضعة ، مع هذا كله كان بارًا بهما حانيًا عليهما .

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ، ١٨/١٦٠ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط. ١، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .

وقال عنه أيضًا : ﴿ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ ، وصفة الجبروت وصفة العصيان لا يُتصوَّران مِن الولد على والديه ، إلا حين يرى مِن أبيه شرودًا عنه وانصرافًا عن رعايته ، وحين يرى مِن أمه انشغالاً عن تربيته ، فهي تاركة له غير مُراعية لحقِّه .

لذلك نرى صوراً مِن هذا الجبروت ومِن هذا العصيان ، ونسمع مَنْ يقسو على أمه وعلى أبيه ؛ لأنَّه لم يجد منهما العطف والحنان والرعاية ، فتقعطتْ بينهما أواصر الأبوة . ويبدو أن « زكريا » حكى لولده ما حدث ، وقصَّ عليه قِصّته ، فتفهَّم الولد دور والديه ونفى عنهما أيّ تقصير ، فكان بهما بارًّا رحيمًا ، ولهما طائعًا متواضعًا »(١) .

وقال تعالى على لسان عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (مريم:٣٢) .

قال الرازي : « ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ إشارة إلى تنزيه أمه عن الزنا ، إذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأمورًا بتعظيمها »(٢) .

ويطرح الشيخ الشعراوي سؤالاً مهمًا حيث يقول : « لِمَ ذكر والدته هنا؟ ولِمَ حرص على تقرير بِرِّه بها؟ قالوا : لأنَّ البعض قد

---

(١) تفسير الشعراوي ، ص ٥٥١٦ .

(٢) مفاتيح الغيب ، ٣٠٢/١٠ فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط.١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م .

يظن أنَّ عيسى ـ عليه السلام ـ حينما يكبر ويعرف قصة خَلْقه ، وأنَّ أمه أَتَتْ به مِن غير أب ، ودون أنْ يمسسْها بشر قد تترك هذه المسألة ظلالاً في نفسه وتُساوِره الشكوك في أمه ، فأراد أنْ يقطع كل هذه الظنون ؛ ذلك لأَنَّه هو نفسه الدليل ، وهو نفسه الشاهد على براءة أمه ، والدليل لا يُشكِّك في المدلول ، فكأنه يقول للقوم : إياكم أنْ تظنوا أني سأتجرأ على أمي ، أو يخطر ببالي خاطر سوء نحوها »[١].

*   *   *

(١) تفسير الشعراوي ، ص ٥٥٣٩ .

المبحث الثاني

برُّ الوالدين في السنة النبوية

إنَّ المتأمل في السنة النبوية يجد فيها زادًا وفيرًا لمن أراد برَّ والديه ؛ إذ يعتبر الإسلام أنَّ الإحسان إلى الوالدين مِن الأعمال الجليلة التي لا يضاهيها عمل إلا الفرائض المكتوبة . فعن عبد الله ابن مسعود قال : « سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا ، قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ : ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ، قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ : الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »[(١)] .

وبرُّ الوالدين له كبير الأثر في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا نجد رسول الله ﷺ يحدد معالم هذا البرّ وأثره في حياة الفرد المسلم ، الذي إذا صلح أدى ذلك إلى صلاح المجتمع ، ويبين أنَّ هذا البرَّ حقٌّ واجب على الإنسان ، وليس نفلاً يتبرع به ، وإدراك الأبوين المُسنَّيْن أو أحدهما نعمةً مِن الله تعالى على الابن البار ؛ لأنَّ جزاء البرِّ هو الجنة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

---

(١) رواه البخاري .

قَالَ : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ »[١] ، أي لم يقم ببرهما بما يدخله الجنة ؛ لأنَّه فرَّط وقصَّر ، أو عق وجحد ، وتكرار العبارة هنا لزيادة التنفير والتحذير .

فبرُّ الوالدين والإحسان إليهما مِن آكد الطاعات ، فعن عبد الله ابن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ ، فَقَالَ : أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ »[٢] .

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال : « قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أُجَاهِدُ ، قَالَ : لَكَ أَبَوَانِ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ »[٣] .

قال الإمام الصنعاني : « سُمِّي إتعاب النفس في القيام بمصالح الأبوين وإزعاجها في طلب ما يرضيهما وبذل المال في قضاء حوائجهما جهاداً من باب المشاكلة ، لما استأذنه في الجهاد من باب قوله تعالى ﴿ **وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** ﴾ ، ويحتمل أن يكون استعارة بعلاقة الضدية ؛ لأنَّ الجهاد فيه إنزال الضرر بالأعداء ، واستعمل في إنزال النفع بالوالدين ، وفي الحديث دليل على أنَّه يسقط فرض الجهاد مع وجود الأبوين أو أحدهما »[٤] .

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه البخاري . (٣) رواه البخاري .

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام ، ٤/٤٢ محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط. ٤ ، ١٣٧٩هـ ، ١٩٦٠م .

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: «أَتَى النَّبِـىَّ ﷺ رَجُلٌ يُبَايِعُهُ عَلَى الْهِجْرَةِ وَغَلَّظَ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا جِئْتُكَ حَتَّى أَبْكَيْتُهمَا ـ يَعْنِى وَالِدَيْهِ ـ، قَالَ: ارْجِعْ فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا»(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: «أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، قَالَ: فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ بَلْ كِلاَهُمَا، قَالَ: فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»(٢).

قال ابن علان: «أسقط الشارع عنه وجوب الهجرة تقديمًا لحقِّ أبويه، فإنَّ الهجرة إن كانت واجبة عليه فقد عارضها ما هو أوجب منها وهو حق الوالدين، وإن لم تكن واجبة فالواجب أولى، لكن هذا إنما يصح ممن يسلم له دينه في موضعهما، أما لو خاف على دينه وجب عليه الفرار به وترك آبائه وأبنائه كما فعل المهاجرون الذين هم صفوة الله من العباد، وفي الحديث تقديم البرّ للوالدين على الجهاد»(٣).

---

(١) رواه أحمد. (٢) رواه مسلم.
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢/٤٦٤ محمد علي بن محمد ابن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «هَاجَرَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَجَرْتَ الشِّرْكَ وَلَكِنَّهُ الْجِهَادُ، هَلْ بِالْيَمَنِ أَبَوَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَذِنَا لَكَ؟ قَالَ: لاَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ارْجِعْ إِلَى أَبَوَيْكَ فَاسْتَأْذِنْهُمَا فَإِنْ فَعَلاَ وَإِلاَّ فَبِرَّهُمَا»(١)؛ أي بعدم الخروج للجهاد وطاعتهما.

فبرُّ الوالدين نعمة لا تُعوَّض؛ لأنهما مِن أسباب دخول الجنة، كما أنَّ برهما مُقدمٌ شرعًا على كل الطاعات حتى الجهاد في سبيل الله. يقول الدكتور سعيد القحطاني: «برُّ الوالدين مِن أهم المهمات، وأعظم القربات، وأجلِّ الطاعات، وأوجب الواجبات، وعقوقهما مِن أكبر الكبائر، وأقبح الجرائم، وأبشع المهلكات»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»(٣). أي يخلصه مِن الرقِّ؛ لأنَّ الرقيق كمعدوم لاستحقاق غيره منافعه، فبتسببه في عتقه المُخلص له مِن ذلك كأنه أوجده، كما كان الأب سببًا في إيجاده.

---

(١) رواه أحمد.

(٢) بر الوالدين: مفهوم، وفضائل، وآداب، وأحكام في ضوء الكتاب والسنة، ص ٨ دكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

(٣) رواه مسلم.

وقَدَّر الإسلام ما تعانيه الأم في الحمل والولادة والرضاعة والتربية ، ونظر إلى عاطفتها تجاه أبنائها . يقول الشيخ يحيى الزهراني : « فالأم حملت وليدها تسعة أشهر في الغالب تعاني به في تلك الأشهر ما تعاني مِن آلام ومرض ووهن وثقل ، فإذا آن وقت المخاض والولادة شاهدت الموت ، وقاست مِن الآلام ما الله به عليم ، فتارة تموت ، وتارة تنجو ، وياليت الألم والتعب ينتهي بالوضع لكان الأمر سهلاً يسيرًا ، ولكن يكثر التعب والنصب ويشتد بعده ، فحملته كرهًا ووضعته كرهًا .

فتذبل الأم وتضعف لمرض وليديها وفلذة كبدها وتغيب بسمتها إن غابت ضحكته ، وتذرف دموعها إذا اشتد به المرض والوعك ، وتحرم نفسها الطعام والشراب ، إن صام طفلها عن لبنها ، بل وتلقي بنفسها في النار لتنقذ وليدها ، وتتحمل مِن الذل والشقاء أمثال الجبال كي يحيا ويسعد وتموت راضية إذا اشتد عوده وصلب ، ولو كان ذلك على حساب صحتها وقوتها وسعادتها .

ترى الحياة نورًا عندما ترى طفلها ووليدها وفلذة كبدها مع الصبيان يلعب ، أو إلى المدرسة يذهب ، وهي تعيش اللحظات الحاسمة في حياته عندما تنتظر تفوقه ونجاحه ، وتخرجه وزواجه »(١) .

---

(١) حق الوالدين على الأبناء ، ص ٢، ٣ .

ولله در القائل(١) :

الأُمُّ مَدْرَسَـــــــةٌ إِذَا أَعْـــــــدَدْتَهَا

أَعْـــدَدْتَ شَـــعْبا طَيِّـــبَ الأَعْـــرَاقِ

الأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّـــــــدَهُ الحَيَــــــا

بِـــــالرِّيِّ أَوْرَقَ أَيَّمَــــــا إِيْــــرَاقِ

الأُمُّ أُسْـــــــتَاذُ الأَسَــــــاتذَةِ الأُلى

شَـــغَلَتْ مَـــآثِرُهُمْ مَـــدَى الآفَـــاقِ

ولقد دعا الرسول ﷺ إلى البرِّ بها ثلاثًا ، فعـن أبـي هريـرة رضي الله عنه قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ : أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : ثُمَّ أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَـنْ؟ قَالَ : ثُمَّ أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : ثُمَّ أَبُوكَ »(٢) ، والتكرار هنا يفيد المبالغة في تأكيد حقِّ الأم .

قال ابن بطـال : « في هـذا الحـديث دليـل أنَّ محبـة الأم والشـفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاث أمثال محبة الأب ؛ لأنَّـه ـ عليه السلام ـ كرر الأم ثلاث مرات ، وذكر الأب في المرة الرابعة فقط ، وإذا تؤمل هذا المعنـى شـهد لـه العيـان ، وذلـك أنَّ صـعوبة الحمـل وصـعوبة

---

(١) القائل : شاعر النيل حافظ إبراهيم .

(٢) رواه البخاري .

الوضع وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الأم ، وتشقى بها دون الأب ، فهذه ثلاثة منازل يخلو منها الأب»[١] .

قال المعري[٢] :

العيشُ ماضٍ فأكرِمْ والدَيكَ بهِ
والأُمُّ أوْلى بإكرامٍ وإحسانِ
وحَسبُها الحملُ والإرضاعُ تُدْمنهُ
أمرانِ بالفَضْلِ نالا كلَّ إنسانِ
واخشَ الملوكَ وياسرْها بطاعَتِها
فالمَلْكُ للأرضِ مثلُ الماطرِ السّاني
إن يظلِموا ، فلهمْ نَفعٌ يُعاشُ به
وكم حَمَوكَ برَجْلٍ أوْ بفُرْسانِ
وهل خلتْ قبلُ من جورٍ ومَظلمةٍ
أربابُ فارسَ ، أو أربابُ غَسّانِ
خيلٌ إذا سُوّمتْ سامتْ وماحُبستْ
إلاّ بلُجمٍ تُعَنّيها وأرسانِ

(١) شرح صحيح البخاري ، ١٨٩/٩ أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال البكري القرطبي ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط.٢ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .
(٢) ديوان أبي العلاء المعري ، ص ١٤١٣ .

وقال علي بن نايف : « وقد يقول قائل : أنا في غنى أن أتخذ صاحبًا وصديقًا؟ فالجواب : إذا أنت استغنيت فلا بأس ، ولكن الوالدين لا يستغنيان عن صحبتك ، ومحادثتك ، ومشاورتك ، وسماع رأيك في كثير من القضايا التي تستجد في حياتهما وحياة إخوتك . وأنت لا يمكن أن تستغني عنهما وعن مشورتهما في أمور الحياة ، فلهما تجربة سابقة ، وهما حريصان على نصحك وإرشادك أكثر مِن حرصهما على أنفسهما »(١) .

وعن المقداد بن معدٍّ يكرب الكندي عن النبي ﷺ « إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ »(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَجُلٌ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ : أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أَبُوكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ »(٣) .

قال الإمام النووي : « يُستحَبُ أن تُقدِّمَ في البرِّ الأم ، ثم الأب ، ثم الأولاد ، ثم الأجداد والجدات ، ثم الأخوة والأخوات ، ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام كالأعمام والعمات والأخوال والخالات ،

---

(١) الخلاصة في أحكام بر الوالدين ، ص ٦٩ علي بن نايف الشحود ، دار المعمور ، ماليزيا ، ط.١، ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م .
(٢) رواه أحمد .
(٣) رواه مسلم .

ويقدم الأقـرب فـالأقرب ، ويقـدم مـن أدلى بـأبوين علـى مـن أدلى بأحدهما ، ثم بذي الـرحم غـير المحـرم كـابن العـم وبنتـه ، وأولاد الأخوال والخالات وغيرهم ، ثم بالمصاهرة ، ثم بالمولى من أعلـى وأسفل ، ثم الجار ، ويقدم القريب البعيـد الدار على الجار ، وكــذا لو كان القريب في بلـد آخـر قـدم علـى الجـار الأجـنبي ، وألحقـوا الزوج والزوجة بالمحارم »(١) .

وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبَـرُّ؟ قَالَ : أُمَّكَ ، قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : أُمَّكَ ، قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ مَـنْ؟ قَالَ : أُمَّـكَ ، قَـالَ : قُلْـتُ : ثُـمَّ مَـنْ؟ قَـالَ : ثُـمَّ أَبَـاكَ ، ثُـمَّ الأَقْـرَبَ فَالأَقْرَبَ »(٢) ، ومعنى ذلك أنَّـه يبـدأ بالوالـدين ، والأم مقدمـة علـى الوالد ، وبعد ذلك الأقرب فالأقرب .

وعن مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَـةَ السُّلَمِيِّ قَـالَ : « أَتَيْـتُ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِى بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ ، قَالَ : وَيْحَـكَ أَحَيَّـةٌ أُمُّـكَ؟ قُلْـتُ : نَعَـمْ ، قَـالَ : ارْجِعْ فَبَرَّهَا ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْجَانِبِ الآخَرِ فَقُلْتُ : يَا رَسُـولَ اللَّـهِ إِنِّـي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِى بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ ، قَالَ :

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ١٠٣/١٦ أبو زكريا يحيى بن شرف ابن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط. ٢ ، ١٣٩٢هـ .
(٢) رواه الترمذي .

وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا ، ثُمَّ أَتَيْتُه مِنْ أَمَامِهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ ، قَالَ : وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : وَيْحَكَ الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ »[(١)] .

قال الإمام الصنعاني : « وظاهره سواء كان الجهاد فرض عين أو فرض كفاية وسواء تضرر الأبوان بخروجه أو لا . وذهب الجماهير من العلماء إلى أَنَّه يحرم الجهاد على الولد إذا منعه الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين ؛ لأنَّ برهما فرض عين والجهاد فرض كفاية ، فإذا تعين الجهاد فلا .

فإن قيل : برُّ الوالدين فرض عين أيضًا ، والجهاد عند تعينه فرض عين فهما مستويان فما وجه تقديم الجهاد؟

قلت : لأنَّ مصلحته أعم إذ هي لحفظ الدين والدفاع عن المسلمين ، فمصلحته عامة مقدمة على غيرها ، وهو يقدم على مصلحة حفظ البدن ، وفيه دلالة على عظم برِّ الوالدين فإنَّه أفضل مِن الجهاد ، وأنَّ المستشار يشير بالنصيحة المحضة ، وأَنَّه ينبغي له أن يستفصل مِن مستشيره ليدله على ما هو الأفضل »[(٢)].

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام، ٤/٤٢ .

وقال ابن بطال : « وهذا إنما يكون في وقت قوة الإسلام وغلبه أهله للعدو ، وإذا كان الجهاد مِن فروض الكفاية ، فأما إذا قوي أهل الشِّرك وضعف المسلمون فالجهاد مُتعين على كل نفس ، ولا يجوز التخلف عنه وإن منع منه الأبوان .

وقال ابن المنذر : في هذا الحديث أنَّ النهى عن الخروج بغير إذن الأبوين ما لم يقع النفير ، فإذا وقع وجب الخروج على الجميع »[1] .

إنَّ أعظم صحبة للإنسان هي صحبة الوالدين ، وهى صحبة يرضي بها الإنسان ربه ويرجو بها حسن الثواب في الآخرة ، ومعنى الصحبة أن يحاول الإنسان أن يرد الجميل لوالديه ، ويعمل على رعايتهما ، وبخاصة إذا كبرا في السِّن واحتاجا إلى العون والرعاية .

وبرَّ الوالدين لا يقتصر على الوالدين المسلمين ، بل الابن مطالب ببرهما حتى وإن كانا كافرين ، وليس هذا فحسب ، بل وإن جاهداه ليشرك بالله فعليه واجب برهما مِن غير طاعة لهما في الشرك ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ (لقمان:١٥) .

وسبب نزول الآية ما ذكره الإمام الواحدي قال : « حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لاَ تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ ، وَلاَ تَأْكُلَ وَلاَ تَشْرَبَ ، قَالَتْ :

---

(١) شرح صحيح البخاري ، ١٩١/٩ أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال البكري القرطبي .

زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ ، وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا ، قَالَ : مَكَثَتْ ثَلاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ : عُمَارَةُ ، فَسَقَاهَا ، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا** ﴾ ، ﴿ **وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى** ﴾ وَفِيهَا ﴿ **وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾»(١) . فهل رأيت قدرًا أعظم ومكانة أرفع من أن يكون إنسان على غير الإيمان والتوحيد ، ثم يأتي أمر الله بحسن صحبته .

وعن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت : « قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهْيَ مُشْرِكَةٌ ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قُلْتُ : إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهْيَ رَاغِبَةٌ ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ : نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ »(٢) ، وهذا مقام عظيم .

قال ابن الجوزي : « وفي معنى راغبة قولان :

أحدهما : مشركة فيكون المعنى راغبة عن ديني .

والثاني : راغبة في بري وصلتي »(٣) .

---

(١) أسباب النزول ، ص ٢٣٠ .

(٢) رواه البخاري .

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين ، ص ١٢٧٤ أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

وقال الشيخ يحيى الزهراني : « وما وافقها النبي ﷺ على صلتها لأمها إلا لعظم حقِّ الأم عند الله تعالى ، وأنها مقدمة في البرِّ على غيرها لأنها ضعيفة لا تأخذ بحقها ، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها ، فهي تحتاج إلى من يدافع عنها ، ويساعدها على تدبير أمورها وقضاء شئونها لها ، وتوصيلها لزيارة رحمها وإعادتها ، وغير ذلك مِن الأمور التي لا تستطيع أداءها بنفسها »(١) .

ولا يمنع كُفر الوالدين برَّ الأبناء بهما ، ولا حتى نفاق الوالدين وهو أشدُّ مِن الكفر ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « مَرَّ رسُولُ الله ﷺ عَلَى عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُول وَهُوَ فِي ظِلِّ أَجَمَةٍ ، فَقَالَ : قَدْ غَبَّرَ عَلَيْنَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ، فَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله : وَالَّذِي أَكْرَمَكَ ، وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ، لَئِنْ شِئْتَ لآتِيَنَّكَ بِرَأْسِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لاَ ، وَلَكِنْ بِرَّ أَبَاكَ ، وَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُ »(٢) .

يقول الشيخ الشعراوي : « فكُفْر الوالدين لا يعني السماحَ لك بإهانتهما أو إهمالهما ، فاحذر ذلك ؛ لأنك ستُسأل عنه أمام الله : أصنعتَ معهما المعروف أم لا؟ »(٣) .

---

(١) حق الوالدين على الأبناء ، ص ١٩ .

(٢) رواه ابن حبان . قال أبو حاتم رضي الله عنه : أبو كبشة هذا والد أم أم رسول الله ﷺ ، كان قد خرج إلى الشام فاستحسن دين النصارى ، فرجع إلى قريش وأظهره فعاتبته قريش حيث جاء بدين غير دينهم ، فكانت قريش تعير النبي ﷺ وتنسبه إليه ، يعنون به أنَّه جاء بدين غير دينهم ، كما جاء أبو كبشة بدين غير دينهم .

(٣) تفسير الشعراوي ، ص ٦٩٥٢ .

ويستمر البرُّ بالوالدين حتى بعد مماتهما ، فمن أدل الدلائل كذلك على أهمية بر الوالدين أنَّه ما مِن أمر أو شرع أو حكم إلا وينتهي بانتهاء الحياة ، إلا هذه الوصية العظيمة ، فإنَّ برَّ الوالدين لا ينتهي بوفاتهما ، فلا يزال بر الوالدين دينًا على الإنسان ما دامت روحه في جسده ، ومَن ظن أنَّ البرَّ ينتهي بوفاة الوالدين فقد أخطأ ، فلا يزال برُّ الوالدين دينًا في عنق الإنسان إلى أن يلقى الله تعالى ، يحتاجان إلى دعوة صادقة ، فأحوج ما يكونان إليه برهما بعد موتهما ، فيكثر الإنسان من الاستغفار لهما ، وكلما كان الإنسان ذاكرًا والديه بعد وفاتهما فإنَّ الله يفي له كما وفى لوالديه .

فعن أبي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ : « بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ : نَعَمِ الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا ، وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا »(١) . فمِن جملة المبرات الفضلى مبرة الرجل مِن أحباء أبيه ، فإن مودة الآباء قرابة الأبناء ، فإذا غاب الأب أو مات يحفظ أهل وده ويحسن إليهم فإنه من تمام الإحسان إلى الأب ، وإنما كان أبر لأنَّه إذا حفظ غيبته فهو بحفظ حضوره أولى ، وإذا راعى أهل وده فكأن مراعاة أهل رحمه أحرى .

---

(١) رواه أبو داود .

يقول عبد الله السدحان : « فحين يزور أفراد المجتمع أصدقاء آبائهم فهم بذلك يبرُّوا آباءهم ، وذلك يعني أن الجيل المتوسط في المجتمع قد ارتبط تلقائيًا بجيل كبار السن ، وأصبح المِسنُّون جزءًا لا يتجزأ من المجتمع بخلاف ما يحدث في المجتمعات غير المسلمة »(١) .

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ : فَقُلْنَا لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمُ الأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ »(٢) .

قال بعض العلماء : إنما كان برًّا ؛ لأنَّ صديق الوالد إذا رأى ابن صديقه ذكر الوالد فترحم عليه ، وذكر جميل أفعاله وأثنى عليه ، فكان ذلك مِن برِّ الوالدين ؛ ولذلك تعتبر هذه وصية لمن فقد والديه أن يحسن إلى أصحابهما فيتفقدهم بالزيارة .

---

(١) تخلِّي الأبناء عن الوالدين ، ص ٣٣ دراسة اجتماعية على المسنِّين المقيمين بدور الرعاية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية ، عبد الله بن ناصر ابن عبد الله السدحان ، الرياض ، ١٤٢١هـ .

(٢) رواه مسلم .

قال المناوي : « ومِن برهما بر صديقهما ولو بعد موتهما »(١) .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ : كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ ، فَيَقُولُ : إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ »(٢) . وفي رواية « وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلاَئِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ »(٣) . وفي رواية أخرى « أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ »(٤) . ومطابقة الحديث للباب في إهداء النبي ﷺ اللحم لأصدقاء خديجة وخلائلها رعيًا منه لذمامها وحفظًا لعهدها .

ومِن برِّ الوالدين بعد موتهما التَّصدق عنهما ، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ « أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا ، وَأُرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ : نَعَمْ تَصَدَّقْ عَنْهَا »(٥) .

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، ١/٢١٤ محمد عبد الرؤوف المناوي ، ضبطه وصححه : أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. ١، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

(٢) رواه البخاري . وصَدَائِقِ : أي أصدقائها جمع صديقة .

(٣) رواه البخاري . (٤) رواه مسلم .

(٥) رواه البخاري . ومعنى قوله « افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا » : ماتت فجأة .

وهذا الحديث مجتمع على القول بمعناه ، ولا خلاف بين العلماء أنَّ صدقة الحي عن الميت جائزة مرجو نفعها وقبولها إذا كانت من طيب ، فإنَّ الله لا يقبلُ إلا الطيبَ ، وليس الصَّدقة عندهم مِن باب عمل البدن في شيء ، فلا يجوز لأحد أن يصلي عن أحد وجائز له أن يتصدق عن وليه وعن غيره ، وهذا مما ثبتت به السنة .

ومِن برهما بعد موتهما ـ أيضًا ـ قضاء النذر عنهما ، فعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ سعد بن عبادة رضي الله عنه اسْتَفْتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ ، فَقَالَ : اقْضِهِ عَنْهَا »[(١)] .

ويستمر البرُّ بالوالدين الكافرين حتى بعد مماتهما ، فعن علي رضي الله عنه « أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ أَبَا طَالِبٍ مَاتَ ، فَقَالَ : اذْهَبْ فَوَارِهِ ، قَالَ : إِنَّهُ مَاتَ مُشْرِكًا ، قَالَ : اذْهَبْ فَوَارِهِ »[(٢)] .

ويؤخذ من هذا الحديث أنَّه يُشرع للمسلم أن يتولى دفن قريبه المُشرك ، وأنَّ ذلك لا ينافي بغضه إياه لشركه ، ودفن الولد أبيه المُشرك أو أُمه المُشركة هو آخر ما يملكه الولد مِن حُسن صُحبة الوالد المُشرك في الدنيا .

* * *

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه النسائي .

المبحث الثالث

فضائل بر الوالدين

قرن الله تعالى حقَّ الوالدين والإحسان إليهما بعبادته ، كما قرن شكرهما بشكره ؛ لأَنَّه الخالق وحده ، وقد جعل الوالدين السبب الظاهر في وجود الولد ، وهذا يدل على شدة تأكد حقهما والإحسان إليهما قولاً وفعلاً ؛ لأنَّ لهما مِن المحبة للولد والإحسان إليه في حال صغره وضعفه ما يقتضي تأكد الحق ووجوب البرِّ ، وتحريم أدنى مراتب الأذى وهو التضجر أو التأفف مِن خدمتهما ، وزجرهما بالكلمة العالية ، وقد جاء حقُّ الوالدين مقرونًا بعبادة الله عز وجل في آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿ **وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۖ** ﴾ .

١- برُّ الوالدين أفضل مِن الجهاد ؛ لحديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ ، فَقَالَ : أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ » (١) .

---

(١) رواه البخاري .

قال العلامة السندي : «أي ففي تحصيل رضاهما فجاهد نفسك والشيطان وخالفهما .

وقال القسطلاني : وقوله «فجاهد» جيء به للمشاكلة ؛ لأنَّ ظاهر الجهاد إيصال الضرر للغير وليس بمراد ، وإنما المراد القدر المشترك بتكلفه الجهاد وهو بذل المال وتعب البدن ، فيؤول المعنى أبذل مالك وأتعب بدنك في رضا والديك»(١) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال : «أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ ، قَالَ : فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ : نَعَمْ بَلْ كِلاهُمَا ، قَالَ : فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»(٢) .

٢- **برُّ الوالدين من أفضل الأعمال ،** وأقرب الأعمال إلى الجنة ، وأحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الصلاة ، التي هي أعظم دعائم الإسلام ؛ لأنَّ النبي ﷺ أخبر بذلك ورتبه بـ (ثم) التي تعطي الترتيب ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ : الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(٣) .

---

(١) حاشية السندي على صحيح البخاري ، ٧٢/٢ أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي المدني الحنفي ، دار الفكر ، بيروت .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري .

٣- برُّ الوالدين يرضي الله تعالى ، فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ »(١) .

قال المباركفوري : « لأنَّه تعالى أمر أن يُطاع الأب ويُكرَم ، فمن أطاعه فقد أطاع الله ، ومَن أغضبه فقد أغضب الله ، وهذا وعيدٌ شديدٌ يفيدُ أنَّ العقوقَ كبيرةٌ »(٢) .

٤- برُّ الوالدين يدخل الجنة ، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ :« دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعَتْ قِرَاءَةً فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ : حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ »(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُه ، قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ »(٤) .

وروى أبو الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَاحْفَظْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ دَعْهُ »(٥) .

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، ٦/٢٢ أبو العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) رواه الحاكم . (٤) رواه مسلم . (٥) رواه أحمد .

قال البيضاوي : « أي خير الأبواب وأعلاها ، والمعنى أنَّ أحسن ما يُتوسَّل به إلى دخول الجنة ويُتوصَّل به إلى الوصول إليها مطاوعةُ الوالد ورعاية جانبه .

وقال بعضهم : خيرها وأفضلها وأعلاها .

ويحتمل أنَّ المراد أنَّ برَّ الوالدين أوسط الأعمال المؤدية إلى الجنة ؛ لأنَّ مِن الأعمال ما هو أفضل منه ، ومنها ما هو دون البرِّ ، والبرُّ متوسطٌ بين تلك الأعمال »(١) .

والمقصود بالوالد الوالدان معًا الأم والأب ، فهما اللذان يكون مِن خلالهما باب هو خير الأبواب إلى الجنة ، وهو باب برهما والإحسان إليهما .

٥- بيَّن رسول الله ﷺ بما يجزي الولد والده ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاَ يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ »(٢) ؛ أي : يخلصه مِن الرقِّ ؛ لأنَّ الرقيق كمعدوم لاستحقاق غيره منافعه ، فبتسببه في عتقه المُخلص له مِن ذلك كأنه أوجده ، كما كان الأب سببًا في إيجاده .

وعن سعيد بن أبى بردة قال : « سمعت أبى يحدِّثُ أنَّه شهد ابن عمر رجلاً يمانيًا يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره يقول :

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، ٤٨١/٦ .

(٢) رواه مسلم .

إني لـــهـــا بعيـــرها الـــمـــذلل

إن أذعرت ركابــهــا لـــم أذعــر

ثم قال : يا ابن عمر أتُراني جزيتها؟ قال : لا ، ولا بزفرة واحـدة ولكن قد أحسنت والله يجازى عن القليل بالكثير »[١] .

٦- **برُّ الوالدين أقرب الأعمال إلى الله تعالى ،** لحـديث عبـد الله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، أنه أتاه رجلٌ فقال : « إني خطبت امرأة فأبت أن تنْكِحَني ، وخطبهـا غـيري فأحبـت أن تَنكِحَـهُ ، فَغِرْتُ عليها فقتلتُها ، فهل لي من توبةٍ؟ قال : أُمُّك حيَّةٌ؟ قال : لا ، قال : تبْ إلى الله عز وجل ، وتقرَّب إليه ما استطعت . قال عطاء بن يسار : فذهبت فسألت ابن عباس : لِمَ سألتَهُ عن حيـاة أمه؟ فقال : إنـي لا أعلـم عمـلاً أقـرب إلى الله تعـالى مـن بِـرِّ الوالدة »[٢] .

٧- **لين الكلام للوالدين يدخل الجنة ،** لقول عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ لرجل أصـاب ذنوبًـا ، وذكرهـا لابـن عمـر ، فقال له : « ليست هذه من الكبـائر هـن تسـع : الإشـراك بـالله ، وقتل نسمة ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنة ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والحاد في المسجد ، والذي يستسخر ، وبكاء الوالدين من العقوق ، قال لي ابن عمر : أتفرق من النار وتحب

---

(١) رواه البخاري . (٢) رواه البخاري .

أن تدخل الجنة؟ قلت : إي والله ، قال : أحي والداك؟ قلت : عندي أمي ، قال : فو الله لو ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر »(١) .

٨- **مِن برِّ الوالدين إدخالُ السرور عليهما** ، وذلك لحديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال : « أَتَى النَّبِىَّ ﷺ رَجُلٌ يُبَايِعُهُ عَلَى الْهِجْرَةِ وَغَلَّظَ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَا جِئْتُكَ حَتَّى أَبْكَيْتُهمَا ـ يَعْنِى وَالِدَيْهِ ـ ، قَالَ : ارْجِعْ فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا »(٢)؛ أي : أدخل السرور عليهما كما أدخلت الحزن عليهما .

٩- **مِن برِّ الوالدين والإحسان إليهما أن لا يتعرض لسبهما** ، ولا يعقهما ، ولا يكون سببًا في شتمهما ، فعن عبد الله ابن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ : نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ »(٣) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قال : « وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ »(٤) .

١٠- **مِن تمام البرِّ صلةُ أهل وُدِّ الوالدين** ، فعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ « أَنَّ رَجُلاً مِنَ

---

(١) رواه البخاري . (٢) رواه أحمد .
(٣) رواه مسلم . (٤) رواه مسلم .

الأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيق مَكَّةَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَار كَانَ يَرْكَبُه ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ ابْنُ دِينَار : فَقُلْنَا لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُم الأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ »[1] .

وعن أبي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ : « بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ : نَعَمِ الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا ، وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا »[2] .

ولله در القائل :

عَلَيْكَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا

وَبِرِّ ذَوِي القُرْبَى وَبَرِّ الأَبَاعِدِ

١١- **برُّ الوالدين لا يختص بأن يكونا مسلمين** ، بل حتى ولو كانا كافرين ، يبرهما ويحسن إليهما ، قال الله تعالى : ﴿ **وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَا**

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو داود .

وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (لقمان:١٥).

وعن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت : « أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ : آصِلُهَا ، قَالَ : نَعَمْ » . قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ** ﴾ »[(١)] .

ومِن أعظم البرِّ دعوتُهما إلى الله تعالى وتعليمهما ما ينفعهما ؛ لأنهما أحق الناس بالتوجيه مع الرفق والرحمة .

١٢- مِن عِظم حقهما قرنُ النبي ﷺ عقوقهما بالشِّرك بالله تعالى ، فعن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاثًا ، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا ، فَقَالَ : أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ ، قَالَ : فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ »[(٢)] .

وعن أنس رضي الله عنه قَالَ : سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْكَبَائِرِ قَالَ : « الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ »[(٣)] .

وعن المغيرة بن شُعْبَة قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ

(١-٣) رواه البخاري .

عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ ، وَمَنَعَ وَهَاتِ ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ »(١).

١٣- ولعظم حقِّ الوالدين كان الولد وما ملك لوالده ؛ لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ أَبِى احْتَاجَ مَالِي ، فَقَالَ : أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ »(٢) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَوْلاَدَكُمْ مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ فَكُلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ »(٣) .

ومِن هنا نؤكد على وجوب النفقة للأبوين المحتاجين شرعًا ، والأم إذا كانت متزوجة مِن رجل آخر فإنَّ زوجها ينفق عليها ، لكن لو احتاجت فيجب على الولد أن ينفق على أمه إذا لم تجد طريقًا .

١٤- دعوة الوالدين مستجابة ، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال : « كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ فَجَاءَتْ أُمُّهُ ، قَالَ حُمَيْدٌ : فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِى هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمَّهُ

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه ابن حبان . قال أبو حاتم : معناه أنَّه ﷺ زجر عن معاملته أباه بما يعامل به الأجنبيين ، وأمر ببره والرفق به في القول والفعل معًا إلى أن يصل إليه ماله .

(٣) رواه ابن ماجه .

حِينَ دَعَتْهُ كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ كَلِّمْنِي ، فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي فَقَالَ : اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلاتِي ، فَاخْتَارَ صَلاتَهُ ، فَرَجَعَتْ ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِى ، قَالَ : اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلاَتِي ، فَاخْتَارَ صَلاَتَهُ فَقَالَتِ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِي وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي ، اللَّهُمَّ فَلاَ تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ .

قَالَ : وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ ، قَالَ : وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ ، قَالَ : فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلاَمًا ، فَقِيلَ لَهَا : مَا هَذَا؟ قَالَتْ مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ ، قَالَ : فَجَاءُوا بِفُئُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ فَنَادَوْهُ فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ ، قَالَ : فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُ : سَلْ هَذِهِ ، قَالَ : فَتَبَسَّمَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ فَقَالَ : مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ : أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ . فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا : نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، قَالَ : لاَ وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ ، ثُمَّ عَلاَهُ»(١) .

فما أصاب جريج العابد كان بسبب دعوة أمه عليه ، فدعوة

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أحمد .

الوالدين مِن الدعوات التي يُستجَاب لصاحبها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ »(٢) .

١٥- **في البرِّ منجاةٌ من مصائب الدنيا ،** كما ورد في حديث أصحاب الغار وكان أحدهم باراً بوالديه يقدمهما على زوجته وأولاده . ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانطبقت عليهم صخرة فسدته عليهم ، فتوسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم أن يفرج عنهم ، فقال رجل منهم : « اللَّهُمَّ كَانَ لِى أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً ، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا ، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَىَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ »(١) ، وتوسل صاحباه بصالح مِن أعمالهما فانفجرت كلها وخرجوا يمشون .

---

(١) رواه البخاري .

١٦- ولعظم حقهما أكرم الله مَنْ بَرَّهما بإجابة دعواته ، لحديث الثلاثة الذين انحدرت عليهم صخرة عظيمة .

ومن ذلك إخبار النبي ﷺ عن أفضل التابعين ، وأنه لو أقسم على الله لأبره ، والسبب أنَّ له والدة هو بها برٌّ . فعن أُسَيْر بن جابر قال : « كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ : أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : لَكَ وَالِدَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ » . فَاسْتَغْفِرْ لِي ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ : الْكُوفَةَ ، قَالَ : أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ : أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ ، قَالَ : فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ ، قَالَ : تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ » ، فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : أَنْتَ أَحْدَثُ

عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِى ، قَالَ : لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ قَالَ : أُسَيْرٌ وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً ، فَكَانَ كُلَّمَا رَآهُ إِنْسَانٌ قَالَ : مِنْ أَيْنَ لأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ »(١) .

١٧- ولعظم حقِّ الوالدين حرَّم اللهُ الجنةَ على مَن عقَّهما ، وذلك لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ثَلاَثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَالْعَاقُّ ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ »(٢) .

١٨- ولعظم حقِّ الوالدين أنَّ الله لا ينظر إلى مَن عقَّ والديه يوم القيامة ، وذلك لحديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ ، وَالدَّيُّوثُ ، وَثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى »(٣) .

١٩- ولعظم حقِّ الوالدة جعل الله الخالة بمنزلتها عند فقدها ، لحديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ »(٤) ، وَفِى الْحَدِيثِ قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ .

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه أحمد .

(٣) رواه النسائي . (٤) رواه الترمذي .

ولحديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ «أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَبِرَّهَا»(١) .

فالخالة بمنزلة الأم في الحنان والعطف والرعاية ، فاستحقت هي الأخرى هذه المنزلة العظيمة مِن نبي الرحمة ﷺ .

٢٠- برُّ الوالدين سبب في طول العمر وزيادة الرزق ، فعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لاَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ ، وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِر»(٢).

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ ، وَيُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(٣).

٢١- برُّ الوالدين صفةٌ من صفات الأنبياء عليه السلام ، فهذا نوح عليه السلام يدعو ويقول : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾(نوح:٢٨).

وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يدعو أباه إلى دعوة التوحيد الخالص ، وظل يترقق له مع كفره ويقول : «يَا أَبَتِ . . . يَا أَبَتِ» ، فلما هدده أبوه وتأكد إبراهيم من تمام إعراض والده قال : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ (مريم:٤٧).

---

(١) رواه الترمذي . (٢) رواه الترمذي . (٣) رواه أحمد .

وحكى عن إسماعيل ـ عليه السلام ـ قوله : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٢).

وقال تعالى عن يحيى ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (مريم: ١٤).

وهذا نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ لما بلغ أعلى الدرجات يقص الله علينا حاله فيقول : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾(يوسف: ١٠٠).

وقال عن عيسى ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٣٢).

أنواع البرِّ التي يُوصَل بها الوالدان بعد موتهما

إنِّ أنواع البرِّ التي يُوصَل بها الوالدان بعد موتهما كثيرة متنوعة ، ولكن منها على سبيل المثال ما يأتي :

١- الاستغفار لهما ؛ لقول الله تعالى ذاكرًا دعاء إبراهيم : ﴿ **رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ** ﴾ (إبراهيم: ٤١).

وقال تعالى ذاكرًا دعاء نوح : ﴿ **رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا** ﴾ (نوح: ٢٨).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ : يَارَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ : بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ »(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « تُرفَعُ للميت بعد موته درجتُه ، فيقول : أي ربِّ أي شيء هذه؟ فيقال : ولدك يستغفر لك »(٢) .

٢- الدعاء لهما ؛ حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على الدعاء للوالدين بعد موتهما بَرًّا بهما ، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ : إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »(٣) .

---

(١) رواه أحمد . (٢) رواه البخاري . (٣) رواه مسلم .

وذكر العلماء أنَّ أفضل ما يُقدَّم للوالدين مِن البرِّ بعد موتهما هو الدعاء لهما ، وعلى الابن أن يتخير مواضع إجابة الدعاء ، والمواطن التي يستجاب فيها الدعاء ، حتى يُقدَّم ذلك لوالديه براً بهما . فيجدُّ الابن ويجتهد في الدعاء لوالديه حتى يصل ذلك لهما وينفعهما عند ربهما بعد موتهما ، ويدعو لهما بالرحمة والمغفرة ، وأن يجزلَ لهما المثوبة والأجر ، ويغفرَ لهما الزلل والوزر ، وأن يعفو ويتجاوز عنهما ، ويغفرَ لهما ما قدما وما أخرَّا ، وما أسررا وما أعلنا ، وأن يجعل الجنة مآلهما ، وأن ينجيهما مِن النار ، إلى غير ذلك مِن الدعاء لهما .

وقد خصصنا ملحقًا بعنوان « الدعاء للوالدين » في نهاية الكتاب ، ذكرنا فيه الدعاء بالتفصيل .

٣- قضاء الدَّين عنهما ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ »(١) .

وهذا الحديث مِن الدلائل على أنَّه لا يزال الميت مشغولاً بدَيْنِهِ بعد موته ، ففيه حثٌّ على التخلص منه قبل الموت ، وأنه أهم الحقوق ، وإذا كان هذا في الدين المأخوذ برضا صاحبه ، فكيف بما أخذ غصبًا ونهبًا وسلبًا .

٤- قضاء النذور عنهما : كنذر الصيام ، والحج أو العمرة ، أو غير ذلك مما تدخله النيابة ، فعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ

---

(١) رواه الترمذي .

أَنَّ سعد بن عبادة رضي الله عنه اسْتَفْتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: « إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ ، فَقَالَ: اقْضِهِ عَنْهَا »(١).

وعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ « أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا ، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً اقْضُوا اللَّهَ ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ »(٢).

وعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّى مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى »(٣).

٥- **إنفاذ عهدهما** ، فعن الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ: « أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي أَوْصَتْ أَنْ تُعْتَقَ عَنْهَا رَقَبَةٌ ، وَإِنَّ عِنْدِي جَارِيَةً نُوبِيَّةً أَفَيُجْزِئُ عَنِّي أَنْ أَعْتِقَهَا عَنْهَا ؟ قَالَ: ائْتِنِي بِهَا ، فَأَتَيْتُه بِهَا ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ رَبُّكِ ؟ قَالَتِ: اللَّهُ ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ: فَأَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ »(٤).

٦- **صلة الرحم التي لا تُوصَل إلا بهما** ، لحديث أبي بردة رضي الله عنه قال: « قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر ، فقال: أتدري لِمَ أتيتك؟ قال: قلت: لا ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن

(١-٣) رواه البخاري .　　(٤) رواه النسائي .

أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده ، وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاءٌ ووُدٌّ ، فأحببت أن أصل ذاك »(١) .

٧- **إكرام صديقهما مِن بعدهما** ، وذلك لحديث عبد الله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ »(٢) .

وإذا كان مِن الإحسان إلى الميت الإحسان إلى أصدقائه ، فالوالد والوالدة أولى بذلك الإحسان بعد موتهما ؛ لحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِق خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ : كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ ، فَيَقُولُ : إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ »(٣) .

٨- **الصَّدقة عنهما** ، فالصَّدقة عن الميت مِن الأمور المشروعة ، وسواء كانت هذه الصَّدقة مالاً أو غيره ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ : إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »(٤) ، فهذا الحديث يدل بعمومه على أنَّ ثواب

---

(١) رواه ابن حبان .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخاري .
(٤) رواه مسلم .

الصَّدقة يصل إلى الميت ، ولم يفصل النبي ﷺ بين ما إذا كانت بوصية منه أو دون وصية ، فيكون الحديث عامًا في الحالتين .

وعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ « أنَّ سعد بن عبادة رضي الله عنه تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهْوَ غَائِبٌ عَنْهَا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا ، أَيَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا »(١) .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ « أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا ، وَأُرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ : نَعَمْ تَصَدَّقْ عَنْهَا »(٢) .

وعن سعد بن عُبَادَةَ أَنَّهُ قَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ فَأَيُّ الصَّدقة أَفْضَلُ؟ قَالَ : الْمَاءُ ، قَالَ : فَحَفَرَ بِئْرًا وَقَالَ : هَذِهِ لأُمِّ سَعْدٍ »(٣) .

قال النووي : « أجمع المسلمون على أنَّ الصَّدقة عن الميت تنفعه وتصله »(٤) .

---

(١) رواه البخاري . والمِخْراف : اسم للبستان أو وصف له، أي المثمر، وسمي بذلك لما يخرف منه أي يجنى من الثمرة ، تقول : شجرة مخراف ومثمار .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه أبو داود .

(٤) المجموع شرح المهذب ، ٣٢٣/٥ محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : محمود مطرحي ، دار الفكر، بيروت، ط. ١.

وقال القرافي : « وأجمع العلماء على أنَّ الصَّدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها ، وعلى وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك »(١) .

وقال ابن تيمية : « أما الصَّدقة عن الميت فإنَّه ينتفع بها باتفاق المسلمين ، وقد وردت بذلك عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة »(٢) .

٩- **زيارة قبرهما ،** فزيارة القبور مِن الأمور المشروعة ، وفيه برٌّ للوالدين بعد موتهما ، فلا تنقطع علاقة المحبة بين الأبناء والآباء بالموت . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، وقال ﷺ : « اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي ، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ »(٣) .

وذكر ابن الجوزي أنَّ عثمان بن سودة كانت أمه مِن العابدات يقال لها : راهبة ، قال : فلما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء ،

---

(١) أنوار البروق في أنواء الفروق ، ٣٩٨/٤ أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ، تحقيق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣١٤/٢٤ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ، تحقيق : أنور الباز ، عامر الجزار ، دار الوفاء ، ط.٣ ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .

(٣) رواه مسلم .

فقالت : يا ذخري وذخيرتي عند الموت ، لا توحشني في قبري . قال : فماتت ، كنت آتيها عند القبر كل جمعة أدعو لها ، وأستغفر لها ولأهل القبور ، فرأيتها ذات ليلة في منامي ، فقلت : يا أماه ، كيف أنت؟ قالت : يا بني إنَّ للموت لكربةً شديدة ، وأنا بحمد الله في برزخ محمود ، نفترش فيه الريحان ، ونتوسد السندس والاستبرق إلى يوم النشور . قلت : ألك حاجة؟ قالت : نعم ، لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا ، فإني لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت ، يقال : يا راهبة هذا ابنك قد أقبل من أهله زائرًا لك ، فأُسرُّ بذلك ، ويُسرُّ به من حولي من الأموات»(١) .

ويروى أنَّ الفضل بن موقف قال : «كنت آتي قبر أبي كثيرًا ، فشهدت جنازة ، فلما قبر صاحبها تعجلت لحاجة ولم آت قبر أبي ، فرأيته في المنام ، فقال : يا بني ، لِمَ لم تأتني؟ فقلت : يا أبت وأنك لتعلم بي ، قال : أي والله ، وأنك لتأتيني فما أنظر إليك حين تطلع من القنطرة حتى تقعد إلي ، وتقوم من عندي ، فما أزال أنظر إليك موليًا حتى تجوز القنطرة»(٢) .

---

(١) بر الوالدين ، ص١٠ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي .

(٢) العاقبة في ذكر الموت ، ص٢١٢ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي ، تحقيق : خضر محمد خضر ، مكتبة دار الأقصى ، الكويت ، ط.١، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

ولله در القائل :

زر والــديكَ وَقِــف عَلــى قَبرَيهِمــا
فَكَــأَنني بِــكَ قَــد نَقَلــتَ إِلَيهِمــا
لَو كانَ حَيــثُ هُمــا وَكانــا بِالبَقــا
زارَكَ حَبـــوًا عَلـــى قَـــدَميهِما
إِن كـــانَ دِينَهُمـــا أَظَلَــكَ طَالَمــا
مَنَحاكَ مَحضَنَ الــوِدِ مِــن نَفسَــيهِما
مــا هُــنَ إِلاّ أَبصَــرا بِــكَ عِلَــةً
جَزَعًا لَمّــا تَشــكو وَشَــقَ عَلَيهِمــا
ما هُــنَ إِذا سَــمِعا أَنينَــكَ أَســبالاً
دَمعَيهِما أَسفًا لَما تَشكو وِشَقَ عَلَيهُمــا
وَتَمَنيــا لَــو صــارَ مَســالِكَ راحَــةٍ
بِجَميعِ مــا يَحويــهِ مُلــكَ يَــدَيهُما
فَلتَلحَقهُمــــا غَـــــدًا أَو بَعـــــدَهُ
حَتمًــا كَمــا لَحِقاهُمــا أَبَويهُمــا
وَلَتُقَــدِمنَ عَلــى فِعالِــكَ مِثلَمــا
قَــدَماهُما أَيضًــا عَلــى فِعلَيهُمــا
طوباكَ لَــو قَــدَمَت فِعــلاً صــالِحًا
وقَضَيتَ بَعضَ الحَــقِ مِــن حَقَيهُمــا

وسَهِرتَ تَــدعو اللَــهَ يَغفِــرُ عَنــهُما

وَأَطَلتَ في الصَلواتِ مِــن ذِكرَيهُمــا

وَقَرَأتَ من آيِ الكِتــابِ بِقَــدرِ مــا

تَســـتَطيعَهُ وَبَعَثــــتَ ذاكَ إِلَيهِمـــا

وَبَذَلتُ مِن صَدَقاتِ مالِكَ مِثــلَ مــا

بَـــذَلا هُمــا أَيضًــا عَلــى أَبَويهِمــا

فَاحفَظ حَفَظتَ وَصِيَتي وَاعمَــل بِهــا

فَعســـى تَنــالَ الفَــوزِ مِــن بِرَيهِــا

فبرُّ الوالدين يكون في حياتهما وبعد موتهما ، فمَن فاته الإحسان إلى والديه في حياتهما فقد جعل الله له ذلك بعد موتهما ، سواء كان ذلك بالصَّدقة عليهما ، أو الاستغفار ، والدعاء ، وقضاء الديون ، والنذور ، والكفارات ، أو إنفاذ عهدهما مِن بعدهما ، أو صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، أو صلة أهل ودِّهما ، أو غير ذلك مِن أنواع البر والإحسان .

* * *

المبحث الرابع

الآداب التي تُراعَى مع الوالدين

هناك آداب ينبغي لنا مراعاتها ، ويجدر بنا سلوكها مع الوالدين ، لعلنا نردُّ لهما بعض الدَّين ، ونقوم ببعض ما أوجب الله علينا نحوهما ، كي نرضي ربنا ، وتنشرح صدورنا ، وتطيب حياتنا ، وتيسر أمورنا ، ويبارك الله في أعمارنا .

فمن تلك الآداب ما يلي :

١- **طاعتهما واجتناب معصيتهما ،** فيجب على المسلم طاعة والديه واجتناب معصيتهما ، وأن يقدم طاعتهما على طاعة كل أحد مِن البشر ما لم يأمرا بمعصية الله ورسوله ﷺ ، إلا الزوجة ؛ فإنها تقدم طاعة زوجها على طاعة والديها .

٢- **الإحسان إليهما ،** بالقول ، والفعل ، وفي وجوه الإحسان كافة . قال تعالى : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ (الإسراء:٢٣).

قال الشاعر(١) :

تحمّلْ عن أبيكَ الثّقلَ يومًا
فإنّ الشّيخَ قد ضَعُفتْ قواهُ
أتَى بكَ عن قَضاءٍ لم تُرِدْهُ
وآثَرَ أن تَفوزَ بما حَواه
صَديقُكَ في الجِهارِ عدوٌّ سِرٍّ
فلا تأسَفْ إذا شحَطَتْ نَواه
ركنتَ إلى الفَقيرِ بغَيرِ عِلمٍ
وكم زَوْرٍ لسائلِهِ رَواه
وما في نَشرِ هذا الخلقِ نُعمى
فهل يُلحَى الزّمانُ إذا طَواه
فصِيلُ أخيك يَشكو طولَ ظمأ
بما لاقَى فصيلُكَ من غَواه
وكيفَ يؤمّلُ الإنسانُ رُشدًا
وما يَنفَكُّ مُتّبِعًا هَواه
يَظُنُّ بنفسِهِ شرفًا وقدْرًا
كأنّ اللَّهَ لم يخلُقْ سِواه

(١) ديوان أبي العلاء المعري ، ص ١٤٦١ .

ألا تَــــثني جِمالَــــكَ نحــوَ مَرْعًــــى
فهَـــــذا الرّمـــــلُ لم يَنبُـــــتْ لِـــــواه
ولَســـتُ بـــمُـــــدرِكٍ أمـــرًا قريبًـــا
إذا مـــــا خـــــالقي عنّـــــي زَواه

٣- **خفض الجناح ،** وذلك بالتذلل لهما والتواضع . قال تعالى : ﴿ **وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾ (الإسراء:٢٤) .

٤- **البعد عن زجرهما ،** وذلك بلين الخطاب ، والتلطف بالكلام ، والحذر كل الحذر مِن نهرهما ، ورفع الصوت عليهما .

٥- **الإصغاء إليهما ،** وذلك بالإقبال عليهما بالوجه إذا تحدثا ، وترك مقاطعتهما أو منازعتهما الحديث ، والحذر كل الحذر مِن تكذيبهما ، أو ردِّ حديثهما .

٦- **الفرح بأوامرهما ،** وترك التضجر والتأفف منهما . قال تعالى : ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا** ﴾ .

٧- **التطلق لهما ،** وذلك بمقابلتهما بالبِشر والترحاب بعيدًا عن العبوس ، وتقطيب الجبين .

٨- **التودد لهما والتحبب إليهما ،** ومِن ذلك مبادأتهما بالسلام ، وتقبيل أيديهما ، ورءوسهما ، والتوسيع لهما في المجلس ، وألاَّ يمدَّ يده إلى الطعام قبلهما ، وأن يمشي خلفهما في النهار ، وأمامها في الليل خصوصًا إذا كان الطريق مظلمًا أو وعرًا ، أما إذا كان الطريق واضحًا سالكًا فلا بأس أن يمشي خلفهما .

٩- **الجلوس أمامهما بأدب واحترام ،** وذلك بتعديل الجلسة ، والبُعد عما يشعرهما بإهانتهما مِن قريب أو بعيد ، كمد الرجل ، أو القهقهة بحضرتهما ، أو الاضطجاع ، أو التعري ، أو مزاولة المنكرات أمامهما ، أو غير ذلك مما ينافي كمال الأدب معهما .

١٠- **تجنب المنة في الخدمة أو العطية ؛** فالمنة تهدم الصنيعة ، وهي مِن مساوئ الأخلاق ، ويزداد قبحها إذا كانت في حقِّ الوالدين ، فعلى الولد أن يقدم لوالديه ما يستطيع ، وأن يعترف بالتقصير ، ويعتذر عن عدم استطاعته أن يوفي والديه حقهما .

١١- **تقديم حقِّ الأم ،** فمما ينبغي مراعاته أيضًا تقديم برِّ الأم ، والعطف عليها ، والإحسان لها على برِّ الأب ، والعطف عليه ، والإحسان إليه ، وذلك لما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ : أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : ثُمَّ أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : ثُمَّ أُمُّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : ثُمَّ أَبُوكَ »(١) ، والتكرار هنا يفيد المبالغة في تأكيد حقِّ الأم .

١٢- **البُعد عن إزعاجهما ،** سواء إذا كانا نائمين ، أو إزعاجهما

---

(١) رواه البخاري .

بالجلبة ورفع الصوت ، أو بالأخبار المحزنة أو غير ذلك مِن ألوان الإزعاج .

١٣- **تجنب الشجار وإثارة الجدل أمامهما ،** وذلك بالحرص على حلِّ المشكلات مع الأخوة وأهل البيت عمومًا بعيدًا عن أعينهما .

١٤- **تلبية ندائهما بسرعة ،** سواء كان الإنسان مشغولاً أم غير مشغول ؛ فبعض الناس إذا ناداه أحد والديه وكان مشغولاً تظاهر بأنه لم يسمع الصوت ، وإن كان فارغًا أجابهما ، فاللائق بالولد أن يجيب والديه حال سماعه النداء ، بل الواجب أن يتسابق الأبناء في خدمة والديهم ، وليحذر الأبناء كل الحذر مِن التأفف أو الكسل في إجابة ندائهما .

١٥- **إصلاح ذات البين إذا فسدت بين الوالدين ،** فمما يجدر بالأولاد أن يقوموا به أن يصلحوا ذات البين إذا فسدت بين الوالدين ، وأن يحرصوا على تقريب وجهات النظر بينهما إذا اختلفا .

١٦- **الاستئذان حال الدخول عليهما ،** فإذا أراد الأبناء زيارة الوالدين فلا بدَّ مِن استئذانهما في ذلك ؛ لأنهما قد يكونان في حالة لا يريدان مِن أبناءهما أن يشاهدوهما عليها ، أو قد يكونا قد خلدا للراحة بعض الوقت ، أو قد يكونا لم يتهيئا للزيارة ، فينبغي على الأبناء أخذ الإذن بالدخول على الوالدين حتى لا يقعان في إحراج مع أبنائهم .

فعن عطاء بن يسار «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا»(١).

١٧- **تذكيرهما بالله دائمًا**؛ وذلك بتعليمهما ما يجهلانه مِن أمور الدِّين، وأمرهما بالمعروف، ونهيهما عن المنكر إذا كان عليهما بعض مظاهر الفسق والمعصية، مع مراعاة أن يكون ذلك بمنتهى اللطف واللين والرحمة، والصبر عليهما إذا لم يقبلا.

١٨- **الاستئذان منهما**، سواء في الذهاب مع الأصحاب، أو في السفر خارج البلد للدراسة ونحوها، أو الذهاب للجهاد، أو الخروج مِن المنزل والسكنى خارجه، فإن أذنا فافعل وإلا فلا، خصوصًا إذا كان رأيهما له وجه، أو كان صادرًا عن علم وإدراك.

١٩- **المحافظة على سمعتهما**، فالمحافظة على سمعتهما الطيبة مِن الحقوق التي للوالدين على الأبناء، وذلك بامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما، وتقبل آرائهما، واختيار

---

(١) رواه مالك.

الجليس الصالح ، والبُعد عن مجالسة الأشرار والفساق مِن الناس ؛ حتى لا تضيع سمعة الأبناء ومن ثَمَّ لا يُساء إلى سمعة الوالدين ، والحذر مِن كل ما من شأنه أن يكون سببًا في القدح في الوالدين أو الإساءة إليهما .

٢٠- **البُعد عن لومهما وتقريعهما ،** وذلك إذا صدر منهما عمل لا يرضي الولد ، كتقصيرهما في التربية ، وكتذكيرهما بأمور لا يحبان سماعها ، مما قد بدر منهما فيما مضى .

٢١- **العمل على ما يسرهما وإن لم يأمرا به ،** مِن رعاية للإخوة ، أو صلة للأرحام ، أو إصلاحات في المنزل ، أو مبادرة بالهدية ، أو نحو ذلك مما يسرهما ، ويدخل الفرح على قلبيهما . فما أجمل أن يدخل الابن والبنت على والديهما بهدية وإن كانت ذات قيمة قليلة ؛ فالقيمة معنوية وليست مادية ، فمعناها عند الأبوين كبير ، ولن تشعر بذلك إلا إذا وصلت إلى ما وصلا إليه مِن كِبر وتقدم في السن ، ففرحتهما بالهدية قد لا تعدلها فرحة ؛ فتسود المحبة بين الأبناء والآباء .

وما أجمل أن يقوم الأبناء بمساعدة الوالدين في جميع أعمالهما ، فالوالدان أكثر ما يحتاجان إلى أبنائهما عند كبرهما وطعنهما في السن ، فهما في هذه الحالة يريدان أن يقدم الأبناء لهما مزيد المساعدة والعون ، فواجب الأبناء مد يد العون والمساعدة في كل شيء يحتاجه الوالدان حتى يردوا لوالديهم ولو شيئًا يسيرًا مِن الواجب الذي عليهم تجاه آبائهم وأمهاتهم .

٢٢- **فهم طبيعتهما ومعاملتهما بمقتضى ذلك** ، فإذا كانا أو أحدهما غضوبًا ، أو فظًّا غليظًا ، أو كان مُتصفًا بأي صفة لا تُرتَضَى ، كان جديرًا بالولد أن يتفهم تلك الطبيعة في والديه ، وأن يعاملهما كما ينبغي .

٢٣- **كثرة الدعاء والاستغفار لهما في حياتهما** ، لقد دعا الله تعالى وحثَّ على الدعاء للوالدين لأنهما أصل الأبناء ؛ فلذلك وجب الدعاء لهما في حياتهما وبعد موتهما ، قال تعالى : ﴿ **وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا** ﴾ (الإسراء:٢٤)، وقال تعالى : ﴿ **رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ** ﴾ (نوح:٢٨).

وعن أبي مُرَّة مولى عقيل « أنَّه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بالعقيق ، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمتاه ، تقول : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، يقول : رحمك الله كما ربيتني صغيراً ، فتقول : يا بني وأنت فجزاك الله خيراً ورضي عنك كما بررتني كبيراً »[1] .

---

(١) رواه البخاري .

بعض الأمور المعينة على برِّ الوالدين

برُّ الوالدين نعمة مِن الله تعالى يمن بها على مَن يشاء مِن عباده ، وهناك أمور تعين الإنسان على برِّ والديه ، إذا أخذ بها ، وسعى إليها ، فمن ذلك ما يلي :

١- **الاستعانة بالله تعالى ،** وذلك بإحسان الصلة به ؛ عبادة ، ودعاء ، والتزامًا بما شرع ، عسى أن يوفقك ويعينك على برهما ، وقد كان السلف الصالح يتضرعون إلى بارئهم أن يوفقهم لبرِّ والديهم ، وأن يكون آباؤهم وأمهاتهم راضين عنهم .

٢- **استحضار الثواب في البرِّ :** فطريق الجنة مِن خلالهما ، ورضا الله برضاهما ، وتكفير الذنوب بالإحسان إليهما ، وتفريج الكروب بإكرامهما ، وكل ما نريد نجد طريقه يمر عبرهما ، فلمَ لا نفكر في ذلك ونتأمله ؟! وانظر إلى الجانب الآخر المقابل ، وهو التذكر للوعد والوعيد والعقوبة المنتظرة في الدنيا قبل الآخرة لكل مَن أساء ولو بكلمة ؛ لأنَّ الله تعالى يقول : ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ (الإسراء:٢٣) .

٣- **توطين النفس على البرِّ ،** فينبغي للإنسان أن يوطن نفسه على برِّ والديه ، وأن يتكلف ذلك ، ويجاهد نفسه عليه حتى يصبح سجية له وطبعًا .

٤- **استحضار فضل الوالدين :** فهما سبب وجوده في هذه الـدنيا ، وهما اللذان تعبا من أجله ؛ فالأم حملته تسعة أشهر في بطنها ، تعاني ألم الوحم وثقل الحمل ، ثم تضعه كرهًا ، وتقاسـي مـن الأسقام والآلام ، ثم ترضعه حـولين كـاملين ، تجـوع ليشـبع ، وتسهر لينام ، وتتعب ليستريح فهي به رحيمة ، وعليـه شـفيقة ، تفضل حياته على موتها ، وتود لـو يقبـل المـوت فـداء فتفـدي بنفسها ولدها .

وأما الأب فيجد ويسعى في طلب العيش وتحصـيل النفقـة يظـل نهاره يكد ، ويبيت ليله يساعد الأم على التربية ، فمهمـا فعـل الولـد معهما فلن يستطيع أن يوفيهما حقهمـا ، فـإذا استحضـر الولـد هـذا الأمر دعاه ذلك إلى برهما والإحسان إليهما .

فتذكر نفسك وحالك وأنت طفـل لا تملـك مِـن دنيـاك ولا مِـن أمرك ولا مِن حالك ، ولا مِن تدبير شئونك شيئًا ، وتذكر كل تلـك الفضائل التي لا يمكن بحالٍ مِن الأحوال أن تقدر قدرها فضـلاً عـن أن توفي حقها ، ولو أنَّ كلَّ عاقٍ أو كلَّ مخطـئٍ في حـقِّ والديـه إذا أراد أن يلفظ الكلمة ، أو إذا أعـرض ، أو إذا صـنع شـيئًا مـن ذلـك تذكر الحليب الذي أرضعته إياه أمه ، والمال الذي أنفقه عليـه أبـوه ، والحماية التي كان يتعرض فيها للمصاعب والمخاطر لكي يحميه ، لو تذكر انقباضة من انقباضات وقت الولادة ومخاضها لشعر أنَّه قـد أجحف في حقِّ نفسه ، وأنه ينبغي له أن يطـأطئ رأسـه خجـلاً مِـن تصرفه ، وأنَّه قد أتى بما لا يليق بحالٍ مِن الأحوال .

٥- صلاح الآباء، فصلاحهم سبب لصلاح أبنائهم وبرهم بهم، ألم يقل الله تعالى عن الغلامين ﴿ **وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا** ﴾(الكهف:٨٢).

قال ابن كثير: «فيه دليل على أنَّ الرجل الصالح يُحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والأخرى بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة؛ لتقرّ عينه بهم»[(١)] .

٦- قيام الوالدين بدورهما وواجبهما في التربية الصحيحة: وهو أيضًا مِن أعظم أسباب البرِّ، فهل علمت ابنك كتاب الله وسُنة رسوله؟ وهل وجهته إلى الخير؟ وهل كنت قريبًا منه؟ وهل حرصت على تربيته؟ وهل أحسنت في اختيار أصدقائه؟ ذلك هو الطريق الذي يعود عليه بالخير استقامة في سلوكه، وبرًّا بأبيه وأمه، أما إن أسلمته للضياع، وألحقته برفقاء السوء، وغبت عنه ولا تدري ما يصنع ولا ما يقول، وتقول: عقني، فما عقك إلا مِن تفريطك وتقصيرك.

٧- أن يضع الولد نفسه موضع الوالدين، فهل يسرك أيها الولد غدًا إذا أصابك الكِبر، وعجزت عن الحركة أن تلقى مِن أولادك المعاملة السيئة، والإهمال القاسي، والتَّنكر المحض.

ولله در القائل:

لو كان يدري الابنُ أية غُصة

قد جرعت أبويه بعد فراقه

(١) تفسير القرآن العظيم، ٥/١٨٦، ١٨٧.

أم تـــهـــيـــــم بوجـــده حيرانـــة

وأب يســـح الـــدمع مـــن آماقـــه

يتجرعـــان لبينـــه غصـــص الـــردى

ويبـــوح مـــا كتمـــاه مـــن أشـــواقه

لرثـــا لأم سُـــل مـــن أحشـــائها

وبكـــى لشـــيخ هـــام في آفاقـــه

ولبـــدّل الخُلـــقَ الأبِّـــي بعطفـــه

وجزاهـــما بالعـــذْب مـــن أخلاقـــه

٨- استشـعار فـرح الوالـديـن بالبرِّ وحزنهـما مِـن العـقـوق ، فلو استشعر الإنسان ذلك الأمر لانبعث إلى البرِّ ، ولانزجر عن العقوق .

٩- ذكر سيرة البارين بوالديهم : ومما يُعين على برِّ الوالدين ذِكر سِير أهل البرِّ بآبائهم وأمهاتهم ، وما هم فيه مِن الراحة والطمأنينة ، فهذا مما يقوي الهمة ويبعث على البرِّ .

١٠- تذكر نعمة وجودهما بين يديك وأنهما راحلين ، فوجود والديك أو أحدهما نعمة عُظمى ، ومنحةٌ كبرى ، فبادر بشكرها بعظيم برهما ، وعمل كل ما يسرهما قبل أن يأتي يوم وقلبك مجروح بفقدهما وغيابهما عن ناظريك إلى يوم القيامة .

١١- التوفيق بين الزوجة والوالدين ؛ وذلك بإعطاء كل ذي حقٍّ حقه ، والموازنة بين حقوق الوالدين وحقوق الزوجة ، مع زيادة البرِّ بالوالدين بعد الزواج سواء البرّ المادي أو المعنوي .

قصص وأشعار في برِّ الوالدين

ينبغي أن يعرف الطفل فضل والديه ، والمراحل التي لم يرها مِن عُمره وهو جنين ، ثم وليد ، ثم رضيع ، مِن خلال القصص المشوقة ، ومِن خلال مَن يراهم ممن حوله مِن أبناء الأقارب والجيران وغيرهم .

كما ينبغي أن نعلمهم الدعاء للوالدين في حياتهم وبعد مماتهم ، وأن نعلمهم أن رضاهما مِن رضا الله تعالى ، وأنَّ الإحسان إليهما مقترن بطاعة الله لقوله تعالى : ﴿ **وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا** ﴾ ، ويساعد على ذلك أن نحكي لهم مِن القصص الواقعية التي تبين فضل برهم .

- **الرسول ﷺ :**

يتجلى برُّ رسول الله ﷺ بوالديه ، وعمِّه ، وزوجته خديجة بعد وفاتها ، وبقومه في أحسن صوره في حرصه على هداية الأحياء منهم الذين أدركوا الإسلام .

وقد سبق بيان هدي رسول الله ﷺ في ذلك من قوله ، أما مِن فعله ﷺ فإنه لما مرَّ على قبر والدته آمنة بنت وهب بالأبواء حيث دفنت ومعه أصحابه ، فتوقف وذهب يزور قبر أمه ، فبكى رسول الله ﷺ وأبكى من حوله .

وعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : « لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيْ عَمِّ قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ ، فَنَزَلَتْ ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ »[1] .

● سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص آية ، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾ (العنكبوت:٨) ، وقد حلفت أمّ سعد عليه وأقسمت ألاَّ تأكل طعامًا حتى يرجع عن دين محمد ﷺ .

ففي الحديث الشريف : « حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لاَ تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ ، وَلاَ تَأْكُلَ وَلاَ تَشْرَبَ ، قَالَتْ : زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ ، وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا ، قَالَ : مَكَثَتْ ثَلاَثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ : عُمَارَةُ ، فَسَقَاهَا ، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ ، ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى ﴾ وَفِيهَا ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ »[2] .

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه مسلم .

• حارثة بن النعمان رضي الله عنه :

ممن اشتهروا ببرِّ الأبوين الصحابي الجليل حارثة بن النعمان رضي الله عنه ، فقد نال ببره لأمه الدرجات العلا ، وشهد له بذلك النبي ﷺ ، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعَتْ قِرَاءَةً فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ : حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ كَذَلِكُم الْبِرُّ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ »(١) . فهذا الربط بين إخبار النبي عن كونه في الجنة وبره بأمه ظاهر الدلالة في أن هذا العمل بظهوره في حياته وعنايته به وحرصه عليه واستمراره فيه جعل له هذا المقام العالي وتلك الرتبة الرفيعة .

• عبد الله بن عبد الله بن أبيّ رضي الله عنه :

كان الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله بن أبي بارًا بأبيه عبد الله رأس النفاق قبل الإسلام ، وعندما تظاهر أبوه بالإسلام كان عبد الله حريصًا على هداية أبيه ، ولكن أبى الله ذلك .

ومن بره بأبيه بجانب ما سبق ذكره كما روي عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ « أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ لَمَّا تُوُفِّيَ جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ، فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ فَقَالَ : آذِنِّي أُصَلِّي عَلَيْهِ ، فَآذَنَهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ جَذَبَهُ عُمَرُ رضي الله عنه ، فَقَالَ : أَلَيْسَ اللَّهُ نَهَاكَ أَنْ

---

(١) رواه الحاكم .

تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ ؟ فَقَالَ : أَنَا بَيْنَ خِيرَتَيْنِ ، قَالَ : ﴿ **ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ** ﴾ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ فَنَزَلَتْ ﴿ **وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدًا** ﴾ »[(١)] .

● أبو هريرة رضي الله عنه :

كان مِن البارين بأمهاتهم ، فعن أبي مُرَّة مولى عقيل « أنَّه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بالعقيق ، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمتاه ، تقول : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، يقول : رحمك الله كما ربيتني صغيراً ، فتقول : يا بني وأنت فجزاك الله خيراً ورضي عنك كما بررتني كبيراً »[(٢)] .

وروي « أنَّ أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها » .

قال الإمام النووي : « المراد به حج التَّطوع ؛ لأنَّه قد كان حج حجة الإسلام في زمن النبي ﷺ ، فقدم برَّ الأم على حجِّ التَّطوع ؛ لأنَّ برها فرض ، فقدم على التَّطوع ، ومذهبنا ومذهب مالك أنَّ للأب والأم منع الولد مِن حجة التَّطوع دون حجة الفرض »[(٣)] .

● عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ :

كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه مِن عباد الله المتقين ، ومِن الأبناء

---

(١) رواه البخاري .   (٢) رواه البخاري .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ١٣٦/١١ .

البارين بآبائهم في الحياة وبعد الممات ، ومن ذلك بره وإحسانه لبدوي كان أبوه مِن أصحاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ : فَقُلْنَا لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمُ الأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ »(١) .

وفي رواية عن ابن دينار عن ابن عمر « أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ ، فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : أَلَسْتَ ابْنَ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ؟ قَالَ : بَلَى ، فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ ، وَقَالَ : ارْكَبْ هَذَا ، وَالْعِمَامَةَ؟ قَالَ : اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ ، فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ » ، وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ »(٢) .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

• أسامة بن زيد رضي الله عنه :

كان له نخل بالمدينة ، وكانت النخلة تبلغ نحو ألف دينار ، وفي أحد الأيام اشتهت أمه الجمار ، وهو الجزء الرطب في قلب النخلة ، فقطع نخلة مثمرة ليطعمها جمارها ، فلما سئل في ذلك قال : « إنَّ أمي سألتنيه ولا تسألني شيئًا أقدر عليه إلا أعطيتها »(١) .

• عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

أما الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد طلبت والدته في إحدى الليالي ماء ، فذهب ليجيء بالماء ، فلما جاء وجدها نائمة ، فوقف بالماء عند رأسها حتى الصباح ، فلم يوقظها خشية إزعاجها ، ولم يذهب خشية أن تستيقظ فتطلب الماء فلا تجده .

• أويس القرني رضي الله عنه :

أويس القرني سيد التابعين ، منعه من الهجرة إلى رسول الله ﷺ بره بأمه ، فعوضه الله عما فقده من الهجرة أن كان مجاب الدعاء والاستغفار .

عن أُسَيْر بن جابر قال : « كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى

---

(١) صفة الصفوة ، ٥٢٢/١ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، تحقيق : محمود فاخوري ، دكتور محمد رواس قلعه جي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط. ٢ ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

أُوَيْس فَقَالَ : أَنْتَ أُوَيْس بْنُ عَامِر؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَن؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْه إلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْس بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَن ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ » . فَاسْتَغْفِرْ لِي ، فَاسْتَغْفَرَ لَه ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ : الْكُوفَةَ ، قَالَ : أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ : أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ ، قَالَ : فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْس ، قَالَ : تَرَكْتُه رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْس ابْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَن ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ » ، فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِى ، قَالَ : لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ قَالَ : أُسَيْرٌ وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً ، فَكَانَ كُلَّمَا رَآه إِنْسَانٌ قَالَ : مِنْ أَيْنَ لأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَة »(١) .

(١) رواه مسلم .

● **محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ :**

الإمام محمد بن سيرين التابعي الجليل مِن الأبناء البررة .

روى الذهبي في ترجمته عن هشام بن حسان قال : « حدثتني حفصة بنت سيرين قالت : كانت والدة محمد حجازية ، وكان يعجبها الصبغ ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبًا اشترى ألين ما يجد ، فإذا كان عيد صبغ لها ثيابًا ، وما رأيته رافعًا صوته عليها ، كان إذا كلمها كالمصغي إليها »(١) .

● **عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ :**

كان مِن أبر أهل زمانه ومِن أتقاهم ـ رحمه الله ـ .

قال ابن قتيبة : « كان لعمر بن عبد العزيز أربعة عشر ابنًا ، منهم عبد الملك الولد الصالح ابن الصالح ، كان مِن أعبد الناس ، توفي في خلافة أبيه وهو ابن سبع عشرة سنة وستة أشهر ، وكان أحد المُشيرين على عمر بمصالح الرَّعية ، والمُعينين له على الاهتمام بمصالح الناس ، وكان وزيرًا صالحًا ، وبطانة خير ، ـ رحمه الله ـ ، وكان أبر أهل عصره بوالده أو مِن أبرهم ، وله مناقب مشهورة »(٢) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ، ٦١٩/٤ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، حسين أسد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط. ٩ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ، ص ٥٢١ أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

● محمد بن المنكدر ـ رحمه الله ـ :

كان ـ رحمه الله ـ مِن البارين بأمه . قال : « بتُّ أغمز رجلي أمي ، وبات عمِّي يصلي ليلته ، فما سرني ليلته بليلتي »[١] .

● على بن الحسين رضي الله عنه :

كان كثير البرِّ بأمه ، ومع ذلك لم يكن يأكل معهما في إناء واحد ، حتى قيل له : إنك أبر الناس بأمك ، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة ، فقال : أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها[٢] .

فهذه طائفة من أحوال سلفنا الصالح مع برِّ الوالدين تنم عن ذوق رفيع ، وفهم دقيق ، وروح عالية ، وتوحي بمدى عنايتهم ببرِّ الوالدين ، وحرصهم على ردِّ بعض جميل الوالدين .

ومن القصص الواقعية في عصرنا الحديث :

● بين الأم والزوجة :

يذكر الشيخ موسى الزهراني هذه القصة على لسان واحدة من جيرانه قائلاً : جزى الله زوجي عني خير الجزاء ؛ إذ لمَّا رآني تبدر مني كلمات يُفهم منها تضجري من أمِّه العجوز ، وأحس بفجوة

---

(١) الآداب الشرعية ، ٦٤/٢ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي .

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٢٦٨/٣ أبو العباس شمس الدين أحمد ابن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط.١ ، ١٩٩٤م .

بيني وبينها ، لم يتكلم ، ولم يحاول أن يجرح مشاعري أو يعقَّ أمَّه ، فما كان منه إلاَّ أن قال لي : هيا بنا إلى السوق لنشتري هديةً لامرأةٍ تعرفينها ، أريد أن تقومي أنت باختيارها ، ألححت عليه في معرفتها ، فأبى ، فدفع إليَّ مبلغًا كبيرًا فقال : اشتري ذهبًا ، فلما عدنا إلى البيت سألته عن هذه المرأة التي ستقدم لها الذهب ، فقال : إنها أمي! فاستأت مِن ذلك ولم أتكلم ، لكنني قلت في نفسي : مادام أن المال منه فلماذا لا أكسب أنا الجميل فلم أخسر شيئًا ، فلما دخلنا قعدت بين يدي هذه الأمّ وقلت لها : يا والدة هذه هدية بسيطة نقدمها لك ؛ لاحتمال أن نكون قد قصّرنا معك ، أو أسأنا إليك . فقالت الأمُّ : لا أريد منكم شيئًا ، إذا كنتم بخير فأنا بخير .

ففتحتُ علبة الذهب فلما رأته سالت دموعها على خديها ، فانهرت أنا على قدميها أقبلها وأبكي ، وأحسست بأنها أمي بدل أمي التي ماتت وأنا صغيرة ، فتبدل حالنا في البيت بفضل الله تعالى ، ثم بفضل زوجي وإخلاصه وحُسن تصرفه[1] .

• جزاء برِّ الوالدين :

يذكر الأستاذ أحمد سالم هذه القصة قائلاً : أحسست أنَّ الجنة أتت إلى بيتنا فلن أفوت هذه الفرصة ، ووصلت إلى البيت وكأن عروس زفت إلى بيتها ، وما إن حطت رحالها في بيتنا حتى شمرنا

(١) تهميش الوالدين في حياتنا ، ص ٥٠ موسى بن محمد بن هجاد الزهراني ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٦هـ .

السواعد أنا وأمي وكل مَن في البيت لخدمتها والسهر على راحتها ، أمي تقرأ لها الصحف لكي تتابع الأخبار حيث كانت تحب ذلك ، وأنا أقوم بإطعامها والحرص على إعطائها الدواء .

مرت الأيام والشهور وأصيبت جدتي بجلطة في القلب ، وأدخلت إلى المستشفى ، ولاحظت منظرًا عجيبًا عند وضع جهاز الأكسجين ، حيث كانت جدتي ترفع السبابة تسبح وتذكر الله تعالى . ومرت عدة أيام وخرجت من المستشفى ، ومنذ ما يزيد على الثلاثين عامًا وهي حريصة على صيام الأيام البيض من كل شهر ، وشهر شعبان ورمضان وشوال كاملاً ، وكانت بذلك تخالف أمر الطبيب حيث نصحها بالالتزام بأخذ الدواء ، وأي تأخير سيؤثر على قلبها .

وفي يوم ما مررت عليها بعد صلاة العشاء لإعطائها مبلغًا مِن المال بمناسبة تخرجي من الجامعة ، فضحكت ودعت لي قائلة : « الله يوفقك ، الله يحفظك ، الله يخليك » ، وذكرتها بعدم الصيام حسب أوامر الطبيب ، فوعدتني خيراً .

وذهبت إلى النوم وما إن أذن لصلاة الفجر حتى سمعت طرقًا شديدًا على باب غرفتي ، فإذا هي الخادمة تخبرني أن جدتي سقطت على الأرض ، فأسرعت إلى غرفتها فوجدتها ممدة على الأرض ووجهها نحو القبلة واضعة يدها اليمين على الشمال كأنها في صلاة والدواء لم تأخذه ، وضعت يدي عليها فوجدتها قد فارقت الدنيا وأسلمت روحها لله تعالى وهى صائمة .

مرَّ على وفاتها ثلاثة أشهر وحان وقت تقديم أوراقي لوزارة التربية لكي يتم تعييني في المدرسة القريبة مِن بيتنا ، فطلب رئيس القسم من السكرتير بأن يأتي بملف الطلبات ، فوجد أنَّ كل المدارس الأخرى محتاجة لمدرسين إلا هذه المدرسة التي أريدها فهي لا تحتاج إلى أحد حيث كانت مكتفية ، فحزنت لذلك وقال : لا تحزن ولكن تعالى يوم السبت لعل الله يحدث أمرًا ، فقلت : إن شاء الله .

ومر يومان وكأنهما شهران وأنا أنتظر يوم السبت بداية الأسبوع ، فنمت يوم الجمعة ليلة السبت ، فإذا أرى في منامي أن جدتي تزورني وتسألني عن أخباري وتقول لي :« الله يوفقك ، الله يحفظك ، الله يخليك » ، فقمت مِن منامي وأنا مُستبشر بهذا الحلم ، وذهبت مُسرعًا إلى رئيس القسم وسألته ماذا حدث؟ فقال : لم يحدث شيء ولكن لننظر بملف الطلبات ، فنادى السكرتير وطلب منه أن يأتي بالملف ، وما إن فتحه حتى وجد أمرًا غريبًا ، فقد وجد أنَّ كلَّ المدارس التي كانت تريد مدرسين اكتفت ، والمدرسة التي كانت مغلقة فتحت وتحتاج إلى مدرس ، فغضب غضبًا شديدًا من سكرتيره واتهمه بالتقصير والخطأ ، فخرجت مِن مكتبه حامدًا الله تعالى على نعمته أن فتح لي بابًا مغلقا ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ[1] .

---

(١) قصص مؤثرة للشباب ، ص ٢، ٣ أحمد سالم بادويلان .

• المربع الخالي :

جلست الأم ذات مساء تساعد أبناءها في مراجعة دروسهم ، وأعطت طفلها الصغير كراسة للرسم حتى لا يشغلها عما تقوم به مِن شرح ومذاكرة لإخوته الباقين ، وتذكرت فجأة أنها لم تحضر طعام العشاء لوالد زوجها المسّن الذي يعيش معهم في حجرة خارج المبنى في فناء البيت ، وكانت تقوم بخدمته ما أمكنها ذلك ، والزوج راضٍ بما تؤديه مِن خدمة لوالده ، والذي كان لا يترك حجرته لضعف صحته .

أسرعت بالطعام إليه ، وسألته إن كان بحاجة لأية خدمات أخرى ثم انصرفت عنه ، وعندما عادت إلى ما كانت عليه مع أبنائها ، لاحظت أنَّ الطفل الصغير يقوم برسم دوائر ومربعات ويضع رموزًا، فسألته : ما الذي ترسمه يا حبيبي؟

أجابها بكل براءة : إني أرسم بيتي الذي سأعيش فيه عندما أكبر وأتزوج .

أسعدها رده وقالت : أين ستنام؟ فأخذ الطفل يريها كل مربع ويقول : هذه غرفة النوم ، وهذا المطبخ ، وهذه غرفة الضيوف ، وترك مربعًا منعزلاً خارج الإطار الذي رسمه ويضم جميع الغرف .

فتعجبت الأم وقالت له : ولماذا هذه الغرفة خارج البيت؟

أجاب : إنها لك سأضعك فيها تعيشين كما يعيش جدي الكبير .

صعقت الأم لما قاله وليدها ، وأخذت تسأل نفسها هل سأكون وحيدة خارج البيت في الفناء دون أن أتمتع بالحديث مع ابني وأطفاله وآنس بكلامهم ومرحهم ولعبهم عندما أعجز عن الحركة؟ ومع من سأتكلم حينها؟ وهل سأقضي ما بقي من عمري وحيدة بين أربعة جدران دون أن أسمع لباقي أفراد أسرتي صوتًا؟

أسرعت بمناداة الخدم ، ونقلت بسرعة أثاث الغرفة المخصصة لاستقبال الضيوف والتي عادة ما تكون أجمل الغرف ، وأحضرت سرير عمها والد زوجها ، ونقلت الأثاث المخصص للضيوف إلى غرفته خارجًا في الفناء .

وما إن عاد الزوج مِن الخارج حتى فوجئ بما رأى ، فسألها : ما الداعي لهذا التغيير؟

أجابته والدموع تترقرق في عينيها : إني أختار أجمل الغرف التي سنعيش بها أنا وأنت إذا أعطانا الله عمرًا وعجزنا عن الحركة وليبق الضيوف في غرفة الفناء .

ففهم الزوج ما قصدته وأثنى عليها لما فعلته لوالده الذي كان ينظر إليهم ويبتسم بعين راضية ، فما كان مِن الطفل إلا أن مسح رسمه وابتسم .

• متأخرة عقليًا :

تحكي الدكتورة (هـ . خ) هذه القصة المؤثرة : دخلت علي في العيادة امرأة في الستينيات بصحبة ابنها الكبير ، ولاحظت حرصه

الزائد عليها، يمسك يدها ويصلح لها عباءتها ويمد لها الأكل والماء، وبعد سؤالي عن المشكلة الصحية وطلب الفحوصات ، سألته عن حالتها العقلية لأنّ تصرفاتها لم تكن موزونة ، فقال : إنها متخلفة عقليا منذ الولادة .

تملكني الفضول فسألته : من يرعاها؟

قال : أنا .

ولكن من يهتم بنظافة ملابسها وبدنها؟

قال : أنا أدخلها الحمّام وأحضر ملابسها وانتظرها إلى أن تنتهي ، وأصفف ملابسها في الدولاب وأضع المتسخ في الغسيل ، واشتري لها الناقص مِن الملابس .

قلت : ولم لا تحضر لها خادمة؟

قال : لأنَّ أمي مسكينة مثل الطفل لا تشتكي وأخاف أن تؤذيها الشغالة .

اندهشت مِن كلامه ومقدار برّه بأمه وقلت : وهل أنت متزوج؟

قال : نعم ولدي أطفال .

قلت : إذن زوجتك ترعى أمك؟

قال : هي لا تقصر في خدمة أمي ، وقد أحضرت لزوجتي خادمة حتى تعينها .

زاد إعجابي ومسكت دمعتي . . اختلست نظرة إلى أظافرها فرأيتها قصيرة ونظيفة ، قلت : ومَن يقص لها أظافرها؟

قال : أنا . . إنها مسكينة يا دكتورة .

نظرت الأم لولدها وقالت : متى تشتري لي شيبسي؟

قال : تؤمري يا ماما ، هيا بنا نذهب إلى السوبر ماركت نشتري الشيبسي .

طارت الأم فرحًا وقالت : بسرعة .

التفت الابن وقال للدكتورة : والله إني أفرح لفرحتها أكثر مِن فرحة أولادي الصغار . . أنا وحيدها لأنَّ الوالد طلقها بعد شهور مِن الزواج ، وجدتي كانت ترعاني وترعاها وتوفيت وعمري عشر سنوات .

تقول الدكتورة : خرجوا مِن العيادة وأقفلت بابها وقلت للممرضة : أحتاج للرّاحة ، بكيت مِن كل قلبي وقلت في نفسي : هذا وهي لم تكن له أمًا بالمعنى المعروف . . فقط حملت وولدت لم تربيه ، لم تسهر الليالي ، لم تُدرسه ، لم تتألم لألمه ، لم تبك لبكائه ، لم يجافيها النوم خوفا عليه . . ومع كل ذلك كل هذا البر .

● الولد البار :

كنتُ موظفًا في إحدى الشركات ، وانتهت خدمتي كما يقولون (معاش مبكر)، فأعطوني مكافأة نهاية الخدمة ، وكانت مبلغًا كبيرًا ، ولا أملك غيره ، ولما رجعت إلى البيت ، أخبرت أبي وأمي بهذه المكافأة ، فقالا لي : نريد أن تدفع لنا هذا المبلغ لأجل أن نحج . . وأقسم بالله ما فكرت لحظة ، وقلت لهما : سمعًا وطاعة ، وذهبت

إلى مكتب السفر ، وحصلت على تأشيرة لهما ، وذهبا لأداء الفريضة ، وبعد أسبوعين اتصل عليّ مدير الشركة السابقة وأخبرني أنَّ هناك مكافأة أخرى ولا بدَّ أن أذهب لأستلمها . . وصرت أتعجب فمن أسبوعين أدفع كل ثروتي ، ويأتي نفس المبلغ بعد أيام(١) .

• أطعم الدجاج :

يذكر الشيخ يحيى الزهراني هذه القصة الجميلة فيقول : هذا أحد العلماء المحدثين يجلس حوله مئات التلاميذ ليدرسهم ويحدثهم ، وإذا بأمه تدخل عليه أثناء درسه وتقول له : يا فلان ، فيقول : لبيك يا أماه ، فتقول : اذهب وأطعم الدجاج ، فيقول : لبيك يا أماه ، انظر أخي الكريم ، عمل حقير صدر مِن قلب كبير ، صدر مِن الأم الحنون ، مِن الأم التي تحت قدميها الجنة ، فلم يرد عليها بقوله انتظري حتى ينتهي الدرس ، ولم يقل لها بعد قليل ، بل أغلق كتابه وذهب وأطعم الدجاج ، ثم رجع إلى درسه وأكمل حديثه(٢) .

• الأم الوفية والزوجة غير المخلصة :

هذا أحد شعراء العرب وعقلائهم لما مرض ولزم الفراش رأى أمه حانية عليه ، مشفقة عليه ، وراجية لحياته وبقائه ، أما زوجته فقد ضجرت وتبرمت فقد جاءها سائل يسألها يقول لها : كيف حال عمرو؟

---

(١) موظف بإحدى شركات تكرير البترول .
(٢) حق الوالدين على الأبناء ، ص ٣٢ .

فقالت : لا هو حي فيُرجَى ولا ميت فيُنْسَى .

فسمع مقالتها وحزن لذلك ، وقارن بين الموقفين موقف أمه « أم عمرو » وموقف زوجته « سليمى » ، ثم أنشد شعرًا يقول[1] :

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ ما تَمَلُّ عِيَادَتِي
وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضجَعِي ومَكَانِي

فأَيُّ امْرِئٍ سَاوَى بأُمٍّ حَلِيلةً
فلا عَاشَ إلاَّ في شَقًا وهَوَانِ

وما كُنتُ أَخشَى أَن أَكون جِنَازَةً
عَلَيْكِ ومَنْ يَغْتَرُّ بالحَدَثَانِ

لعَمْرِي لقَد نَبَّهْتِ مَن كانَ نائمًا
وأَسْمَعتِ مَنْ كانَتْ لَهُ أذُنانِ

أَهُمُّ بِهَمِّ الحزْمِ لَو أَستَطيعُه
وقد حِيلَ بينَ العَيْرِ والنَزَوانِ

• المتنبي وأمه :

لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بحَبيبِها
قَتيلَةِ شَوْقٍ غَيرِ مُلحِقِها وَصْمَا

أحِنّ إلى الكأسِ التي شرِبَتْ بها
وأهوى لمَثْواها التّرابَ وما ضَمّا

---

(١) أخبار النساء ، ص٤٥ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي .

بَكَيْــتُ عَلَيهــا خِيفَــةً في حَياتِهــا
وذاقَ كِلانــا ثُكْــلَ صــاحِبِهِ قِــدْمَا
لوْ قَتَلَ الــهَــجْــرُ الُمحــبّينَ كُلَّهُــمْ
مضَى بَلَدٌ بــاقٍ أجَــدّتْ لَــهُ صَــرْمَا
عرَفْتُ اللّيالي قَبلَ مــا صَــنَعَتْ بنــا
فلَمَا دَهَتْني لم تَــزِدْني بــهــا عِلْمَــا
مَنافِعُهــا مــا ضَــرّ في نَفْــعِ غَيرِهــا
تغذّى وتَــرْوَى أن تجــوعَ وأن تَظْمَــا
أتاهــا كِتــابي بَعــدَ يــأسٍ وتَرْحَــةٍ
فَماتَتْ سُرُورًا بي فَمُتُّ بــهــا غَمّــا
حَرامٌ علــى قَلــبي السّــرُورُ فــإنّني
أعُدّ الذي ماتَــتْ بــهِ بَعْــدَها سُــمّا
تَعَجَّبُ مِــنْ لَفْظــي وخَطّــي كأنّمــا
ترَى بــحُــرُوفِ السّطرِ أغرِبَةً عُصْمَا
وتَلْثِمُــــهُ حــــتى أصــــارَ مِــــدادُهُ
مَحــاجِرَ عَيْنَيْهــا وأنْيابَهــا سُــحْمَا
رَقَا دَمْعُها الجاري وجَفّتْ جفونــهــــا
وفارَقَ حُبّــي قَلبَهــا بَعــدمَا أدمَــى

ولم يُسْــــلِها إلاّ المَنَايــــا وإنّمَــــا
أشَدُّ منَ السُّقمِ الذي أذهَــبَ السُّــقْما
طَلَبْتُ لــهــا حَظًّا فَفاتَــتْ وفــاتَني
وقد رَضِيَتْ بي لو رَضيتُ بــهــا قِسْمَا
فأصْبَحتُ أسْتَســقي الغَمــامَ لقَبرِهــا
وقد كنْتُ أستَسقي الوَغى والقنا الصُّمّا
وكنتُ قُبَيلَ المــوْتِ أســتَعظِمُ النّــوَى
فقد صارَتِ الصّغَرى التي كانتِ العظمى
هَبيني أخذتُ الثأرَ فيكِ مــنَ العِــدَى
فكيفَ بأخذِ الثّأرِ فيــكِ مــن الحُمّــى
وما انسَــدّتِ الــدّنْيا علــيّ لضِــيقِهَا
ولكــنَّ طَرْفًــا لا أراكِ بــهِ أعمَــى
فَــوَا أسَــفا ألاّ أُكِــبَّ مُقَــبِّلاً
لرَأسِكِ والصّدْرِ الــذَيْ مُلِئــا حزْمَــا
وألاّ أُلاقي روحَــكِ الطّيّــبَ الــذي
كأنّ ذكيّ المِسكِ كــانَ لــه جســمَا
ولَــوْ لمْ تَكُــوني بِنْــتَ أكْــرَمِ والِــدٍ
لَكانَ أباكِ الضّــخْمَ كونُــكِ لي أُمّــا

لَــئِنْ لَــذّ يَــوْمُ الشّــامتينَ بيَوْمِهَــا
لَقَــدْ وَلَــدَتْ مــني لأنْفِهِــمِ رَغْمَــا
تَغَـــرّبَ لامُسْـــتَعْظِمًا غَـــيرَ نَفْســـه
ولا قـــابِلاً إلاّ لخالِقِـــهِ حُكْمَـــا
ولا ســـالِكًا إلاّ فُـــؤادَ عَجاجَـــة
ولا واجِدًا إلاّ لِـمَـكْـرُمَـةٍ طَعْمَـا
يَقُولونَ لي مـا أنـتَ في كـلّ بَلـدَة
وما تَبتَغي؟ ما أبتَغي جَـلّ أن يُسْـمى
كــأنّ بَنــيهِمْ عــالِمُونَ بِــأنّني
جَلُوبٌ إلَــيهِمْ مــنْ مَعادِنــه اليُتْمَــا
وما الجَمْعُ بَينَ الماءِ والنّـارِ في يَـدي
بأصعَبَ من أنْ أجمَـعَ الجَـدّ والفَهمَـا
ولكِــــنّني مُسْتَنْصِــــرٌ بذُبَابِــــه
ومُرْتكِبٌ في كلّ حـالٍ بـه الغَشـمَا
وجاعِلُـــهُ يَـــوْمَ اللّقـــاءِ تَحِـــيّتي
وإلاّ فلَسْتُ السـيّدَ البَطَـلَ القَرْمَـا
إذا فَلّ عَزْمي عن مدًى خـوْفُ بُعـده
فأبْعَدُ شـيءٍ ممكـنٌ لم يَجِـدْ عزْمَـا
وإنّــي لَمِــنْ قَــوْمٍ كــأنّ نُفُوسَــهُمْ
بــهـا أنَفٌ أن تسكنَ اللّحمَ والعَظمَا

كذا أنَا يا دُنْيـــا إذا شِــئْتِ فـــاذْهَبي

ويا نَفسِ زيــدي في كرائهِهــا قُــدْمَا

فـــلا عَبَــرَتْ بي ســـاعَةٌ لا تُعِـــزّني

ولا صَحِبَتْني مُهجَـــةٌ تقبـــلُ الظُّلْمَـــا

- قصيدة رائعة في بر الوالدين :

الحمـــــد لله ربًـــا زانَ خَلقهمــــا

ثم الصــــلاةُ علـــى نســـل لعـــدنان

فـــالله بَـــيَّن في الإســــراء فضــــلهُما

وزادَ ذِكرَهُمــــا في قَـــول لقمـــان

فكم وقفت طويلاً عند بابــهـــمــا

وكم رميت على الأكتافِ أحزانـــي

وكم رجوت بجوف الليل عفوهــــما

وكم تمنيـــت لـــو كـــف تغشّانـــي

وكم قطفت زهورًا من جنانـــهـــمـــا

وكـــم زرعـــت أزاهـــيرًا ببستانـــي

الحسن حســـنهما والطيـــب طيبـــهما

والقلـــب قلبـــهما بـــالودِّ ربانـــي

كم نجمـــةٌ ســـطعت نـــورًا بليلـــهما

وغادرتني وشـــوق البعـــد أبكانـــي

والبدر وسط نجـومي تـاه بعدهـما
كسـائر في فجـاج بـين كثبـان
والقلب يسلك دون الخلق ربـهـما
والعمـر غرتـه في شـهر شـعبان
هذان من لـيس بعـد الله غيرهـما
يرجـى رضـاه ولا يعصـى ببـهتان
فلا تقل لـهـمـا قـولاً يَسُـوؤهُما
واخفض جناحَـك مـن ذلٍ وعرفـان
إن جاهداك على شرك فقل لـهـمـا
خـيرًا ولا طاعـة تـأتي بعصـيان
واطلب من الله أن يرأف بـحالـهـما
وأن يزيـد عطـاءً دون نقصـان
وأن يقـود إلى الإسـلام قلبـهما
وأن يكـافئ في جـود وإحسـان
رباه فـافتح لـهـم بيتـا يظلـهما
في جنـة الخلـد في روح وريحـان
مالي بعيدك يـا ربي ولا لـهـمـا
حول ولا صاحب بـالخير يرعانـي
فقـد أقامـا بقلـبي بـاب بيتـهما
وأودعا النوم أمنـا فـوق أجفانـي

فمن يــجــود بــخــيــر مثل خيرهما
كنبعـــة ســـكنت في صـــدر ظمـــآن
أمشي وكـــم أقتفـــي آثـــار مشـــيهما
علـــي أفـــوز بإحســـان ورضـــوان
لا خـــير في إذا لم أجـــز خيرهـــمـــا
وأن يكون رضـــا الـــرحمن ميزانـــــي
وإن حييـــــت إلى أن بـــــان شـــــيبهما
ولم أنل جنـــة مـــن طيـــب إحســـان
وإن أضعت طريقي في جحودهـــمـــا
فلـــن يُشَـــفَّعَ بي صـــومي وقرآنـــي
فأســـتعيذ بـــربي مـــن عقوقهمـــا
أو أن أبـــوء بإســـراف وخـــذلان
الله كم هـــمـــلت عينـــاي دمعهمـــا
وشبت بعدهـــما وانـــهـــد بنيانـــي
وما ســـعدت بعـــيش بعـــد عيشـــهما
وكان حضـــنهما بيـــت لأحضانـــي
الطير كم صدحت شوقًا لصوتـــهما
وظـــل يهمـــس في شـــوق بآذانـــي
والنور حاك علـــى العيـــنين وجههمـــا
والبعد أتعـــبني والشـــوق أعيانـــي

رباه كم عصفت في القلب ريـــحهما
وكـــم تـــدافع أوراق بأغصـــان
وكم تمنيــت لــو عــيش بقربـــها
يا خير من سكنوا قلــبي وأوطانـــي
فصل أخًا لــهــما وصاحبًا لــهـــما
واحفظ صـــنيعهما مـــا بـــين جـــيران
هذي حروفي بعـــض مـــن صـــنيعهما
إن غاب حُبهما قد غَاب إيـــمـــانـــي
فـــإن أردت رضًـــا فلتُـــرض قلبـــهما
من قبـــل أن تتـــرك الـــدنيا بأكفـــان

• قصيدة أخرى في بر الوالدين[(١)]:

أبي وأمـــي أنـــا دومًـــا أحبـــهما
حبًّا ســما فوق حب الــنفس والولــدِ
أوصانيَ المصطفى الهــادي ببرهـــمـــا
لكي أنال رضـــى الــرحمن يــوم غــدِ
وأي بـــر ســـآتِيه يعـــادل مـــا
جادا علـــي بـــه مـــن وافـــر المـــددِ

(١) الشاعر التونسي : محمد برهومي .

أمي تــخــبــطت في أحشائها زمنــا
تســعا إذا تبتغـــي التحديــد بالعــددِ
جشمتها الـــمــرِّ والويلاتِ من دنَفِــي
عند المخاض ولــم تبكي مــن الجلــدِ
بل أرضعتني حليبًــا ســائغًا وحنــت
عليّ ناســية مــا كــان مــن كمــدِ
أفاضتِ العطف والإحســان في كــرم
علــيِّ دهــرًا ولم تــنقص وتقتصــدِ
أمّا أبــــي فبكــل الخــير أغرقنــــي
سخا عليّ بغــدق النصــح والرَّشَــدِ
كم كابد الصعب في صمت ليســعدني
شكرًا له بعد ربــيِّ الواحــدِ الصــمدِ
فإن أكن قد بلغت الرشد عندهــمــــا
أظــل طفــلاً صــغير الســن للأبــدِ
وسوف أبقى طــوال العمــر في ظمــأ
لضــمّة منــهما كالــمـــاء والــبرَدِ
تشفي صدى الروح من سقْم ومن ضرر
تحــيطني بنعــيم جــدِّ محتشــدِ
الوالدان هـــما نــهـــج ومنطلــق
للارتقـــاء الى العليـــاء فاســـتفدِ

عفو المهيمن مشـــروط بعفوهـــمـــا
فإن هـــمـــا منحاك العفـــو فاســـتزدِ
همـــا المفـــاتيح للفـــردوس إن رضـــيا
فاكسبْ رضاءهـــمـــا ما عشت من أمدِ

● قصيدة بر الوالدين فرض :

قِمَّـــةُ الوُجْـــدَانِ بِـــرُّ الوالـــدَيْنْ
فَـــرْضُ عَـــيْنٍ مِـــنْ إلَـــهِ العَـــالمِينْ
ذِكْـــرُهُ يُتْلَـــى بقُـــرآنٍ كَـــرِيمْ
جَـــاءَ بالإيحَـــاءِ مِـــنْ وَحْـــيِ الأمِـــينْ
دِينُنَـــا أوْصَـــى بِـــأنْ نَرْعَاهُمـــا
والوَفَـــا حَـــقٌّ كَـــدَينٍ للمـــدينْ
اصْـــنَعِ الخَـــيراتِ وارْحَـــمْ ضَـــعْفَهُمْ
وَاسْـــعَ في إرْضَـــائِهِمْ في كُـــلِّ حِـــينْ
اذْكُـــرِ الإجْهَـــادَ في حَمْـــلٍ ألِـــيمْ
مَـــرَّ كُرْهَـــاً في عَـــذَابٍ بِـــالأنِينْ
كُنْتَ فِي جَهْلٍ وغَيْـــبٍ عَـــنْ وُجُـــودْ
كُنْـــتَ في خَلْـــقٍ بتَطْـــويرِ الجَـــنينْ
اذْكُـــرِ الإرْضَـــاعَ مِـــنْ أمٍّ حَنُـــونْ
عَينُهَـــا في لَهْفَـــةٍ طُـــولَ السِّـــنينْ

كُنْــــتَ مَحْمِيًّـــا بعَـــينِ الوالـــدَينْ
سُـــهْدُ عَـــينٍ شَـــاهِدٌ عَنْـــهُ الجُفُـــونْ
واذْكُـــرِ الأبَّ العَطُـــوفَ المُرْشِـــدَا
إنـــــَّهُ لَيـــــثٌ بـــــدَارٍ كـــــالعَرينْ
بَـــاكِرًا في سَـــعْيِهِ مِثْـــلَ الصُّـــقُورْ
جَاعِلاً مِـــنْ بَيتـــهِ الحِصْـــنَ الحَصـــينْ
مُتْعَبًـــــا في هَمِّــــــهِ لا يَشْـــــتَكي
في نَشَـــاطٍ دَائِـــمٍ لا يَسْـــــتَكينْ
رَاجِيًـــا مِـــنْ ربِّـــهِ الـــرِّزقَ الـــوَفيرْ
يَعْبُـــدُ الخَـــلاّقَ في نُـــورِ الـــيَقينْ
كُنْ وَدُودًا ، كُـــنْ عَطوفَـــا يـــا بُنَـــيْ
كُـــنْ وَفِيًّـــا ، كُـــلُّ إثْـــمٍ في الخَـــؤُنْ
قَبِّـــلِ الأيْـــدِيَ في خَفْـــضِ الجَنَـــاحْ
واذْكُرِ الإنْسَـــانَ مِـــنْ مَـــاءٍ وَطِـــينْ
جَنَّـــةُ الـــرَّحْمَنِ تَجْثُـــو عِنْـــدَهُمْ
تَحْـــتَ أقْـــدَامٍ لأمٍّ قـــدْ تَكُـــونْ
فَاغْتَنِمْ مـــا مُمْكِنَـــا واحْـــرِصْ عَلَـــى
بِـــرِّهِمْ في وُدِّهِـــمْ قبْـــلَ المَنُـــونْ

• قصيدة رائعة للأم(١) :

نسْـــيمٌ مـــنْ جنـــانِ الأم هبّـــا
فـــألقى في الربـــوْع شـــذًا وحبّـــا
فصـــفقت الضـــلوعُ لـــهُ بشـــوقٍ
وضـــمّتهُ كضـــمّ المـــرء حبّـــا
فناجاهَـــا النّســـيمُ بـــهـــمـــس أمّ
فـــأجرى في العـــروقِ السّـــحْرَ ذوْبـــا
وأهدى الـــروحَ مـــنْ دعـــواتِ أمـــيّ
فكـــانَ دُعاؤهـــا للـــروْحِ طبّـــا
رعاهـــا اللّـــه مـــن أمٍّ رؤؤمٍ
ولقّاهـــا الســـرورَ وخـــيرَ عقـــبى
فمن ينسى الأمـــانَ بـــحـــجـــر أمٍّ
وقدْ أرخـــى علـــى الأنغـــام هـــدبًا؟
ومـــنْ ينســـىَ الـــتي ســـهرتْ عليـــهِ
ليـــالي شـــدةٍ تقتـــاتُ رعبـــا؟
فلـــن أنســـاكِ يـــا أمـــي حيـــاتي
وهل تنســـى عـــروق الحـــيّ قلبًـــا؟

---

(١) الشاعر : صالح محمد جرار .

فكـــم ذقـــت النعـــيم بســـاعديكِ
وصـــيرت المضـــيْق علـــيّ رُحبـــا
وكم خلت الصـعاب بــلا انفــراجٍ
وكانَ الصدرُ للوســواس نــهـْبـــا
فناديــــتُ الــــرؤوْمَ : إليّ أمّـــي
فلبـــتْ بالحنـــانِ تحـــلّ صَـــعبَا
سرورك منْ سروري حـين ألـهـــو
بعافيـــةٍ ، أثـــيرُ البيْـــتَ لعْبـــا
فتبــيض الليـــالي وهـــي ســودٌ
ومـــرّ العـــيش يصـــبحُ فيّ عـــذبا
وتنعشـــك الأمـــاني وهـــيَ وهـــمٌ
ويبـــدو بعـــدها في الحّـــس قربـــا
وغمـــــكِ إن ألّم بي أكتئـــــابٌ
فيبـــدُو الخصـــبُ يـــا أمـــاهُ جـــدْبا
ودولابُ الزمـــان يـــدورُ نـــهـــبًـــا
وآيـــاتُ الإلـــهِ تـــنيرُ قلبـــا
ولمـــا أن عقلـــت رأيـــت أمّـــي
تعلّمـــني حـــروفَ العلـــمِ شـــهبا
فـــإن العلـــمَ للإنســـان نـــورٌ
ومن يرضى ســوى الأنــوارِ صــحبا

وخـــيرُ الصـــحب في الـــدنيا كتـــابٌ
يـــنير بصـــائرًا ويقيـــتَ لبّـــا
وأمّ لا تـــني عـــنْ خلـــق جيـــلٍ
قويمِ الخلق يـــخـــشـــى اللّـــه دأب
ومـــا مثْـــلُ الأمومـــة إنْ تسـامتْ
يعـــدّ طلائعًـــا تجتـــاز صـــعبًا
ومـــا مثـــل الأمومـــة مـــنْ طبيـــبٍ
لـــروح تبتغـــي للأمـــن دربًـــا
ولـــو أســـطيْعُ أنْ أحصـــي جمـــيلاً
لأمـــي مـــا كفـــاني القـــولُ حقبـــا
فلـــولا الأم مـــا أبصـــرت نـــورًا
ولـــولا الأم كـــان العـــيش جـــدبا

• قصيدة الأم تلثم طفلها(١) :

الأمُّ تلـــثُمُ طفلَهـــا وتضـــمُّه
حرَمٌ ســـمـــاويُّ الجمـــالِ مقـــدَّسُ
تتألّـــه الأفكـــارُ ، وهْـــي جـــوارَه
وتعـــودُ طـــاهرةً هنـــاكَ الأنفُـــسُ

---

(١) ديوان أبي القاسم الشابي ، ص ٧١ .

حَـــرَمُ الحيـــاةِ بِطُهْرِهـــا وَحَنَانِهـــا
هـــل فوقَـــهُ حـــرَمٌ أجـــلُّ وأقـــدسُ؟
بوركتَ يا حـــرَمَ الأمومـــةِ والصِّـــبا
كم فيـــك تكتمـــل الحيـــاةُ وتقـــدُس

• قصيدة هي الأخلاق[1] :

فحضْـــن الأمّ مدرســـة تســـامتْ
بتربيـــةِ البـــنين أو البنـــات
وأخـــلاقُ الوليـــدِ تقـــاس حســـنًا
بـــأخلاق النســـاءِ الوالـــداتِ
ولـــيس ربيـــبُ عاليـــةِ المزايـــا
كمثـــل ربيـــب ســـافلة الصـــفات
ولـــيس النبـــت ينبـــت في جنـــانٍ
كمثـــل النبـــت ينبـــت في الفَـــلاة

• قصيدة أخرى[2] :

أحـــــن إلى خبـــــز أمـــــي
وقهـــــــــوة أمـــــــــي

(١) ديوان معروف الرصافي ، ص ٧١ .
(٢) الشاعر : محمود درويش .

ولــــمــــســــــــــــة أمــــــــي

وتكــــــــــبر فيّ الطفولـــــــــــة

يومًـــــا علــــى صـــدر أمـــــي

وأعشـــــــق عمــــــــري لأني

إذا مــــــــــــــــــــــتّ

أخجـــــل مـــــن دمــــع أمــــي

خــــذيني ، إذا عـــــدت يومــــا

وشـــــــاحا لــــهــدبــــــــك

وغطّــــــي عظـــــامي بعشـــــب

تعمّـــــد مــــن طهـــــر كعبــــك

وشـــــــــدّي وثـــــــــاقي

بـــخـــصـــلــــــــة شـــــعر

بـــخـــيـــط يلـــوّح في ذيـــل ثوبـــك

- **قصيدة أخرى[1] :**

في الـــــركن يبـــدو وجـــه أمــــي

لا أراه لأنـــــــــــــــــــه

ســــكن الجـــوانح مــــن ســـنين

فـــالعين إن غفلــت قلـــيلاً لا تـــري

---

(١) الشاعر : فاروق جويدة .

لكن من سكن الجوانح لا يغيب
وإن تواري مثل كل الغائبين
يبدو أمامي وجه أمي كلما
اشتدت رياح الحزن وارتعد الجبين
الناس ترحل في العيون
وتصير حزنًا في الضلوع
ورجفة في القلب تخفق كل حين
لكنها أمي

• قصيدة إلى أبي[١] :

لم تكتبِ الشّعرَ يومًا ما ولا الأدبا
وما سهرتَ الليالي تقرأُ الكُتُبا
ولم تكنْ من ذوي الأموال تجمعُها
لم تكنِزِ الدُّرَّ والياقوتَ والذهبا
لكنْ كنزتَ لنا مجدًا نعيشُ به
فنحمدُ اللهَ مَن للخير قد وَهبا
أضحى فؤاديَ سِفرًا ضَمَّ قافيتي
ودمعُ عيني على الأوراق قد سكِبا

(١) الشاعر : مصطفى قاسم عباس .

سأنظم الشعرَ عِرفانًا بفضلك يا
من عشْتَ دهرَك تجني الهمَّ والنصَبا
سأنظم الشعر مدحًا فيكَ منطلقًا
يجاوز البدرَ والأفلاكَ والشّهُبا
إن غاضَ حِبري بأرض الشّعر وا لهفي
ما غاض نبعُ الوفا في القلب أو نضبا
قالوا تغالي فمَن تعني بشعرك ذا
فقلت أعني أبي أنْعِمْ بذاك أبا
كم سابقَ الفجرَ يسعى في الصباح ولا
يعودُ إلا وضوءُ الشمس قد حُجبا
تقول أمي صغارُ البيت قد رقدوا
ولم يَرَوْك أنُمضي عمرَنا تعَبا
يجيب : إني سأسعى دائمًا لأرى
يوما صغاريْ بدورًا تزدهي أدبا
ما شعريَ اليومَ إلا من وميضِ أبي
لولاه ما كان هذا الشعرُ قد كُتبا
فأنتَ أولُ من للعلم أرشدني
في حمصَ طفلاً ولّما كنتُ في حلبا
في الشام في مصر طيف منك في خلدي
أرنو إليه فقلبي ينتشي طرَبا

ولـــم تكن أبـــتي في المـــال ذا نســـب
لكنْ بـــخيرٍ نكـــونُ الســـادةَ النّجُبَـــا
فالمالُ لـــن يُعلِـــيَ الإنســـانَ مترلـــةً
إنْ لم يكـــنْ بالمزايـــا يرتقـــي السّـــحُبا
لقـــد نُســـبتَ أبي للخـــير في كـــرم
يا منبـــعَ النبـــل فلْتَهْنـــأ بـــذا نســـبا
نصحْتنا ما أُحيلى النّصْـــحَ يـــا أبـــتي
فأنت مدرســـةٌ في النصـــح لا عَجَبَـــا
حمـــاك ربي مـــن الحُسَّـــاد يـــا أبـــتي
قد ارتقيتَ وكم مـــن حاســـدٍ غَضِـــبا
فاحفظ لنـــا ربَّنـــا دينًـــا نَـــدينُ بـــه
قد شرَّف العُجمَ طولَ الدهرِ والعَربـــا
واحفظ لنا والـــدي والأمَّ يـــا ســـندي
وإخـــوتي وأناسًـــا حـــبّهُم وجَبـــا

• قصيدة رائعة للأب[١] :

قد لا يدومُ لكـــم فـــوق التـــراب أبُ
يكابد العيش عنكم لـــيس يضـــطربُ

(١) الشاعر : دكتور سعد عطية الغامدي .

قــد لا يظــلّ لكــم ظِــلٌّ يظلكــمُ
تحنو المشاعرُ والآمــالُ والــهــدُبُ
قد لا يعــيش لكــمْ قلــبٌ يكــنّكُمُ
وتتّقــون بــه الأهــوالَ إذ تثِــبُ
وترقبــون خطــاهُ كــلَّ ثانيــةٍ
وتــحــسِبون وما يعيا لكــم ســبب
يســابقُ الطّــير فجــرًا في انطلاقتــها
ولا يســابقها واللّيــل يقتــرب
تحلو الحيــاة لــذي وجْــدٍ يعاقرهــا
وحلوُها لأبيكم ــ إن صَفَتْ ــ تَعَــبُ
ولــم يغامر لــجــاهٍ بعضُــه كــذِبٌ
وهل يــدوم بنــاءٌ شــابه الكــذب؟
ولــم ينــافسْ علــى مــالٍ ومغنمــةٍ
كم أهلك القوم شــحٌّ راح يكتســب
ولــم يعشْ لحظــوظٍ بــاتَ يرقبــها
كليــلُ عــزمٍ مــتى فاتتْــه ينتحــب
ولــم يكن لســرابِ الــوهمِ متبعًــا
وكم تــخــطَّــفَ قومًا كلَّما ذهبــوا
لكنَّــــه عمـــلٌ يرجـــو مثوبتَـــه
مــجـــدًا وفي ذاتـــه لله يحتســب

ورحلةٌ في طريقِ الحــقِّ مــا خَنَســتْ
ومــوقــفٌ تتســامى نحــوه الشــهب
ناداكمُ وهو يوصيكم ويــحـــفزكمْ
ولــيس أحــدبَ والآفــاقُ تلتــهب
والعمرُ ينسلٌّ والعــلاّت قــد غــرزت
أظفارَهــا والمــنى يغتالُهــا الصــخب
وهـــذه الفـــتنُ الســـوداءُ باســـطة
راياتِهــا ، والمنايــا موكــبٌ لجــب
وما انجلتْ كربةٌ أو قيل قــد فُرِجَــتْ
إلا أتـــتْ خلفهــا تــدافع الكُــرَب
لا تيأسوا رُبَّ يــأسٍ ســاقَ صــاحبَه
إلى بَــلاءٍ كهـــذا الليــل ينتصــب
عيشوا بإســلامكم دنيــا يتــوق لهــا
ذو العقل لــم يطوها لهــو ولا لعــب
وابنوا بدنياكُم صــرحًا يطيــب لكــم
حصنًا حصينًا وتعلــي مجــده الكتــب
وكــم دعــاكم إلى بــذلٍ وتضــحيةٍ
وكــمْ تخــولكمْ بــالوعظِ ينســكب
من يزرع اليوم يفرح بالحصــادِ غــدًا
وليس يحصدُ من نــاموا ومــن لعبــوا

وقال : مهرُ العــلا أن تطلبــوا شــرفًا
ولــيس يعجــزكم إن شــئتُم طلــب
واختار أن يضربَ الأمثــالَ تــوقظكم
من السّبات ويســمو نحوهــا النُّجُــب
خوضوا بعزم المعــالي لجــةً عرضــت
لا يســتحيل علــيكم عنــدها أَرَب
فاز المجــدّون حــتى لا تــرى أحــدًا
منــهم يمزّقــه الإحبــاط والســغب
أما الكســالى فــلا يبكــي مصــابَهم
إلا ثكــالى ســيؤذيهن مــا ارتكبــوا
صونوا وجــوهكمُ عــن ذلّ مســألةٍ
إلا إلى الله يــؤتي الخــير مــن طلبــوا
وما السؤالُ سوى أمــرٍ وكلــتَ بــه
تنالُ مــن ربِّــك التوفيــق إذ يهــب
وقال : للناس أخلاقٌ بــهــا عُرفــوا
إما الجميل الــذي يُجلــى ويُنتخــب
أو القبيحُ الــذي تــؤذي الحيــاة بــه
ينالــها النقص والإفــلاس والرّيــبُ
خذوا الجميل كمــا شــئتم ليرفعكــم
في سلّم الــمــجــد ، لا تغريكُم الرتب

وادعوا لذي القبح حـــتى يســـتقيم ولا

تتّبعوه فتلقوا فــوق مــا يــجــــب

ونافسوا ما استطعتم للعـــلا ، ولكـــم

من غيركم عبرة تـــجــلـــــى بــــــها

من لـــم يكن للمعالي هـــب منتســـبًا

فلــــيس يرفعـــه في غيرهـــا نســـب

التطبيق العملي لبرِّ الوالدين

يذكر الشيخ موسى الزهراني بعضًا مِن المواقف العملية الحياتية لتطبيق آيات البرِّ في القرآن الكريم حيث يقول : « سنتكلم عن تجربة حية واقعية اشتركت فيها مجموعة من النساء تم توجيههن وتدريبهن على كيفية التطبيق العملي لآيات القرآن الكريم ، وكانت نتائج هذه التجربة ناجحة جدًا ، وذلك مِن واقع روايات النساء أنفسهن وكيفية تعاملهن مع الآيات .

مِن السهل واليسير أنَّ نتكلم عن برِّ الوالدين ، وتعقد مِن أجل ذلك الدروس والدورات ، ولكن تنفيذ ذلك بشكل عملي حركي ليس له نفس السهولة ولا نفس اليسر ، فهو أمر يحتاج إلى إيمان عميق بالله يتبعه صبر وعذوبة لسان المرأة ، وأنَّ التعامل الدائم البار مع الوالدين كما أمر الله الذي لا يطلع أحد على أسراره هو مِن الأعمال الصالحة التي تفوح منها رائحة الإخلاص ، وهو دليل على إصرار العبد على طاعة الله ودوام هذه الطَّاعة ، لذا فقد وجدنا أنَّ مِن الركائز المهمة والأساسية التي تدرب الإنسان على صدق النوايا وحُسن العمل بر الوالدين ، برهما كما أمر سبحانه وتعالى ، وكما أرشدنا إلى كيفية تنفيذ هذا الأمر رسولنا ، وقد حاولنا أن نتدرج في

أمر الله خطوة خطوة ، لذا فقد اتفقنا سويًا أن يكون تحركنا بداية بقوله تعالى ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ ، بعد أن تمَّ شرح الآية والحديث عنها كالمعتاد ، كان الاتفاق المبدئي ألا نؤذي الوالدين بكلمة أو فعل مهما قالا أو فعلا ، وبدأنا في خوض التجربة ، ثم التقينا بعد فترة لتسرد أخت تجربتها العملية في التحرك بهذا الشق الكريم مِن الآية الكريمة .

بدأت الأولى حكايتها ، فقد جاءت والدتها لزيارتها وكان يبدو عليها الوجوم والحزن ، وعندما سألتها مُستفسرة قالت لها : إن أختك قد تأخر زواجها كثيرًا ، وقد قالوا لي : « إنها أكيد مسحورة ، أو أن عليها جانًا يمنع زواجها » ، وعليه فلابدَّ وأن تساعديني وتذهبي معي لرجل دلوني عليه لكي يساعدني في زواج أختك ، تسمرت عيناها وانساب من بينِ شفتيها قوله تعالى ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ .

احتدت الأم في حديثها وقالت لها : إني سأرفع مكروهًا عن ابنتي وماذا في ذلك؟ فإني لن أؤذي أحدًا بما أفعل ، ولكنك لا تريدين مساعدة أختك .

احتد بينهما النقاش وصوَّر الشيطان لأختنا صاحبة القصة أنها على حقٍّ ، وبالفعل هي على حقٍّ ، ولكن زين لها أن تدافع عن هذا الحقِّ بباطل ، فبدأ صوتها تحت إلحاح هذه الحجة يعلو على

صوت أمها ، ولكنها تذكرت الاتفاق وتذكرت الآية ، فغشيها الهدوء ، وبدأت فورًا تُغير مِن أسلوب معالجتها لهذا الموقف ، فانكبت على يد والدتها تقبلها وتعتذر لها وتحاول أن تستجلب رضاها عنها ، وبعد أن هدأت الأم قالت لها : متى تأتين معي إذن؟ فهذا الرجل قد ذاع صيته في كل مكان ولابدَّ وأنَّه سيساعدني على زواج ابنتي فإني سأجزل له العطاء .

قالت لها ابنتها بعطف ورجاء : ولكن هناك مَن يقدر على مساعدتك ولا يأخذ منك مالاً ، ونتائجه مضمونة ، بل إنَّه سيساعدك أنت شخصيًا على الطمأنينة وراحة النفس إلى أن نجتاز هذه المحنة .

قالت لها الأم : سبحان الله ، ولكن لم تخبرني صديقاتي به ، ولكن ليس هناك أية مشكلة فلنذهب إليه ما دمت تعلمين قدرته .

قالت الابنة : نعم إن قدرته تفوق الحدود ، فقط إن أراد الشيء يأمره أن يكون فيكون فورًا ، كما أنَّه لا يأخذ منك مالاً فهو الغني ، ما عليك يا أماه إلا أن تقابليه وتسأليه .

استراحت الأم لحديث ابنتها كثيراً وقالت : والله إني قد استرحت له مِن حديثك عنه ، فليتك تسرعين بأخذ موعد عاجل معه .

قالت الابنة : سنقابله الآن فهو معنا ، التفتت الأم يمنةً ويسرةً بارتباك شديد وقد التفتت الابنة ناحية القبلة وبدأت تناديه وتناجيه : « ربي . . إلهي . . يا مَن بيدك كل شيء . . يا مَن قدرتك تفوق كل

قدرة ، بل ليس لأحد قدرة إلا بك ، يا مَن تجيب دعوة المضطر إذا دعاك وتكشف السوء ، أتيتك وأمي ووقفنا ببابك وليس لنا سواك ، ربًا قادرًا مالكًا مسيطرًا وأنت الواحد الأحد لن نبرح بابك . . فعندك سبحانك سؤلنا ، ووحدك تستطيع فك كربنا » . واسترسلت في تضرع وذلة واستعانة به سبحانه .

أجهشت والدتها بالبكاء وسجدت لله مستغفرة تائبة متوسلة سائلة ، وانسابت دموع الأخت الفاضلة تأثرًا بمناداة والدتها لله ، فلأول مرة تراها بهذا التسليم المطلق وهذا الخضوع المزلزل للقلوب ، انتهت مِن سرد تجربتها وقد انسابت دموعنا ، وقد بدأت كل منا تسأل الله سبحانه ما ترجو وما تتمنى فهو بالفعل الوحيد القادر على إجابة الدعاء وتلبية الرجاء .

• قصة أخرى :

هل يمكن أن أشارك معكم وتسمعوا تجربتي مع قوله سبحانه : ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا** ﴾ .

اتجهت أنظارنا إليها فهي فتاة لم تتعد العشرين ، قالت : إني وحيدة أمي وأبي ، ولذا فهما يقومان برعايتي على أفضل ما يكون ، ويلبيان لي كل ما أطلب ، وكانت الأمور تسير على ما يرام ، ونحن نعيش الدنيا بكل ما فيها حرامها وحلالها ، حتى أكرمني الله بلقائكن ، فكأن الدنيا أرادت أن تطلعني على أحلى ما فيها وهو القرآن ، وبمعنى آخر أصبحت هناك متعة كبيرة أن أستسلم للآية ، فتتحرك

مِن خلالي ، ويتعرف الناس عليها مِن تصرفاتي وأفعالي ، وبدأت المشكلات الكبيرة بيني وبين والديَّ ، فهما يريدانني أن آخذ مِن الدنيا ما يتصوران أنَّ فيه سعادتي ، فلا بدَّ مِن مصاحبتهما إلى النادي ، وليس هناك مانع من مصادقة الفتيان ، ويطلبان مني ممارسة الألعاب الرياضية وارتداء الثياب غير اللائقة لأحوز إعجاب الجميع ، ولابدَّ مِن مشاركتي في الألعاب الرياضية ، وكأنني أؤدي هذه الألعاب وهذه الحركات ليراني الفتيان بكل أوضاعي وقد ظهر من جسمي بسبب تلك الملابس أكثر مما خفي ، ولابدَّ لي مِن مصاحبتهما إلى المسرحيات مهما كانت مبتذلة وهابطة ، بالطبع بعض ما ذكرت لكم يتنافى تمامًا مع ما تدعونا إليه هذه الآيات الكريمة .

في بداية الأمر صرخت في وجههما ، وكنت أدخل حجرتي وقد أغلقت بابي دونهما ، وألقاهما بوجه متجهم عابس ، وكنت متُصورة أنَّ ما أفعله هو قمة الطَّاعة لله ، فهو جهاد كما كنت أتصور ، ولكني عندما أردت أن أتحرك بقول الرحمن ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ تغير الوضع تمامًا ، فقد حلت الابتسامة بدلاً مِن العبوس ، وفتحت بابي وجلست معهما أتكلم بلطف وود ظاهر لهما ، بل وأحاول تقديم العون لهما برحمة ، بل بدأت أشكرهما على ما بذلا مِن أجلي طوال هذه السنوات ، وأحاول أن أعرض عن اندهاشهما وكأني لا أرى إلا تطبيق الآية الكريمة ، ورويدًا رويدًا بدأت أطلعهما

على صديقاتي وأصدقائي الجدد ، فهذا الفعل يرضي الله في قوله تعالى كذا ، وهذا التحرك يرضي الله في قوله تعالى كذا .

وجدت أمي وقد تأثرت كثيراً بقولي بل وطلبت مني المزيد ، وقد لاحظت على قسمات وجهها مدى التأثر والندم على ما فاتها ، وهذه هي أمي معنا الآن .

وقامت الفتاة وقد ضمتها أمها إلى حضنها وأغرقت وجهها بالقبلات ، وقد تأثرنا كثيراً بقدرة الله سبحانه على تحويل القلوب وإسباغ النعم على عباده .

تحركت أخت مِن مكانها ونظرت إلى الفتاة ووالدتها وقالت : سبحان الله كيف حدث ذلك؟ فإن والدتي لم تتقبل مني أي شيء . . أي شيء ، وحاولت طوال هذه الفترة السابقة أن أرضيها بلا جدوى ، قلنا لها : وأين الصبر يا حبيبتي؟ فعلينا بالعمل الذي يُرضي الله وعليك بتحقيق الآيات الكريمة في أفعالك وتصرفاتك مع الدعاء لله سبحانه ، فالقلوب بيده وحده يتصرف فيها كيفما شاء وكيفما أراد ، المهم أن تستمري في تطبيق القول الكريم في نفسك ولا تيأسي أبداً من روْح الله . وتعاهدنا جميعًا أن ندعو لها في جوف الليل إلهًا قديراً مقتدراً سبحانه ، وتعاهدنا في نهاية اللقاء على الاستمرار في التحرك بقوله سبحانه ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ ونزيد عليها ﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾ . نتعايش مع الآية . . نرددها حتى

تسكن في قلوبنا ، ثم تتحرك بها جوارحنا وحواسنا ولنا لقاء لنشهد هذه التجارب العملية .

ويبدو الأمر كما لو كان سهلاً ولكن لكل إنسان عادات يتربى عليها ويصبح من الصعب تغييرها ، فطريقة التحدث مع الوالدين تختلف مِن شخص لآخر ، فبينما نجد شخصًا دائم العبوس في وجه والديه وبالكاد يرد على حديثهما ، نجد آخر يتكلم معهما بشكل تقليدي عادي ، ونجد آخر جافًّا في تعامله معهما بدون أن يشعر هو بذلك ، ونجد أخرى لا تتذكر أنها في مرة قد قامت بتقبيل والدها أو والدتها ، ولنعرض التجارب الشخصية فسيكون فيها التوضيح الكافي .

• قصة أخرى :

ها هي أخت تسرد لنا التجربة الخاصة بها قالت : حينما كنت أردد قوله تعالى ﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾ ، قلت : إنَّ الأمر لا يتعدى بضع كلمات مُنمقة مُختارة وكفى ، وبدأت بعيدًا عن التصورات بشكل جِدي في تطبيق هذا القول الكريم بشكل عملي ، وكانت المفاجأة دخلت على والدتي ورتبت الكلام في ذاكرتي ، وأردت أن أجهر به ولكن عُقد لساني ، فقد انتابني الحرج الشديد حيث إني لم أتعود على مثل هذه الأقوال مع أمي ، وفشلت في المحاولة الأولى ، ثم استجمعت شجاعتي في مرة أخرى ، وأردت

أن أبث لأبي مدى احترامي وحبي له وتعلقي به وبأمي ، ولكن للمرة الثانية تخونني العبارات ، قلت في نفسي : لن أُهزَم بمشيئة الله ، فالأمر هين فماذا بي؟ قلت : لابدَّ وأن والديّ عندما يسمعانني سيندهشان وسأضحك وسأكون محط استهزاء إخواني وأخواتي ، سألت الله سبحانه أن يعينني أن يكون لي شرف تحرك الآية الكريمة وتطبيقها مِن خلالي ، ثم هداني التفكير أن أذهب إلى محل الورود ، وبالفعل أحضرت وردة لأمي وأخرى لأبي وقلت لأمي وأنا أعطيها إياها : لك يا أحلى أم ، ابتسمت حبيبتي ابتسامة لن أنساها ما حييت وكأنها تقول : هل أنا عندك كذلك بالفعل؟ وكأنها قالت ذلك ، حيث كان ردي بل أنت أغلى عندي مِن كل الدنيا ، حيث إنَّ الدنيا بأسرها تكون سرابًا مِن دونها ، قلت ذلك ولم أنتظر رد فعلها بل خطوت خطوات واثقة مِن والدي وقلت له : مني وردة في الدنيا ومِن الله سبحانه لك الجزاء الأكبر ، فإني كثيرة الدعاء له ، داعبني والدي قائلاً : خير . . لعله خير . . سعيدة اليوم أنت؟ قلت له : نعم سعيدة بكما واتجهت سريعًا إلى حجرتي وقد زاد خفقان قلبي وقلت لنفسي : هل رأيت؟ لقد كان الأمر سهلاً وكم أنا سعيدة الآن ، فقد زادت كلمات الامتنان مني لوالدي ، وزاد تقبلهما لما أقول ، بل إني أقبِّل قبل خروجي رأس أبي وأمي ، وكم أصبح لحياتي معنى وطعم للسعادة لم أتذوقه من قبل ، وأنا أدعوكن جميعًا إلى تطبيق هذا القول الكريم والتَّحرك به .

• قصة أخرى :

قالت أخرى : أنت أحسن حظًا مني فإني قد بخلت على والدي بكلمات الحب والتكريم ، وبدلاً مِن أن أفعل أنا ذلك فعلها أخي الشاب ، فإنه ينتظر وصولي إلى المنزل بعد اللقاء معكن لأحكي له أي آيات الله سنتحرك بها بعد شرحها له وتفسير معانيها ومناسبة نزولها كما نفعل ، وقد أخذ مني قول الله سبحانه ﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾ ، وكأن الآية وقد أصبحت كساءً للسانه وأفعاله ، فقد سمعته على غير عادته وهو يكرم والديَّ أيما إكرام في أقواله ومداعباته الرحيمة بهما ودغدغة مشاعرهما بكلماته الطيبة ، حتى كأني تصورت أنه يقوم بحفظها قبل أن يحيط والدي حنانًا بسماع هذه الكلمات منه ، حتى إني في دخولي وخروجي أسمع والديَّ وهما يدعوان له ، بل إني سمعت والدتي تقول : لعل الله يكرمني بدخول الجنة بسبب إنجاب هذا الولد (تقصد أخي) ، لا أدري ماذا أفعل الآن وقد سبقني أخي إلى هذا الخير الوفير ؟

قالت لها ثالثة : حاولي مرة ومرات حبيبتي ، فنحن نتنافس جميعًا من أجل التحرك بالقرآن التحرك الأمثل»(١) .

---

(١) تهميش الوالدين في حياتنا ، ص ٣٠ .

بعض المسائل الفقهية المتعلقة ببرِّ الوالدين

أما بالنسبة لبعض المسائل الفقهية المتعلقة بالبرِّ فهي كالتالي :

● البِرُّ بِالْوَالِدَيْنِ مَعَ اخْتِلاَفِ الدِّينِ :

البِرُّ بِالْوَالِدَيْنِ فَرْضُ عَيْنٍ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ ، وَلاَ يَخْتَصُّ بِكَوْنِهِمَا مُسْلِمَيْنِ ، بَلْ حَتَّى لَوْ كَانَا كَافِرَيْنِ يَجِبُ بِرُّهُمَا وَالإِحْسَانُ إِلَيْهِمَا مَا لَمْ يَأْمُرَا ابْنَهُمَا بِشِرْكٍ أَوِ ارْتِكَابِ مَعْصِيَةٍ ، قَال تَعَالَى : ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ** ﴾ . فَعَلَيْهِ أَنْ يَقُول لَهُمَا قَوْلاً لَيِّنًا لَطِيفًا دَالاًّ عَلَى الرِّفْقِ بِهِمَا وَالْمَحَبَّةِ لَهُمَا ، وَيَجْتَنِبَ غَلِيظَ الْقَوْل الْمُوجِبَ لِنُفْرَتِهِمَا ، وَيُنَادِيَهُمَا بِأَحَبِّ الأَلْفَاظِ إِلَيْهِمَا ، وَلْيَقُل لَهُمَا مَا يَنْفَعُهُمَا فِي أَمْرِ دِينِهِمَا وَدُنْيَاهُمَا ، وَلاَ يَتَبَرَّمُ بِهِمَا بِالضَّجَرِ وَالْمَلَل وَالتَّأَفُّفِ ، وَلاَ يَنْهَرُهُمَا ، وَلْيَقُل لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا .

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: « قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَمُدَّتِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ ﷺ مَعَ أَبِيهَا ، فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ : إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قَال : نَعَمْ ،

صِلِي أُمَّكِ». وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهَا قَالَتْ: «أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَأَصِلُهَا؟ قَال: نَعَمْ». قَال ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَأَنْزَل اللَّهُ عَزَّ وَجَل فِيهَا ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ** ﴾.

وَفِي هَذَا الْمَقَامِ قَال اللَّهُ تَعَالَى: **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾. قِيل: نَزَلَتْ فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ قَال: كُنْتَ بَارًّا بِأُمِّي فَأَسْلَمْتُ فَقَالَتْ: لَتَدَعَنَّ دِينَكَ أَوْ لاَ آكُل وَلاَ أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ فَتُعَيَّرَ بِي، وَيُقَال: يَا قَاتِل أُمِّهِ . . . وَبَقِيتُ يَوْمًا وَيَوْمًا، فَقُلْتُ: يَا أُمَّاهُ: لَوْ كَانَتْ لَكِ مِائَةُ نَفْسٍ، فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا، فَإِنْ شِئْتِ فَكُلِي، وَإِنْ شِئْتِ فَلاَ تَأْكُلِي، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ أَكَلَتْ.

هَذَا وَفِي الدُّعَاءِ بِالرَّحْمَةِ لِلْوَالِدَيْنِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ خِلاَفٌ ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ، ونحن نرجح هنا الجواز.

أَمَّا الاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا فَمَمْنُوعٌ، اسْتِنَادًا إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ** ﴾، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي اسْتِغْفَارِهِ ﷺ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْتِغْفَارِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ لأَبَوَيْهِ الْمُشْرِكَيْنِ، وَانْعَقَدَ الإِجْمَاعُ عَلَى عَدَمِ

الاِسْتِغْفَارِ لَهُمَا بَعْدَ وَفَاتِهِمَا وَحُرْمَتِهِ ، وَعَلَى عَدَمِ التَّصَدُّقِ عَلَى رُوحِهِمَا .

أَمَّا الاِسْتِغْفَارُ لِلأَبوَيْنِ الْكَافِرَيْنِ حَال الْحَيَاةِ فَمُخْتَلَفٌ فِيهِ ؛ إِذْ قَدْ يُسْلِمَانِ .

• التَّعَارُضُ بَيْنَ بِرِّ الأَبِ وَبِرِّ الأُمِّ :

لَمَّا كَانَ حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الأَوْلاَدِ عَظِيمًا ، فَقَدْ نَزَل بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ، وَوَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ ، وَيَقْضِي ذَلِكَ بِلُزُومِ بِرِّهِمَا وَطَاعَتِهِمَا وَرِعَايَةِ شُئُونِهِمَا وَالاِمْتِثَال لأَمْرِهِمَا فِيمَا لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ ، عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ بَيَانُهُ .

وَنَظَرًا لِقِيَامِ الأُمِّ بِالْعِبْءِ الأَكْبَرِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ اخْتَصَّهَا الشَّارِعُ بِمَزِيدٍ مِنَ الْبِرِّ ، بَعْدَ أَنْ أَوْصَى بِبِرِّهِمَا ، فَقَال تَعَالَى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ** ﴾ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَال : يَا رَسُول اللَّهِ : مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَال : أُمُّكَ ، قَال : ثُمَّ مَنْ؟ قَال : أُمُّكَ ، قَال : ثُمَّ مَنْ؟ قَال : أُمُّكَ ، قَال : ثُمَّ مَنْ؟ قَال : أَبُوكَ » .

وَقَوْلُهُ ﷺ « إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ » .

وَمِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ : « سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ حقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ؟ قَال : زَوْجُهَا ، قُلْتُ : فَعَلَى الرَّجُلِ؟ قَال : أُمُّه » .

فَفِيمَا ذُكِرَ ـ وَغَيْرُه كَثِيرٌ ـ مِمَّا سَبَقَ بَيَانُه دَلِيلٌ عَلَى مَنْزِلَةِ الأَبَوَيْنِ ، وَتَقْدِيمِ الأمِّ فِي الْبِرِّ عَلَى الأبِ فِي ذَلِكَ ؛ لِصُعُوبَةِ الْحَمْلِ ، ثُمَّ الْوَضْعِ وَآلاَمِهِ ، ثُمَّ الرَّضَاعِ وَمَتَاعِبِهِ ، وَهَذِهِ أُمُورٌ تَنْفَرِدُ بِهَا الأمُّ وَتَشْقَى بِهَا ، ثُمَّ تُشَارِكُ الأبَ فِي التَّرْبِيَةِ ، فَضْلاً عَنْ أَنَّ الأمَّ أَحْوَجُ إِلَى الرِّعَايَةِ مِنَ الأبِ ، وَلاَ سِيَّمَا حَال الْكِبَرِ .

وَفِي تَقْدِيمِ هَذَا الْحَقِّ أَيْضًا : أَنَّه لَوْ وَجَبَتِ النَّفَقَةُ عَلَى الْوَلَدِ لأَبَوَيْهِ ، وَلَمْ يَقْدِرْ إلاَّ عَلَى نَفَقَةِ أَحَدِهِمَا ، فَتُقَدَّمُ الأمُّ عَلَى الأبِ فِي أَصَحِّ الرِّوَايَاتِ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ ، وَهُوَ رَأْيٌ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ ، وَذَلِكَ لِمَا لَهَا مِنْ مَشَقَّةِ الْحَمْلِ وَالرَّضَاعِ وَالتَّرْبِيَةِ وَزِيَادَةِ الشَّفَقَةِ ، وَأَنَّهَا أَضْعَفُ وَأَعْجَزُ ، هَذَا مَا لَمْ يَتَعَارَضَا فِي بِرِّهِمَا .

فَإِنْ تَعَارَضَا فِيهِ ، بِأَنْ كَانَ فِي طَاعَةِ أَحَدِهِمَا مَعْصِيَةُ الآخَرِ ، فَإِنَّه يُنْظَرُ : إِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِطَاعَةٍ وَالآخَرُ يَأْمُرُ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُطِيعَ الآمِرَ بِالطَّاعَةِ مِنْهُمَا دُونَ الآمِرِ بِالْمَعْصِيَةِ ، فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةٍ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » ،

وَعَلَيْهِ أَنْ يُصَاحِبَهُ بِالْمَعْرُوفِ لِلأَمْرِ بِذَلِكَ فِي قَوْلِه تَعَالَى : ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي الأَبَوَيْنِ الْكَافِرَيْنِ ، إِلاَّ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لاَ بِخُصُوصِ السَّبَبِ .

أَمَّا إِنْ تَعَارَضَ بِرُّهُمَا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَحَيْثُ لاَ يُمْكِنُ إِيصَال الْبِرِّ إِلَيْهِمَا دَفْعَةً وَاحِدَةً ، فَقَدْ قَال الْجُمْهُورُ : طَاعَةُ الأَمِّ مُقَدَّمَةٌ ؛ لأَنَّهَا تَفْضُل الأَبَ فِي الْبِرِّ . وَقِيل : هُمَا فِي الْبِرِّ سَوَاءٌ ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً قَال لِمَالِكٍ : وَالِدِي فِي السُّودَانِ ، كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ عَلَيْهِ ، وَأُمِّي تَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ ، فَقَال لَهُ مَالِكٌ : أَطِعْ أَبَاكَ وَلاَ تَعْصِ أُمَّكَ . يَعْنِي أَنَّهُ يُبَالِغُ فِي رِضَى أُمِّهِ بِسَفَرِهِ لِوَالِدِهِ ، وَلَوْ بِأَخْذِهَا مَعَهُ ، لِيَتَمَكَّنَ مِنْ طَاعَةِ أَبِيهِ وَعَدَمِ عِصْيَانِ أُمِّهِ .

وَرُوِيَ أَنَّ اللَّيْثَ حِينَ سُئِل عَنِ الْمَسْأَلَةِ بِعَيْنِهَا قَال : « أَطِعْ أُمَّكَ ، فَإِنَّ لَهَا ثُلُثَي الْبِرِّ » . كَمَا حَكَى الْبَاجِيُّ أَنَّ امْرَأَةً كَانَ لَهَا حَقٌّ عَلَى زَوْجِهَا ، فَأَفْتَى بَعْضُ الْفُقَهَاءِ ابْنَهَا : بِأَنْ يَتَوَكَّل لَهَا عَلَى أَبِيهِ ، فَكَانَ يُحَاكِمُهُ ، وَيُخَاصِمُهُ فِي الْمَجَالِسِ تَغْلِيبًا لِجَانِبِ الأُمِّ . وَمَنَعَهُ بَعْضُهُمْ مِنْ ذَلِكَ ، قَال : لأَنَّهُ عُقُوقٌ لِلأَبِ ، وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ إِنَّمَا دَل عَلَى أَنَّ بِرَّهُ أَقَل مِنْ بِرِّ الأُمِّ ، لاَ أَنَّ الأَبَ يُعَقُّ . وَنَقَل الْمُحَاسِبِيُّ الإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ الأُمَّ مُقَدَّمَةٌ فِي الْبِرِّ عَلَى الأَبِ .

• بِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقَارِبِ الْمُقِيمِينَ بِدَارِ الْحَرْبِ :

قَال ابْنُ جَرِيرٍ : إِنَّ بِرَّ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَهْل الْحَرْبِ ، مِمَّنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَرَابَةُ نَسَبٍ ، أَوْ مَنْ لاَ قَرَابَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَلاَ نَسَبَ ، غَيْرُ مُحَرَّمٍ وَلاَ مَنْهِيٍّ عَنْهُ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ تَقْوِيَةٌ لِلْكُفَّارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ دَلاَلَةٌ عَلَى عَوْرَةٍ لأَهْل الإِسْلاَمِ ، أَوْ تَقْوِيَةٌ لَهُمْ بِكُرَاعٍ أَوْ سِلاَحٍ .

وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا نُقِل عَنِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ الْحَنْبَلِيِّ فِي الآْدَابِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَلاَ يَخْتَلِفُ عَمَّا ذُكِرَ ، وَاسْتَدَل لَهُ بِإِهْدَاءِ عُمَرَ الْحُلَّةَ الْحَرِيرِيَّةَ إِلَى أَخِيهِ الْمُشْرِكِ . وَبِحَدِيثِ أَسْمَاءَ وَفِيهِمَا صِلَةُ أَهْل الْحَرْبِ وَبِرُّهُمْ وَصِلَةُ الْقَرِيبِ الْمُشْرِكِ ، وَمِنَ الْبِرِّ لِلْوَالِدَيْنِ الْكَافِرَيْنِ الْوَصِيَّةُ لَهُمَا ؛ لأَنَّهُمَا لاَ يَرِثَانِ ابْنَهُمَا الْمُسْلِمَ .

• بِمَ يَكُونُ الْبِرُّ :

يَكُونُ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا بِالْقَوْل اللَّيِّنِ الدَّال عَلَى الرِّفْقِ بِهِمَا وَالْمَحَبَّةِ لَهُمَا ، وَتَجَنُّبِ غَلِيظِ الْقَوْل الْمُوجِبِ لِنُفْرَتِهِمَا ، وَبِمُنَادَاتِهِمَا بِأَحَبِّ الأَلْفَاظِ إِلَيْهِمَا ، كَيَا أُمِّي وَيَا أَبِي ، وَلْيَقُل لَهُمَا مَا يَنْفَعُهُمَا فِي أَمْرِ دِينِهِمَا وَدُنْيَاهُمَا ، وَيُعَلِّمْهُمَا مَا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمَا ، وَلْيُعَاشِرْهُمَا بِالْمَعْرُوفِ ؛ أَيْ بِكُل مَا عُرِفَ مِنَ الشَّرْعِ جَوَازُهُ ، فَيُطِيعُهُمَا فِي فِعْل جَمِيعِ مَا يَأْمُرَانِهِ بِهِ مِنْ وَاجِبٍ أَوْ مَنْدُوبٍ ،

وَفِي تَرْكِ مَا لاَ ضَرَرَ عَلَيْهِ فِي تَرْكِهِ ، وَلاَ يُحَاذِيهِمَا فِي الْمَشْيِ ، فَضْلاً عَنِ التَّقَدُّمِ عَلَيْهِمَا ، إِلاَّ لِضَرُورَةٍ نَحْوِ ظَلاَمٍ ، وَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمَا لاَ يَجْلِسُ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا ، وَإِذَا قَعَدَ لاَ يَقُومُ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا ، وَلاَ يَسْتَقْبِحُ مِنْهُمَا نَحْوَ الْبَوْلِ عِنْدَ كِبَرِهِمَا أَوْ مَرَضِهِمَا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ أَذِيَّتِهِمَا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يُرِيدُ الْبِرَّ بِهِمَا مَعَ اللُّطْفِ وَلِينِ الْجَانِبِ ، فَلاَ يُغْلِظُ لَهُمَا فِي الْجَوَابِ ، وَلاَ يُحِدُّ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا ، وَلاَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ عَلَيْهِمَا .

وَمِنَ الْبِرِّ بِهِمَا وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا : أَلاَّ يُسِيءَ إِلَيْهِمَا بِسَبٍّ أَوْ شَتْمٍ أَوْ إِيذَاءٍ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ بِلاَ خِلاَفٍ . فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمَ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ : يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَاهُ » .

وَمِنْ بِرِّهِمَا صِلَةُ أَهْلِ وُدِّهِمَا ، فَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ

أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُولِّيَ» ، فَإِنْ غَابَ أَوْ مَاتَ يَحْفَظُ أَهْل وُدِّهِ وَيُحْسِنُ إِلَيهِمْ ، فَإِنَّهُ مِنْ تَمَامِ الإِحْسَانِ إِلَيْهِ .

وَرَوَى أَبُو أُسَيْدٍ وكَانَ بَدْرِيًّا قَال : «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ جَالِسًا ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَال : يَا رَسُول اللَّهِ هَل بَقِيَ مِنْ بِرِّ وَالِدَيَّ بَعْدَ مَوْتِهِمَا شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ؟ قَال : نَعَمْ ، الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا ، وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ رَحِمَ لَكَ إِلاَّ مِنْ قِبَلِهِمَا ، فَهَذَا الَّذِي بَقِيَ عَلَيْكَ» .

وَكَانَ ﷺ يُهْدِي لِصَدَائِقِ خَدِيجَةَ بِرًّا بِهَا وَوَفَاءً لَهَا ، وَهِيَ زَوْجَتُهُ ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْوَالِدَيْنِ .

• اسْتِئْذَانُهُمَا لِلسَّفَرِ لِلتِّجَارَةِ أَوْ لِطَلَبِ الْعِلْمِ :

وَضَعَ فُقَهَاءُ الْحَنَفِيَّةِ لِذَلِكَ قَاعِدَةً حَاصِلُهَا : أَنَّ كُل سَفَرٍ لاَ يُؤْمَنُ فِيهِ الْهَلاَكُ ، وَيَشْتَدُّ فِيهِ الْخَطَرُ ، فَلَيْسَ لِلْوَلَدِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ بِغَيْرِ إِذْنِ وَالِدَيْهِ ؛ لأَنَّهُمَا يُشْفِقَانِ عَلَى وَلَدِهِمَا ، فَيَتَضَرَّرَانِ بِذَلِكَ ، وَكُل سَفَرٍ لاَ يَشْتَدُّ فِيهِ الْخَطَرُ يَحِل لَهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِمَا ، إِذَا لَمْ يُضَيِّعْهُمَا ؛ لاِنْعِدَامِ الضَّرَرِ .

وَبِذَا لاَ يَلْزَمُهُ إِذْنُهُمَا لِلسَّفَرِ لِلتَّعَلُّمِ ، إِذَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ ذَلِكَ فِي بَلَدِهِ ، وَكَانَ الطَّرِيقُ آمِنًا ، وَلَمْ يَخَفْ عَلَيْهِمَا الضَّيَاعَ ؛ لأَنَّهُمَا لاَ يَتَضَرَّرَانِ بِذَلِكَ ، بَل يَنْتَفِعَانِ بِهِ ، فَلاَ تَلْحَقُهُ سِمَةُ الْعُقُوقِ .

أَمَّا إِذَا كَانَ السَّفَرُ لِلتِّجَارَةِ ، وكَانَا مُسْتَغْنِيَيْنِ عَـنْ خِدْمَـةِ ابْنِهِمَـا ، وَيُؤْمَنُ عَلَيْهِمَا الضَّيَاعُ ، فَإِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنِهِمَـا . أَمَّـا إِذَا كَانَـا مُحْتَاجَيْنِ إِلَيْهِ وَإِلَى خِدْمَتِهِ ، فَإِنَّهُ لاَ يُسَافِرُ بِغَيْرِ إِذْنِهِمَا .

وَفَصَّلَ الْمَالِكِيَّةُ فِي السَّفَرِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ ، بِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لِتَحْصِيلِ دَرَجَةٍ مِنَ الْعِلْمِ لاَ تَتَوَفَّرُ فِي بَلَدِهِ ، كَالتَّفَقُّهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَعْرِفَةِ الإِجْمَاعِ وَمَوَاضِعِ الْخِلاَفِ وَمَرَاتِبِ الْقِيَاسِ ، كَانَ لَهُ ذَلِكَ بِغَيْرِ إِذْنِهِمَا إِنْ كَانَ فِيهِ أَهْلِيَّةُ النَّظَرِ ، وَلاَ طَاعَةَ لَهُمَا فِي مَنْعِهِ ؛ لأَنَّ تَحْصِيلَ دَرَجَةِ الْمُجْتَهِدِينَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ ، قَال تَعَالَى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ** ﴾ ، أَمَّا إِنْ كَانَ لِلتَّفَقُّهِ عَلَى طَرِيقِ التَّقْلِيدِ ، وَفِي بَلَدِهِ ذَلِكَ ، لَمْ يَجُزْ لَهُ السَّفَرُ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا . وَإِذَا أَرَادَ سَفَرًا لِلتِّجَارَةِ يَرْجُو بِهِ مَا يَحْصُلُ لَهُ فِي الإِقَامَةِ فَلاَ يَخْرُجُ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا .

● حُكْمُ طَاعَتِهِمَا فِي تَرْكِ النَّوَافِلِ أَوْ قَطْعِهَا :

قَـال الشَّيْخُ أَبُـو بَكْـرٍ الطُّرْطُوشِـيُّ فِـي كِتَـابِ « بِـرِّ الْوَالِـدَيْنِ » : « لاَ طَاعَةَ لَهُمَا فِـي تَـرْكِ سُنَّةٍ رَاتِبَـةٍ كَحُضُـورِ الْجَمَاعَـاتِ ، وَتَـرْكِ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ وَالْوِتْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، إِذَا سَأَلاَهُ تَرْكَ ذَلِكَ عَلَى الـدَّوَامِ ، بِخِلاَفِ مَا لَوْ دَعَوَاهُ لأَوَّلِ وَقْتِ الصَّلاَةِ وَجَبَـتْ طَاعَتُهُمَـا ، وَإِنْ فَاتَتْـهُ فَضِيلَةُ أَوَّلِ الْوَقْتِ » .

• حُكْمُ طَاعَتِهِمَا فِي تَرْكِ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ :

سَبَقَ حَدِيثُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِيمَنْ أَرَادَ الْبَيْعَةَ وَأَحَدُ وَالِدَيْهِ حَيٌّ ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى تَقْدِيمِ صُحْبَتِهِمَا عَلَى صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَتَقْدِيمِ خِدْمَتِهِمَا ـ الَّتِي هِيَ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ وُجُوبًا عَيْنِيًّا ـ عَلَى فُرُوضِ الْكِفَايَةِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ طَاعَتَهُمَا وَبِرَّهُمَا فَرْضُ عَيْنٍ ، وَالْجِهَادُ فَرْضُ كِفَايَةٍ ، وَفَرْضُ الْعَيْنِ أَقْوَى .

• حُكْمُ طَاعَتِهِمَا فِي طَلَبِهِمَا تَطْلِيقَ زَوْجَتِهِ :

رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ أُحِبُّهَا ، وَكَانَ أَبِي يَكْرَهُهَا ، فَأَمَرَنِي أَنْ أُطَلِّقَهَا ، فَأَبَيْتُ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ طَلِّقِ امْرَأَتَكَ » .

وَسَأَلَ رَجُلٌ الإِمَامَ أَحْمَدَ فَقَالَ :« إِنَّ أَبِي يَأْمُرُنِي أَنْ أُطَلِّقَ امْرَأَتِي ، قَالَ : لَا تُطَلِّقْهَا ، قَالَ : أَلَيْسَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَرَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ؟ قَالَ : حَتَّى يَكُونَ أَبُوكَ مِثْلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » . يَعْنِي لَا تُطَلِّقْهَا بِأَمْرِهِ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ عُمَرَ فِي تَحَرِّيهِ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ ، وَعَدَمِ اتِّبَاعِ هَوَاهُ فِي مِثْلِ هَذَا الأَمْرِ .

وَاخْتَارَ أَبُو بَكْرٍ مِنَ الْحَنَابِلَةِ أَنَّهُ يَجِبُ لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ لِابْنِ عُمَرَ .

وَقَال الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّين بْنُ تَيْمِيَةَ فِيمَنْ تَأْمُره أُمُّه بِطَلاَق امْرَأَتِه ، قَال : لاَ يَحِل لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا بَل عَلَيْهِ أَنْ يَبَرَّهَا ، وَلَيْسَ تَطْلِيقُ امْرَأَتِهِ مِنْ بِرِّهَا .

• حُكْمُ طَاعَتِهِمَا فِيمَا لَوْ أَمَرَاهُ بِمَعْصِيَةٍ أَوْ بِتَرْكِ وَاجِبٍ :

قَال تَعَالَى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ** ﴾ ؛ وَقَال : ﴿ **وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ ، فَفِيهِمَا وُجُوبُ بِرِّهِمَا وَطَاعَتِهِمَا وَالإِحْسَان إِلَيْهِمَا ، وَحُرْمَةُ عُقُوقِهِمَا وَمُخَالَفَتِهِمَا،إِلاَّ فِيمَا يَأْمُرانِه بِهِ مِنْ شِرْكٍ أَو ارْتِكَابِ مَعْصِيَةٍ ، فَإِنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لاَ يُطِيعُهُمَا وَلاَ يَمْتَثِل لأِوَامِرِهِمَا ؛ لِوُجُوبِ مُخَالَفَتِهِمَا وَحُرْمَةِ طَاعَتِهِمَا فِي ذَلِكَ ، يُؤَكِّدُ هَذَا قَوْلُهُ ﷺ : « لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوق فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِق »، وَلِلْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ فِي سَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مَعَ أُمِّهِ فَقَدْ عَصَى أَمْرَهَا ، حِينَ طَلَبَتْ إِلَيْهِ تَرْكَ دِينِهِ ، وَبَقِيَ عَلَى مُصَاحَبَتِهَا بِالْمَعْرُوفِ بِرًّا بِهَا ، وَعِصْيَانُهُ لَهَا فِيمَا أَمَرَتْهُ بِهِ وَاجِبٌ ، فَلاَ تُطَاعُ فِي أَمْرِهَا لَهُ بِتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ[١] .

* * *

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، ط/١، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، ٦٤/٨ : ٧٢ .

المبحث الخامس

عقوق الوالدين

• مقدمة :

فتاة تطالب والديها بتعويض مقابل قيامها بتنظيف غرفتهما .
رجل يقتل والدته المُسنة .
ابن يحرق أباه .
شقي يطرد أمه مِن المنزل .
ولد يضع القمامة على رأس أبيه .

إنَّ عقوق الوالدين ذنب عظيم ، وكبيرة مِن الكبائر ، فهو قرين الشِّرك بالله تعالى ، وموجب للعقوبة في الدنيا ، وسبب لدخول النار وردِّ العمل في الآخرة ، وهو جحود للفضل ونكران للجميل ، ودليل على الحمق والجهل ، وعنوان على الخسة وحقارة الشأن وضعة النفس ، وهو قطع لعُرَى الصلة الأبوية ، وخروج عن مألوفها ومرغوبها .

• مفهوم عقوق الوالدين :

قال ابن الأثير : عقَّ والده يعقُّه عقوقًا ، فهو عاقٌّ : إذا آذاه وعصاه ، وخرج عليه ، وهو ضِدُّ البِرِّ به ، وأصله مِن العقِّ : الشقِّ والقطع »[(١)] .

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥٣٣/٣ .

وقيل : عقوق الوالدين : « كل فعل يتأذَّى به الوالدان تأذيًا ليس بالهيِّن »(١) .

وعقوق الوالدين : هو إغضابهما بترك الإحسان إليهما .

وقيل : عقوق الوالدين : ما يتأذَّى به الوالدان من ولدهما : من قول ، أو فعل ، إلا في شرك أو معصية ما لم يتعنت الوالدان .

والأقرب أن يقال : عقوق الوالدين : كل قول أو فعل ، أو تركٍ يتأذَّى به الوالدان .

• تحريم عقوق الوالدين :

عقوق الوالدين ليس جديدًا على المجتمع المعاصر ، وليس وليد الحضارة الحديثة وعصر الإنترنت ، بل يضرب بجذوره في النفس البشرية ، قال ابن الجوزي : « فإني رأيت شبيبة من أهل زماننا لا يلتفتون إلى برِّ الوالدين ، ولا يرونه لازمًا لزوم الدِّين ، يرفعون أصواتهم على الآباء والأمهات ، وكأنهم لا يعتقدون طاعتهم مِن الواجبات ، ويقطعون الأرحام التي أمر الله سبحانه بوصلها في الذِّكر ، ونهى عن قطعها بأبلغ الزجر ، وربما قابلوها بالهجر والجهر »(٢) .

وبرغم تحريم الله تعالى للعقوق ، وزجره الشديد عنه ، وأمره بالإحسان إلى الوالدين وحسن صحبتهما إلا أننا نرى عقوق الوالدين أصبح منتشرًا في المجتمع ، وأصبح ظاهرة واضحة ، ولو تأملنا

---

(١) القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا ، ص ٢٥٨ سعدي أبو جيب ، دار الفكر ، دمشق ، ط.٢، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٢) بر الوالدين ، ص١ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي .

واقع كثير مِن الأسر اليوم لوجدنا التفكك والتفرق والضعف ، فلا الصغير يحترم الكبير ، ولا الابن يقدر أباه ، ولهذا كان التحذير مِن العقوق شديدًا ، والوعيد عليه رهيبًا ، والتأكيد على أنَّ عاقبته مهلكة في الدارين متكررًا .

وقد وردت الأحاديث الكثيرة مؤكدة حرمة العقوق وقطيعة الرحم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُه ، قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ »(١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : « سُئِلَ النَّبِىُّ ﷺ عَنِ الْكَبَائِرِ ، قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ »(٢) .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاَثًا ، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا ، فَقَالَ : أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ ، قَالَ : فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ »(٣) .

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قَالَ : « الْكَبَائِرُ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ »(٤) .

وعن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ ، وَمَنَعَ وَهَاتِ ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ »(٥) .

---

(١) رواه مسلم . (٢-٥) رواه البخاري .

والعقوق مِن الذنوب التي يعجل الله فيها العقوبة في الحياة قبل الممات ، فعن أبي بكرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله تعالى يُعجِّلُه لصاحبه في الحياة قبل الممات »(١) .

وبعد هذه الأحاديث الصحيحة هل يتصور أحد أنَّه يخطر في باله عقوق للوالدين؟ وهل يمكن بعد هذا كله أن يكون في النفس متسع أو في القلب مجال لقسوة أو غلظة؟ وهل يمكن بعد هذا كله أن يلفظ اللسان بما لا يليق؟

يقول الإمام السيوطي : « وعقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الولد بكل طريق »(٢) .

إنَّ العقوق بعد هذا كله يكشف عن انحراف في الفطرة ، وضعف واختلال في الإيمان ، ونقص في حقيقة الالتزام بالإسلام ، فكيف يمكن أن يتصور عقوقك لامرأة حملتك في بطنها تسعة أشهر ، وأرضعتك عامين ، وظلت تغذوك بحنانها وعطفها ، فتسهر ليلها ، وتمرض في تمريضك ، ويشغل بالها أمرك أكثر مما يعنيها أو يشقيها أو يتعبها شيء يتصل بها؟ إن الإنسان الذي يجحد بعد ذلك أو يعق يمثل الصورة السيئة للانحراف ، ومِن هنا جاء الأمر

---

(١) رواه الحاكم .
(٢) الإتقان في علوم القرآن ، ٢٧٣/٢ جلال الدين السيوطي .

بالإحسان ، كما قال تعالى : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ .

ومِن هنا وجدنا أنَّ عقوق الوالدين مِن أكبر الكبائر مقترنًا بأعظم ذنب في الوجود كله ، لقول رسول الله ﷺ : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاَثًا ، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا ، فَقَالَ : أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ ، قَالَ : فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ »، فأكبر الكبائر وأعظم الذنوب على الإطلاق ثانيًا بعد الشرك بالله تعالى هو عقوق الوالدين .

أسباب عقوق الوالدين

لعقوق الوالدين أسباب كثيرة منها :

١- **الجهل :** فالجهل داءٌ قاتلٌ ، والجاهل عدوٌ لنفسه ، فإذا جهل المرء عواقب العقوق العاجلة والآجلة ، وجهل ثمرات البر العاجلة والآجلة قاده ذلك إلى العقوق ، وصرفه عن البرِّ .

٢- **سوء التربية :** فالوالدان إذا لم يربيا أولادهما على التقوى والبرِّ والصلة ، فإنَّ ذلك سيقودهم إلى التمرد والعقوق .

٣- **التناقض :** وذلك إذا كان الوالدان يعلمان الأولاد ، وهما لا يعملان بما يعلمان ، بل ربما يعملان نقيض ذلك ، فهذا الأمر مدعاة للتمرد والعقوق . فإذا سمع الولد أباه يتكلم عن البرِّ بينما يمكث الأيام الطوال لا يعرف عن والديه شيئًا ، ولا يتصل بهما ، ولا يأمر أبناءه بذلك ، فإن هذا سيكون له انعكاسات نفسية على الأبناء .

٤- **الصحبة السيئة للأولاد :** فهي مما يفسد الأولاد ، ومما يجرؤهم على العقوق كما أنها ترهق الوالدين ، وتضعف أثرهم في تربية الأولاد .

٥- **عقوق الوالدين لوالديهم :** فهذا من جملة الأسباب الموجبة

للعقـوق ، فـإذا كـان الوالـدان عـاقين لوالـديهم عوقبـا بعقـوق أولادهما ـ في الغالب ـ وذلك مِن جهتين :

الأولى : أنَّ الأولاد يقتدون بآبائهم في العقوق .

وآخرهما : أنَّ الجزاء مِن جنس العمل .

٦- **قلة تقوى الله في حالة الطـلاق :** فـبعض الوالـدين إذا حصـل بينهما طلاق لا يتقيان الله في ذلك ، ولا يحصـل الطـلاق بينهمـا بإحسان ؛ بل تجد كل واحد منهما يغري الأولاد بـالآخر ، فـإذا ذهبوا للأم قامت بذكر مثالب والدهم ، وبدأت توصيهم بهجره ، وهكذا إذا ذهبـوا إلى الوالـد فعـل كفعـل الوالـدة ، والنتيجـة أنَّ الأولاد سيعقون الوالدين جميعًا .

٧- **التفرقة بين الأولاد :** فهذا العمل يـورث لـدى الأولاد الشـحناء والبغضـاء ، فتسـود بيـنهم روح الكراهيـة ، ويقـودهم ذلـك إلى بغض الوالدين وقطيعتهما ، ولذلك يقول النبي ﷺ : « اتَّقُـوا اللَّـهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ »(١) .

٨- **إيثار الراحة والدَّعة :** فبعض النَّاس إذا كان لديه والدان كبيران أو مريضان رغب في التخلص منهما ، إما بإيداعهما دار المسنين ، أو بترك المنزل والسكنى خارجه ، أو غير ذلك ؛ إيثارًا للراحة ، وما علم أنَّ راحته إنما هي بلزوم والديه وبرهما .

---

(١) رواه مسلم .

يقول عبد الله السدحان : « وإن وجودهم في هذه الدور يدل على تخلِّي أبنائهم عنهم ، وأنها تمثل مظهرًا من مظاهر العقوق للوالدين »(١) .

٩- ضيق الصدر : فبعض الأبناء ضيق الصدر ، فلا يريد لأحد في المنزل أن يخطئ أبدًا ، فإذا كسرت زجاجة ، أو أفسد أثاث المنزل غضب لذلك أشد الغضب ، وقلب المنزل رأسًا على عقب . وهذا مما يزعج الوالدين ، ويكدر صفوهما ، وقد لا يستطيعان الكلام والشكوى احترامًا لابنهما وعدم جرح مشاعره ، أو اتقاء لشرّه ، فيعيشان في همٍ ونكد . كذلك قد تجد بعض الأبناء يأنف مِن أوامر والديه ، خصوصًا إذا كان الوالدان أو أحدهما فظًّا غليظًا ، فتجد الولد يضيق ذرعًا ، ولا يتسع صدره لهما .

١٠- قلة إعانة الوالدين لأولادهما على البرِّ : فبعض الوالدين لا يُعين أولاده على البرِّ ، ولا يشجعهم على الإحسان إذا أحسنوا ، فحقُّ الوالدين عظيم ، وهو واجب بكل حال .

لكن الأولاد إذا لم يجدوا التشجيع ، والدعاء ، والإعانة مِن الوالدين ربما ملوا ، وتركوا برَّ الوالدين ، أو قصروا في ذلك .

---

(١) تخلِّي الأبناء عن الوالدين، ص ٢ .

١١- **سوء خُلق الزوجة :** فقد يبتلى الإنسان بزوجة سيئة الخلق لا تخاف الله ، ولا ترعى الحقوق ، فتجدها تغري الزوج بأن يتمرد على والديه ، أو يخرجهما مِن المنزل ، أو يقطع إحسانه عنهما ؛ ليخلو لها الجو بزوجها ، وتستأثر به دون غيره .

١٢- **قلة الإحساس بمصاب الوالدين :** فبعض الأبناء لم يجرب الأبوة ، وبعض البنات لم تجرب الأمومة ، فتجد مِن هذه حاله لا يأبه بوالديه ؛ سواء إذا تأخر بالليل ، أو إذا ابتعد عنهما ، أو أساء إليهما .

مظاهر عقوق الوالدين

عقوق الوالدين يأخذ مظاهر عديدة ، وصوراً شتى ، منها ما يلي:

١- **إبكاء الوالدين وتحزينهما سواء بالقول أو الفعل ،** فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال : « أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ يُبَايِعهُ عَلَى الْهِجْرَةِ وَغَلَّظَ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَا جِئْتُكَ حَتَّى أَبْكَيْتُهمَا ـ يَعْنِى وَالِدَيْهِ ـ ، قَالَ : ارْجِعْ فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهمَا »[(١)].

وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : « بكاء الوالدين مِن العقوق والكبائر »[(٢)].

٢- **نهرهما وزجرهما ،** وذلك برفع الصوت ؛ والإغلاظ عليهما بالقول ، وهذا مما أدبنا الله سبحانه وتعالى بتركه ، قال تعالى : ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾ (الإسراء:٢٣).

قال الإمام الذهبي : « أي لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا وأسنا ، وينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا مِن خدمتك ، على أنَّ الفضل للمتقدم، وكيف يقع التساوي وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك ، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما »[(٢)] .

---

(١) رواه أحمد . (٢) رواه البخاري .

(٢) الكبائر ، ص ٣٩ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .

٣- العبوس ، وتقطيب الجبين أمامهما ، فبعض النَّاس تجده في المجالس بشوشًا مبتسمًا حَسن الخلق ، ينتقي مِن الكلام أطايبه ، ومِن الحديث أعذبه ، فإذا ما دخل المنزل ، وجلس بحضرة الوالدين انقلب ليثًا ، فتبدلت حاله ، وذهبت وداعته ، وتولت سماحته ، وحلت غلظته وفظاظته وبذاءته .

٤- النظر إلى الوالدين شزرًا : وذلك برمقهما بحنق ، والنظر إليهما بازدراء واحتقار .

قال معاوية بن إسحاق عن عروة بن الزبير قال : « مَا بَرَّ وَالِدَهُ مَنْ شَدَّ الطَّرْفَ إِلَيْهِ »(١) . ومعناه أن مَن نظر إلى والديه نظرة غضب كان عاقًّا وإن لم يكن يتكلم بالغضب ، فالعقوق كما يكون بالقول ، والفعل يكون بمجرد النظر المُشعر بالغضب والمخالفة .

٥- أن يتصدر المجلس في حضرتهما : ولا يلتفت إليهما ، فيجلس قبلهما ، ويبتدر الحديث دونهما أو دون استئذانهما ، فهذا يدل على الاستعلاء عليهما والتكبر ، ويسبب الحنق وتغير قلب الوالدين على ولدهما ، كما أنَّه يغضب المولى سبحانه وتعالى .

٦- الأمر عليهما ، كمن يأمر والدته بكنس المنزل ، أو غسل الثياب ، أو إعداد الطعام ؛ فهذا العمل لا يليق خصوصًا إذا كانت الأم عاجزة ، أو كبيرة ، أو مريضة .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة .

أما إذا قامت الأم بذلك بطوعها ، وبرغبة منها وهي نشطة غير عاجزة ، فلا بأس في ذلك ، مع مراعاة شكرها ، والدعاء لها .

٧- **انتقاد الطعام الذي تعده الوالدة ،** وهذا العمل فيه محذوران :

أحدهما : عيب الطعام ، وهذا لا يجوز ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « مَا عَابَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم طَعَامًا قَطُّ ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ » (١) .

والثاني : أنَّ فيه قلة أدب مع الأم ، وتكديرًا عليها .

٨- **ترك مساعدتهما في عمل المنزل :** سواء في الترتيب والتنظيم ، أو في إعداد الطعام ، أو غير ذلك . بل إن بعض الأبناء يَعدُّ ذلك نقصًا في حقِّه وهضمًا لرجولته ، وبعض البنات ترى أنها تعاني وتكابد العمل داخل المنزل فلا تعينها .

٩- **الإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا :** وذلك بترك الإصغاء إليهما ، أو المبادرة إلى مقاطعتهما أو تكذيبهما ، أو مجادلتهما ، والاشتداد في الخصومة معهما .

١٠- **قلة الاعتداد برأيهما :** فبعض الناس لا يستشير والديه ، ولا يستأذنهما في أي أمر مِن أموره ، سواء في زواجه ، أو طلاقه ، أو خروجه مِن المنزل والسكنى خارجه ، أو ذهابه مع زملائه لمكان معين ، أو نحو ذلك .

---

(١) رواه البخاري .

١١- ترك الاستئذان حال الدخول عليهما : وهذا مما ينافي الأدب معهما ، فربما كانا أو أحدهما في حالة لا يرضى أن يراه أحد عليها . فعن عطاء بن يسار « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، قَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا ، فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي خَادِمُهَا ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا »(١) .

١٢- إثارة المشكلات أمامهما : سواء مع الإخوان أو الزوجة ، أو الأولاد أو غيرهم . فبعض الناس لا يطيب له معاتبة أحد مِن أهل البيت على خطأ ما إلا أمام والديه ، ولا شكَّ أنَّ هذا الصنيع مما يقلقهما ، ويقض مضجعهما .

١٣- ذم الوالدين عند الناس والقدح فيهما ، وذكر معايبهما : فبعض الناس إذا أخفق في عمل ما ألقى باللائمة والتبعة على والديه ، ويبدأ يسوغ إخفاقه ويلتمس المعاذير لنفسه بأنَّ والديه أهملاه ، ولم يربياه كما ينبغي ، فأفسدا عليه حياته ، وحطما مستقبله ، إلى غير ذلك من ألوان القدح والعيب .

١٤- شتمهما ولعنهما : إما مباشرة ، أو بالتسبب في ذلك ؛ كأن

---

(١) رواه مالك .

يشتم الابن أبا أحد مِن الناس أو أمه ، فيرد عليه بشتم أبيه وأمه .

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ : نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » (١) .

١٥- **إدخال المنكرات للمنزل :** مما يتسبب في فساد الشخص نفسه ، وربما تعدى ذلك إلى فساد إخوته وأهل بيته عمومًا ، فيشقى الوالدان بفساد الأولاد وانحراف الأسرة .

١٦- **تشويه سمعة الوالدين :** وذلك باقتراف الأعمال السيئة ، والأفعال الدنيئة ، التي تخل بالشرف ، وتخرم المروءة ، وربما قادت إلى السجن والفضيحة ، فلا شكَّ أنَّ هذا مِن عقوق الوالدين ؛ لأنه يجلب لهما الهم والغم والخزي والعار .

١٧- **إيقاعهما في الحرج :** كحال مَن يستدين أموالاً ثم لا يسددها ، أو يسيء الأدب في المدرسة ؛ فتضطر الجهات المسئولة إلى استدعاء الوالد .

١٨- **المكث طويلا خارج المنزل :** وهذا مما يقلق الوالدين ويزعجهما على الولد ، ثم إنهما قد يحتاجان للخدمة ، فإذا كان الولد خارج المنزل لم يجدا مَن يقوم على خدمتهما .

---

(١) رواه مسلم .

١٩- **الإثقال عليهما بكثرة الطلبات :** فمِن النَّاس مَن يثقل على والديه بكثرة طلباته ، مع أنَّ الوالدين قد يكونان قليلي ذات اليد ، ومع ذلك ترى الولد يلح عليهما بشراء سيارة له ، وبأن يزوجاه ، ويوفرا له مسكنًا جديدًا ، أو بأن يطلب منهما مالاً كثيرًا كي يساير زملاءه .

٢٠- **إيثار الزوجة على الوالدين :** فبعض الناس يقدم طاعة زوجته على طاعة والديه ، ويؤثرها عليهما ، فلو طلبت منه أن يطرد والديه لطردهما ولو كانا بلا مأوى . وترى بعض الأبناء يبالغ في إظهار المودة للزوجة أمام والديه ، وتراه في الوقت نفسه يغلظ على والديه ، ولا يرعى حقهما .

٢١- **التخلي عنهما وقت الحاجة أو الكِبر :** فبعض الأولاد إذا كَبر وصار له عمل يتقاضى مقابله مالاً تخلى عن والديه ، واشتغل بخاصة نفسه .

٢٢- **التبرؤ منهما ، والحياء مِن ذكرهما ، ونسبته إليهما :** وهذا مِن أقبح مظاهر العقوق ، فبعض الأولاد ما إن يرتفع مستواه الاجتماعي ، أو يترقى في الوظائف الكبيرة إلا ويتنكر لوالديه ، ويتبرأ منهما ، ويخجل مِن وجودهما في بيته بأزيائهما القديمة ، وربما لو سئل عنهما لقال : هؤلاء خدم عندنا .

وبعضهم يرفض أن يذكر اسم والده في المناسبات العامة ؛ خجلا من ذلك ، وهذا العمل دليل على ضعة النَّفس ، وصغر العقل ،

وحقارة الشأن ، وإلا فالنفس الكريمة الأبية تعتز بمنبتها ، وأرومتها ، وأصلها ، والكرام لا ينسون الجميل .

٢٣- **التَّعدي عليهما بالضرب :** وهذا العمل لا يصدر إلا مِن غلاظ الأكباد ، وقساة القلوب ، الذين خلت قلوبهم مِن الرحمة والحياء ، وخوت نفوسهم مِن أدنى مراتب المروءة والنخوة والشهامة .

٢٤- **إيداعهم دور المسنيين :** وهذا الفعل غاية في البشاعة ، ونهاية في القبح والشناعة ، يقشعر لهوله البدن ، ويقف لخطبه شعر الرأس ، والذي يفعله لا خير فيه البتة .

يقول عبد الله السدحان : « ولقد دلَّس الشيطان على بعض الأبناء وأوحى إليهم أنَّ الرعاية التي تقدمها الدولة أو الجمعيات الخيرية مِن خلال دور رعاية المسنِّين أفضل وأشمل مِن الرعاية التي يقدمها الأبناء ، وبخاصة إذا كان الابن فقيرًا ، ومِن هنا يسوغ له أن يودعهما الدار أو أحدهما برًا بهما وخدمة لهما حسب ظنه »[١] .

٢٥- **هجرهما وترك برهما ونصحهما إذا كانا متلبسين ببعض المعاصي :** وهذا خلل كبير ، فبرُّ الوالدين واجب ولو كانا كافرين ، فكيف إذا كانا مسلمين وعندهما بعض التقصير .

٢٦- **البخل والتقتير عليهما :** فمِن النَّاس مَن يبخل على والديه ،

---

(١) تخلِّي الأبناء عن الوالدين، ص ٣٠ .

ويقتر عليهما في النفقة ، وربما اشتدت حاجتهما إلى المـال ، ومع ذلك لا يعبأ ولا يبالي بهما .

٢٧- **المنة وتعداد الأيادي على الوالدين :** فمِن النَّاس مَن قد يبر والديه ، ولكنه يفسد ذلـك بـالمنِّ والأذى ، وتعـداد الأيـادي ، وذكر ذلك البر بمناسبة ودون مناسبة .

٢٨- **السرقة مِن الوالـدين :** وهـذا الأمـر جمـع بـين محـذروين ، السرقة والعقوق ؛ فتجد مِن النَّاس مِن يحتاج للمال ، فيقـوده ذلك إلى السرقة مِن والديه إما لكبرهما ، أو لغفلتهما .

ومِن صور السرقة أن يخدع أحد والديه ، فيطلب منه أن يوقع على إعطائه كذا وكذا مِن المال أو الأرض أو نحو ذلك . وقد يستدين منهما ، وهو مُبيِّتُ النية على ألا يُسدِّد .

٢٩- **الأنين وإظهار التوجع أمامهما :** وهذا الأمر مِن أقبح صـور العقوق ؛ وذلك لأنَّ الوالدين يقلقان لمصاب الولد ، ويتألمان لألمه ، بل ربما يتألمان أكثر منه .

٣٠- **التَّغرب عن الوالدين دون إذنهما ، ودون الحاجة إلى ذلك :** فبعض الأبناء لا يـدرك أثـر بعـده عـن والديـه ، فـتراه يسـعى للغربـة والبُعـد عـن الوالـدين دون أن يسـتأذنهما ، ودون أن يحتاج إلى الغربة ، فربما ترك البلـد الـذي يقطـن فيـه والـداه دون سبب ، وربما تغرب للدراسة في بلد آخـر مـع أنَّ تلـك الدراسة مُمكنة في البلد الذي يسكن فيه والداه إلى غـير ذلـك مِن الأسباب التي لا تسوغ غربته .

وما علم أنَّ اغترابه عن والديه يسبب حسرتهما ، وقلقهما عليه ، وما علم أنَّه ربما مات والداه أو أحدهما وهو بعيد عنهما باختياره ، فيخسر بذلك برهما والقيام عليهما .

أما إذا احتاج الابن إلى الغربة واستأذن والديه فيها فلا حرج عليه .

٣١- **تمني زوالهما :** فبعض الأولاد يتمنى زوال والديه ليرثهما إن كانا غنيين ، أو يتخلص منهما إن كانا مريضين أو فقيرين ، أو لينجو مِن مراقبتهما ووقوفهما في وجهه كي يتمادى في غيه وجهله .

٣٢- **قتلهما والتخلص منهما :** فقد يحصل أن يشقى الولد ، فيقدم على قتل أحد والديه ؛ إما لثورة غضب ، أو أن يكون في حال سُكر ، أو طمعًا في الميراث ، أو غير ذلك .

هذه بعض المظاهر والصور لعقوق الوالدين ، ذلك العمل القبيح ، والمسلك الشائن ، الذي لا يليق بأولي الألباب ، ولا يصدر من أهل التقى والصلاح والرشاد ، فما أبعد الخير عن عاق والديه ، وما أقرب العقوبة منه ، وما أسرع الشر إليه .

قصص وأشعار في عقوق الوالدين

هذه بعض القصص التي تُبين لك عاقبة عقوق الوالدين ، وقبح فعله ، ودناءة تصرفه ، وخسة مسلكه .

• كما تدين تدان :

يذكر أنَّ عاقًّا كان يجر أباه من رجله إلى الباب ليخرجه مِن الدار ، فكان له ولد أعقُّ منه ، وكان يجره من رجله إلى الشارع ، وإذا بلغ به الباب ، قال : حسبك ، ما كنت أجر أبي إلا إلى هذا المكان ، فيقول له ولده : هذا جزاؤك والزائد صدقة مني عليك(١) .

• دعوة أب :

ذُكر أنَّ شابًا كان مُكبًّا على اللهو واللعب لا يفيق عنه ، وكان له والد صاحب دَين ، وكان كثيراً ما كان يعظ هذا الابن ، ويقول له : يا بني ، احذر هفوات الشباب وعثراته ، فإنَّ لله سطواتٍ ونقماتٍ ، ما هي مِن الظالمين ببعيد ، وكان إذا ألحَّ عليه زاد في العقوق وجار على أبيه .

ولما كان يوم مِن الأيام ألحَّ على ابنه بالنصح على عادته ، فمدَّ الولد يده على أبيه ، فحلف الأب بالله مجتهدًا ليأتين بيت الله الحرام ،

(١) بر الوالدين وصية الله لك، ص ٢٩ .

فيتعلق بأستار الكعبة ، ويدعو على ولـده ، فخـرج حتـى انتهـى إلى البيت الحرام ، فتعلق بأستار الكعبة وأنشأ يقول :

يا مَن إليه أتـى الحجـاج قـد قطعـوا عرض المهامة مِـن قـرب ومِـن بُعـد

إني أتيتـك يـا مَـن لا يخيِّـبُ مَـن يـدعوه مبتـهلاً بالواحـد الصـمد

هـذا مُنـازل لا يرتـد مـن عققـي فخذ بـحـقـي يا رحمن مـن ولـدي

وشل منـه بـحـول منـك جانبـه يـا مَـن تقـدس لم يُولـد ولم يلـد

فقيل : إنه ما استتم كلامه حتى يبس شق ولده الأيمن(١) .

● ابن يرمي أمه في دار المسنين :

يحكي الشيخ يحيى الزهراني هذه القصة المأسوية فيقول : ذُكِرَ أنَّ ولدًا أودع أمه العجوز في إحدى دور المسنين ، ولم يزرها سنوات بل لم يتصل بها إطلاقًا حتى تردت حالتها ، وعندما طلبت مِن مسئول الدار أن يتصل على ابنها لتراه ، وتضمه إلى صدرها ،

---

(١) التوابين ، ص٢٤٠ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣م .

وتقبله قبل أن تموت ، وسبقتها الدموع وهي تنادي باسمه قبل أن يحضر .

فاتصل مسئول الدار على ولدها وأخبره أن أمه تحتضر ، وتريد أن تراه وتقبله قبل أن تموت ، ولكن هذا العاق العاصي رفض ذلك وادَّعى ضيق الوقت ، وأنَّ عنده أعمالاً كثيرة ولديه تجارات وعقارات ، وأغلق الهاتف .

فلما توفيت الأم اتصل المسئول بالابن العاق وأخبره بوفاة أمه ، فكان جوابه : أكملوا الإجراءات وادفنوها في قبرها[١] .

● عاد إلى صوابه :

يذكر الشيخ موسى الزهراني هذه القصة فيقول : شاب متزوج ولديه أطفال أكبرهم عمره سبع سنوات ، ويعيش معه والده الطاعن في السنِّ ، وأمام إلحاح زوجته وكلامها المعسول بوضع والده في إحدى غرف المسجد المجاور لمنزلهم حتى لا يشق عليه الذهاب والإياب من وإلى البيت تيسيراً عليه مع تعهدها بالاهتمام بكل متطلباته ، طرح الرجل المغلوب على أمره الفكرة على والده الذي لم يكن له مِن خيار إلا الموافقة على مضض ، وبالفعل ذهب الرجل إلى السوق ومعه ابنه البكر ليشتري لوالده مستلزمات الغرفة التي في المسجد مِن فرش وسرير ودولاب ونحوه ، وكان مِن عناية الله به أن سأله ابنه الصغير المرافق له عما يشتريه ولماذا؟ فكان يجيبه إن ذلك

---

(١) حق الوالدين على الأبناء ، ص ٣٧ .

لجده حيث إنَّه سوف يقيم في إحدى غرف المسجد المجاور لمنزلهم ، فسأله هذا الطفل الصغير بمنتهى البراءة ومتى نشتري لك مثل ذلك يا أبي؟ فنزل السؤال على الأب كالصاعقة ، وزلزل الأرض مِن تحت قدميه ، وأفاق مِن غيبوبته ، فأعاد كل ما اشتراه إلى المحل ، ولم ينتظر أن يعيد له صاحب المحل فلوسه ، وعاد مهرولاً خجلاً إلى والده يقبله ويعتذر له ، ويؤكد له أنَّ له أقصى البيت ولهم أدناه ، أما الزوجة العاقة فقد خيرها بين والده وأبنائه أو بيت أهلها ، وهكذا عاد الرجل إلى صوابه ، وفتح الله على قلبه ، وكما تدين تدان ، والجزاء من جنس العمل ، وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها[1] .

• سافر دون إذن أبيه :

يقول الرجل الطاعن في السن : هذا ابني ـ هداه الله ـ يذهب لأداء العمرة، ويمكث العشر الأواخر مِن رمضان كلها في المسجد الحرام، وأنا آخر مَن يعلم ، ولم أعلم به إلاَّ مِن الجيران ، أين الالتزام؟ والذي أفهمه أنَّ الجهاد لا يجوز الذهاب إليه إلاَّ بعد استئذان الوالدين ، لماذا لم يخبرني بسفره فأنا لن أصده عن عبادة الله[2] .

• معاناة أم :

أمٌّ تخاطب أبناءها : يا أبنائي إني أحمد الله تعالى أن رزقنيكم في حين حرم غيري مِن هذه النعمة . يا أبنائي : ربيتكم وتعبت حتى

---

(١) تهميش الوالدين في حياتنا ، ص ٣٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٥ .

بلغتم مبلغ الرجال ، لكنني ألحظ منكم بعض التصرفات التي لا أعرف كيف أفسرها؟ فأنت يا (فلان) تأخذ زوجتك وأولادك وتسافرون لقضاء الأجازة الصيفية ، ولم أعلم إلاَّ مِن إخوتك ، ولم تستشرني أو تستأذنّي أو تعرض عليَّ أن أذهب معكم ، ولو عرضت عليَّ لمَا ذهبت معكم لكن هذا يريحني ، أم أنك خشيت ألاَّ أدخل عليكم السرور في سفركم لأنني أصبحت كبيرة في السن ، وكبيرات السن لا يحتجن إلى التمشية والنزهة .

وأنت يا (فلان) لا أذكر أنك مددت إليَّ يدك بمبلغٍ من المال ولو يسيرًا ، أم أنك تظنون أننا نحن العجائز لا نحتاج إلى المال؟ وفي الحقيقة أننا نحتاج إلى المال لشراء الأدوية وعمل التحاليل الطبية[1] .

• ما أشبه الليلة بالبارحة :

يا لفرحة أم نديم وهي ترى عروس ابنها الجميلة سها تُزّفُّ له ، إنها فرحة طالما انتظرتها لتجبر قلبها الكسير بعد وفاة زوجها ، فتسعد بذلك كما سعدت يوم تخرجه في كلية الهندسة ، وعُين في إحدى الشركات الكبرى ، فتركت مهنة الخياطة التي ما كانت لتعمل بها لولا الحاجة ، كانت تمضي سحابة يومها في استقبال زبائنها مِن الراغبات في الأناقة ، وتسهر ليلها خلف ماكينة الخياطة لتؤمن

(١) تهميش الوالدين في حياتنا ، ص ٣٦ .

لعيالها الحياة الكريمة بعيدًا عن الحاجة ، تتطلع إلى أملها الكبير ابنها نديم ليحمل عنها أعباء أضحت تنوء بحملها ، وهي على أبواب شيخوخة مبكرة جلبها كدح النهار وهمّ الليالي لإعالة الأيتام ، وتأمين الحياة الكريمة لهم بعيدًا عن العوز والفاقة .

لكن صاحباتها ممن يعرفن سها المعرفة الحقة كان يحدوهن تفاؤل حذر إلى تحفظ في الفرح والسرور ، وما منعهن الإقدام على نصيحتها إلا الخوف مِن أن يتهمن بالغيرة ، وذلك لأنَّ جمال سها البارع قد ملك على أم نديم قلبها ، ولم تدر أنَّ هذا الجمال لم يورثها إلا غطرسة وكبرًا ، بل وتسلطًا في الرأي يلمسه كل مَن يعرفها .

ومنذ أن اقترنت بابنها نديم أضافت إلى سلطانها وجبروتها عش الزوجية الجديد ، فأضحت رغباتها أوامر عند أفراد الأسرة جميعًا ، وأصبح زوجها لا يتوانى عن تنفيذ ما تحب أيًّا كان ذلك ، وإن حدث التواني أو التأجيل فلا اعتذار يُقبل ، بل ينطلق السخط مِن فمها فيحول المنزل إلى جحيم لا يُطاق .

وكان الجميع يطلب لنفسه السلامة برضاها ، وعمل ما يروق لها ، ولا زلت أذكر يوم كانت سها تشكو حب ابنتها سلوى لجدتها وعماتها وبرها لهم وتعلقها بهم . وكانت تقول : والله لن أدع لهم مكانًا في بيتي ، فإما أنا أو هم ، وليعمل ابنهم ما يشاء ، فمنزل أهلي يسعني .

ويأتي الزوج ويحتدم النقاش ، ويخونه بيانه ومنطقه ، ولم تسعفه أية حجة حتى قول الرسول ﷺ : « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم » .

لامس حسها الغليظ فما وجد منها غير التبلد واللامبالاة والإصرار على موقفها المشين ، فما كان مِن الزوج الذي اعتاد الانصياع لزوجته المتسلطة إلا أن رضخ لرغبتها ، ورأى أنَّ والدته برحابة صدرها أكثر تقديراً للأمور من زوجته ، فقرر أن يتحدث مع أمه قائلاً : إن زوجتي قد أتعبتني ، وترى أن لا حقَّ لأحد في زوجها وبيتها فماذا أعمل؟ فقالت الأم : اعمل ما تريد ، أما أنا وأخواتك فنفوض أمرنا إلى الله .

ثم خرجت وبناتها مِن البيت ، وفي نفسها تعتلج المشاعر الأليمة ، والضيق المكتوم ، وسها تشيعها بابتسامة تحكي قسوتها وفظاعتها ، وتخلو من كل معاني الإنسانية .

وعاشت الأم حياة بائسة قد لا تصل إلى حدِّ الكفاف ، وهي التي لا تفتأ تسمع عن حفلات ابنها وولائمه ، ونفسها تتوق إلى لقمة طعام مِن كده وسعيه ، فلا تلقى إلا صدقات بعض المُحسنين الذي يرجون ثواب الله في إعطاء الصدقة للمتعففين من ذوي الحاجات أمثالها .

وأما الزوجة سها فقد احتل أهلها منزل الزوج نديم ، وشعر أنَّه الذليل في بيته ، الجريح في رجولته ، وأصرَّ على عودة أهله ووالدته وأخواته الذين لا معيل لهم غيره ، ليشاركوه النِّعم التي أنعم الله بها عليه .

ولكن أنَّـى توافق سها على ذلك ، وهي التي ترفض حتى الكلمة الطيبة مِن ابنتها لهم ، إنَّ الغيرة قد أكلت قلبها ، والهـواجس الخبيثـة أفسدت عيشـهـا ، فـمـا تطيق أن تـرى زوجـهـا يسر لهـم بحـديث ، أو يبادلهم الابتسام أو حتى الهموم ، وتصر على الرفض ، وتطردهم مِن البيت .

وتمر الأيام والسنون ، ويحين موعد زفاف ابنتهم سـلوى ، ويجـد نديم أنَّ هذه فرصـته كـي يشـعر بحقـه الطبيعـي فـي القوامـة علـى المنزل ، وأن يظهر أمام أصهاره بالمظهر اللائق كرجل يحترم نفسه .

ودون استشارة زوجته سها دعا أهلـه لحضـور الفـرح ، كمـا دعـا أهل زوجته أيضًا ، وهكذا أصـبح عـرس سـلوى الفـرح الـذي وارى جراح أقاربها ولمَّ شعث أهلها .

وبعد سنوات قليلة مِن هذا الزواج ، تسقط سها في انهيار مريـع ، تبكي بمرارة وحرقة ما أسبغته على ابنتها سلوى من الجحود ، فقـد صار لها بيت ولا يأذن لي بدخوله ، يا لها مِن عاقة ، لا خـير فيهـا ، جحودة مُنكرة للجميل ، ويزداد تشنجها ، عندما يمر أمـام مخيلتهـا شريط جحودها لأهل زوجها ، وكأنها تقول : ما أشبه الليلة بالبارحة ، ومَن جرع غيره كأس العلقم احتساه بما قدمت يداه[1] .

● طرد أم :

كانت ترى فيه السعادة فهو وحيدها ، وهي كذلك كانت وحيدته ،

---

(١) تهميش الوالدين في حياتنا ، ص ٣٦ : ٣٩ .

إذ أنهما كما يقول أهل هذا الزمان «مقطوعان من شجرة» ، فلا قريب لهما ولا نسيب ولا صهر ولا حبيب .

مات زوجها ولم يترك وراءه لها سوى شقة في حيٍّ شعبي ، ليس في بيتها ما يرد العين إلاَّ أثاثٌ إذا رأيته عرفت مِن أول نظرة أنَّه لم يعد يصلح إلاَّ لزمن ولَّى أصحابه قبل عشرين عامًا .

مات زوجها وقد ترك لها في هذا البيت طفلاً رضيعًا في أشهره الأولى ، فكان كل متاعها في الدنيا .

مات زوجها وقد ترك لها معاشًا لا يفي بحاجتها مِن طعام وشراب .

رعت الأم صغيرها حتى أدخلته المدرسة ، وفي أول يوم غدا فيه إلى مدرسته يحمل على ظهره حقيبة صغيرة ينوء بحملها ، رأته ففاضت عيناها فرحًا بصغيرها الذي يستقبل أول أيام المستقبل ، كان ديدنها أن تغدو معه كل صباح إلى مدرسته سيراً على الأقدام ، وتنتظره في حر الشمس ظهرًا حتى يعود فتتلقاه بالقُبل ، وتحمل عنه حقيبته ويعودان للبيت .

مرت السنون وحصل الشاب على الشهادة الجامعية ، ولا يزال مع وحيدته الحبيبة أمه ، وكانت فرحة ممزوجة بالألم والأمل معًا ؛ تلك التي كان سببها سفره في بعثة لمواصلة دراسته العليا في الخارج ، كاد قلبها ينخلع مِن البكاء عندما أغلقت عليه باب سيارة الأجرة التي ستوصله إلى المطار ليغيب بعدها عن حبيبته الغالية ست سنوات لا يعرف مِن أخبارها شيئًا إلاَّ بواسطة رسائل الجيران

الذين تطلب منهم جارتهم العجوز كتابتها لابنها الذي سافر بقلبها معه . كانت تضم صورته إلى صدرها كل ليلة وتبلها بالدموع حتى يغلبها النوم ، فتنام لتراه في المنام ، هكذا هي طوال سنواتها العجاف .

مرت السنوات . . وإذا بها تتلقى رسالة مِن ابنها الدكتور يخبرها فيها أنَّه قاب قوسين أو أدنى من رحلة العودة ، وتمر الأيام ويدخل إلى المنزل رجل قارب الثلاثين مِن عمره يلبس ملابسًا أنيقة ، حضنته الأم بيديها الضعيفتين وغابت عن الدنيا .

وتمر السنون وينتقل بها إلى منزل اشتراه يليق به وبمنصبه ، وتزوج امرأة ثرية ذات منصب وجمال ، لكنها كانت أنموذجًا من النساء بارعًا في التَّكبر والغرور والازدراء لأُمِّه والاحتقار لها ولكلامها ولبسها .

صبرت الأم ولم تشأ أن تجرح مشاعر ابنها ، فلم تخبره بشيء مما يقع لها معها ، كانت تلك المرأة تسومها سوء العذاب كل يوم ، حتى إذا قدم الدكتور مِن عمله انفردت به في غرفتها ، وسردت له أحداث النهار كله ، وكيف أنها عانت مِن أمه معاناة شديدة . . كان يعجب أشد العجب إذا سأل أمه عن زوجته : كيف هي؟ فتثني عليها خيرًا ما استطاعت ، كل ذلك اتقاء ما يجرح شعوره ويغضبه .

نفد صبر الابن ، ونفد ما كان في قلبه مِن بقايا رحمة ، فوقف أمام أمه وقال لها بصوت مرتفع : يا أمي إما أن تراعي منصب زوجتي وتستقبلي زميلاتها بثياب حسنة وكلام زين ولا تجلسي

معهم في الصالة ، وإلاَّ . . . التفتت الأم العجوز وخبأت رأسها بين يديها المرتعشة وانهارت باكية .

حملت الأم في يدها كيسًا مِن القماش أودعته ما لديها مِن ثياب ، وخرجت حتى إذا وقفت بباب القصر المنيف ، التفتت إليه ودموعها تنهمر على خديها وقالت : سامحك الله يا ولدي ، والله ما عملت لكم إلاَّ كل خير أنت وزوجتك ، والله ما أذكر أني جرحتها بشيء ، وذهبت إلى حيث لا تعلم .

مرت الأشهر وهي تساءل عنه ما تبقى مِن جيرانها لتعلم هل هو بخير ، هل مرض ، هل رزق بأطفال؟

مرض الابن ودخل المستشفى ، وسمعت أمه بالخبر ، فذهبت لتطمئن عليه ، فوجدت زوجته عند باب غرفته في المستشفى ، فأغرت بها الأطباء والممرضات وأنها عجوز مجنونة لا عقل لها ، نخاف على الأجهزة الطبية منها ، فأخرجوها وهي تبكي قائلة : أريد أن أرى ولدي حبيبي ، لا تحرموني من رؤيته .

خرج الابن مِن المستشفى ولم يُخبَر بزيارة أمه له . . أنفق أموالاً طائلة في علاج مرضه ، وباع بعض أثاث منزله ، وقفت زوجته في وجهه يومًا على إثر خلاف بينهما لتكثر عليه الطلبات ، فلما لم يستجب قالت : صبرت عليك وعلى أمك مِن قبل ، أنت الآن وللأسف لم تعد رجلاً صالحًا لي ، ولا استعداد لدي أكثر مِن هذا أن أعيش مع فقير مثلك ، طلقني .

أخذ الابن يبحث عن ذكريات قديمة مفقودة اسمها أمه الحبيبة الغالية المظلومة ، طرق باب كل بيت في الحي القديم ، وسأل عنها كل جار ، لكن دون جدوى ، بحث عنها في ثلاجات المستشفيات ، وفي أقسام الشرطة . أعياه التعب حتى ظن أنها قد ماتت .

وفي يومٍ ما وفي طريق عودته مر بمسجد الحي القديم ، فإذا به يرى منظراً يقطع القلب ويمزق الأحشاء ويستنزف الدموع . . إنها أمُّه الحبيبة الغالية تتسول على رصيف المسجد ، وتمد يدها بحثًا عن الصدقات .

ارتمى بين يديها يقبل أقدامها ويديها ويضع قدميها على خديه ، وبكاؤه يشق سماء الحيّ ، حملها بين يديه أمام المُصلين ، وذهب بها يمشي إلى منزله وهو يردد بصوت مخنوق بالدموع والحسرات : لعنة الله على الزوجة الفاجرة . . وعلى مَن فرَّق بيني وبين أمي(١) .

• الأم المريضة والبنت العاقة :

الأم تتدهور صحتها يومًا بعد يوم ، وتبحث عن ابنتها لتعطيها الدواء فلا تجدها ، فالبنت مشغولة بشراء فساتين زواجها ، فتتنقل مِن محل إلى آخر ، والأم تصارع الآلام الرهيبة ، تمضي الأيام ثقيلة على الأم ، وثقيلة جدًا على البنت التي تستعجل يوم فرحها وزواجها .

---

(١) تهميش الوالدين في حياتنا ، ص ٤٠ : ٤٤ .

اقترب موعد الزواج ، ودنت الأمُّ مِن سكرات الموت ، حان اليوم المشهود ، ولبست البنت الفستان البيض ، والأمُّ تنظر بعينٍ كسيرة إلى قماش أبيض (كفن) مُعَدٍّ لها في زاوية البيت ، دخلت البنت في نشوة الفرح ترقص ، والأمُّ ترتفع روحها إلى بارئها ، فحامت روحها على الحفل تعاتبهم بهذه الأبيات :

والسعد مِن حولكم يشدو به القمرُ
في قبضة الموت والأنفاس تعتصرُ
موتي ورفرف في أعصابي الكدرُ
قلبٌ على جمرة الآهات ينصهرُ
في لحظة الموت عينُ اللحن والوترُ
وعاد يبكي ونار الحزن تستعرُ
شوق إليكم فحامت وهي تحتضرُ
فلم ير نورها من جمعكم بصرُ
تزينت فظننتم أنها قمرُ
من صورتي لمعاني شدوكم صورُ
شمطاء يختال في أعطافها الخورُ
سهام نكرانكم كالشهب تنهمرُ
من شوكة كاد قلبي عنه ينفطرُ
إلي يدي إذ دنا من نبضها الخصرُ

وبعضـــكم لرحيلـــي كـــان ينتظـــرُ
كأنـمــــا لم يكـــن لي بيـــنكم أثـــرُ
طـــاب الغنـــاء وطـــاب الـــرقص والســـمرُ
تــمــتــعـــوا بنعـــيم زائـــل وأنـــا
أحـــبتي أيـــن أنـــتم حـــين داهـــمنـــي
أما ســمــعـتـــم نـــدائي حـــين أرسَـــله
يـــا ويحكـــم شـــغلتكم عـــن مـــرافقتي
تلفّـــت القلـــبُ لم يبصـــر لكـــم أثـــرًا
وعند ما نُزِعَـــت روحـــي ألـــمَّ بـــهـــا
طافـــت علـــى حفلكـــم تبكـــي مودعـــةً
أعمـــت بصـــائركم أضـــواءُ فاســـقةٍ
أحـــبتي لـــو صبـــرتـــم ليلـــة ظهـــرت
أكـــان لا بـــدَّ أن تشـــدو علـــى كفـــني
أكـــان لا بـــدَّ أن أقضـــي وفي كبـــدي
لـــو اشـــتكى بعضـــكم إذ كنـــت بيـــنكم
وهـــا أنـــا مِـــتُ وحـــدي لم تُمـــد يـــدٌ
أظـــنكم قـــد مللـــتم مِـــن مـــرافقتي
فها أنا مِتُ فاشـــدوا وارقصـــوا طربًـــا(١) .

---

(١) تهميش الوالدين في حياتنا ، ص ٤٤، ٤٥ .

• الابن البخيل :

يذكر الأستاذ منير عرفة قائلاً : ذكر أحد بائعي المجوهرات قال : دخل عليّ رجل ومعه زوجته ، ومعهم عجوز تحمل ابنهما الصغير ، أخذ الزوج يضاحك زوجته ويعرض عليها أفخر أنواع المجوهرات يشتري ما تشتهي ، فلما راق لها نوع مِن المجوهرات ، دفع الزوج المبلغ ، فقال له البائع : بقي ثمانون ريالاً ، وكانت الأم الرحيمة التي تحمل طفلهما قد رأت خاتمًا فأعجبها لكي تلبسه في العيد ، فقال : لماذا؟ قال : لهذه المرأة قد أخذت خاتمًا ، فصرخ بأعلى صوته وقال : العجوز لا تحتاج إلى الذهب ، فألقت الأم الخاتم وانطلقت إلى السيارة تبكي مِن عقوق ولدها ، فعاتبته الزوجة قائلة : لماذا أغضبت أمك ، فمن يحمل ولدنا بعد اليوم؟ ذهب الابن إلى أمه ، وعرض عليها الخاتم ، فقالت : والله ما ألبس الذهب حتى أموت ، ولك يا بني مثله ، ولك يا بني مثله[١] .

• الولد الحقير :

خرجت لنزهة مع أهلي على شاطئ البحر ، ومنذ أن جئنا هناك ، وامرأة عجوز جالسة على بساط صغير كأنها تنتظر أحدًا ، قال : فمكثنا طويلاً ، حتى إذا أردنا الرجوع إلى دارنا وفي ساعة متأخرة مِن الليل سألت العجوز ، فقلت لها : ما أجلسك هنا؟ فقالت : إن ولدي تركني هنا وسوف ينهي عملاً له ، وسوف يأتي ، فقلت لها :

---

(١) وبالوالدين إحسانا ، ص ٢٠ منير عرفة .

لكن الساعة متأخرة ، ولن يـأتي ولـدك بعـد هـذه السـاعة ، قالـت : دعني وشأني ، وسأنتظر ولـدي إلى أن يـأتي ، وبينمـا هـي تـرفض الذهاب إذا بها تحرك ورقة في يدها ، فقلت : هل تسمحين لي بهذه الورقة لعلَّني أجد رقم الهاتف أو عنوان المنزل ، فإذا هـو مكتـوب : إلى مَن يعثر على هذه العجوز نرجو تسليمها لدار المسنين[١] .

● قسوة ابن :

قال الأصمعى : حدثنى رجلٌ مِن الأعراب قـال : خرجـت أطـوف بالأحياء ، حتى انتهيتُ إلى شيخٍ في عنقه حبل يستقى بـدلو لا تطيقـه الإبل في الهاجرة والحر شديد ، وخلفه شاب في يده رشاء (حبل) من قدٍ (سوط ـ سير جلد) ملوي يضربه به ، قد شق ظهره بذلك الحبـل ، فقلت : أما تتقى الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه مِـن هذا الحبل حتى تضربه؟ قال : إنَّه مع هذا أبى . قلت : فـلا جـزاك الله خيراً . قال : اسكت فهكذا كان يصنع بأبيه[٢] .

● أمية بن أبى الصلت وابنه :

عاتب أمية بن أبى الصـلت ابنـه يومًـا وقـد ضـنَّ عليـه في الإنفـاق بعدما هرم وشاخ فقال له :

غَـــذَوْتُكَ مولـــودًا وَعُلْتُـــكَ يافعًـــا
تُعَلُّ بـــمـــا أدنـــي إليـــك وتَنْهَـــلُ

(١) وبالوالدين إحسانا ، ص ٢١ .

(٢) المحاسن والمساوئ ، ص ٢٣٥ إبراهيم بن محمد البيهقي .

إذا ليلـــةٌ نابَتْـــكَ بالشَّـــكْوِ لم أَبِـــتْ
لشَــــكْواكَ إِلا ســـــاهرًا أَتَمَلْمَـــــلُ
كأني أنـــا المطـــروقُ دوَنـــكَ بالـــذي
طُرِقْـــتَ بـــه دوني وعـــينيَ تَهْمُـــلُ
تَخَافُ الرَّدَىْ نَفْسِي عليكَ وإِنــهـــا
لـــتَعلمُ أن المـــوتَ حـــتمٌ مؤجـــلُ
فلمـــا بَلَغْـــتَ السِّـــنَّ والغايـــةَ الـــتي
إليها مَدَىْ مـــا كُنْـــتَ فيـــكَ أُؤَمِّـــلُ
جَعَلْتَ جزائيْ منـــكَ جَبْهًـــا وغِلْظـــةً
كأنـــكَ أنـــتَ المـــنعمُ المتفضِّـــلُ
فليتـــكَ إذ لم تَـــرْعَ حَـــقَّ أُبُـــوَّتي
فَعَلْـــتَ كمـــا الجـــارُ المجـــاوِرُ يفعـــلُ
وسَـــمَّيْتَني باسْـــمِ المُفَنَّـــدِ رأيُـــهُ
وفي رَأْيِكَ التفنيـــدُ لـــو كُنْـــتَ تعقـــلُ
تَـــراهُ مُعِـــدًا للخِـــلاَفِ كأنـــهُ
بِرَدٍّ على أَهْـــلِ الصَّـــوَابِ مُوَكَّـــلُ(١)

---

(١) الأغاني ، ١٣٧/٤ أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، دار الفكـر ، بيروت ، ط ٢.

● فرعان وابنه :

كان في زمن عبد الملك بن مروان يقال له : مُنازل ، وكان له أب كبير يقال له : فَرْعان ، وكان الشاب عاقًا لأبيه ، فقال الشيخ :

جَزَتْ رحمٌ بينى وبين مُنازل جزاءً كما سينجز الدين طالبه

ثم ابتُلى مُنازل بابن يقال له : جُليح عقه في عمره فقال :

تَظَلَّمنى ما لى جُليح وعقنى على حين كانت كَالجَنِي عظامى

فأراد الوالى ضربه ، فقال الابن للوالى : لا تعجل عليَّ هذا مُنازل ابن فَرْعان الذي يقول فيه أبوه :

جَزَتْ رحمٌ بينى وبين مُنازل جزاءً كما سينجز الدين طالبه

فقال الوالى : يا هذا عَققت وعُققت[1] .

● ابن يذبح والده :

ذُكر أنَّ رجلاً حمل أباه الطاعن في السن ، وذهب به إلى مكان بعيد ، فقال الأب : إلى أين تذهب بي يا ولدي؟ فقال : لأذبحك ، فقال : لا تفعل يا ولدي ، فأقسم الولد ليذبحن أباه ، فقال الأب : فإن كنت ولا بدَّ فاعلاً فاذبحني هنا عند هذا الحجر ، فإني قد ذبحت أبي هنا ، وكما تدين تُدان[2] .

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ١٤٧/٢ أبو القاسم حسين ابن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني .

(٢) وبالوالدين إحسانا ، ص ٢٦ .

● اتركوه في ثلاجة الموتى :

توفي رجل مسن في إحدى المستشفيات ، فاتصل الطبيب المسئول بولده في الساعة الثانية عشرة ليلاً ، وأخبره بوفاة والده ، فما كان مِن الابن العاق إلا أن امتعض مِن هذا الاتصال وقال : أتتصل بي في هذه الساعة المتأخرة مِن الليل لتخبرني بوفاة والدي؟ وماذا تنتظر مني أن أفعل؟ أنا مسافر صباحًا لمدة ثلاثة أيام ، ضعوه في الثلاجة ، وسأراجعكم حين عودتي مِن أجل استلام الجثة[(١)] .

● الولد والطبيب :

شاب يقتل والده بمساعدة الطبيب الذي كان يتولى علاجه ، وبينت التحقيقات أنَّ الشاب طمع في أموال والده ، ومن ثَمَّ فقد وعد الطبيب المشرف على علاج والده بحصة معتبرة إن ساعده على قتل والده ، فقام طبيب الموت بفصل جهاز التنفس عن المريض ، ووقف يراقب المريض وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، دون تقديم أية مساعدة له[(٢)] .

● الولد الخسيس :

أخذ الولد مِن أمه مبلغًا كبيرًا من المال ، فلما طالبت الأم ابنها الأول بالأموال قال : أنت سكنت في البيت عندي ثلاث سنوات

---

(١) مجلة عالم الجريمة .

(٢) أخبار الحوادث .

تأكلين وتشربين ، اعتبري هذا المبلغ على سبيل الإيجار ونفقة الأكل والشرب[(١)] .

• الحفيد الذكي :

هذا رجل متزوج قالت له زوجته : لا بدَّ أن تذهب بأبيك خارج البيت ، لا نستطيع أن نتحمل هذا الطاعن في السن ، فهمَّ أن يخرج به إلى كهفٍ ويضعه هناك ، فأخذ الزوج أباه الطاعن في السن ، وفي الطريق قال الأب لابنه : أتطرحني في الكهف وهناك برد ، هلاَّ أتيت لي بلحاف ، وكان لهذا الابن ابن وهو حفيد الجد المأخوذ إلى الغار ، فقال الأب لولده الصغير : اذهب وأحضر لحافًا لجدك ، وكان هذا الولد الصغير ذكيًا ، فذهب وجاء بنصف لحاف ، فأعطاه لأبيه ، وقال : هذا لجدي الذي طلبت ، فقال : هذا نصف لحاف ، فأين النصف الآخر؟ قال : خبأته لك يا أبي[(٢)] .

• الولد القاتل :

حُكي أن رجلاً بالبصرة ، وكان يتمنى أن يُرزَق ولدًا وينذر عليه النذور ، فوُلِدَ له وسُرَّ به ، وأحسن تربيته حتى ارتفع عن مبلغ الأطفال إلى حدِّ الرجال ، ولم يهمه شيء مِن أمر الدنيا سوى هذا الولد ، وقد أحسن إليه غاية الإحسان ، فلم يشعر الأب ذات يوم

---

(١) أخبار الحوادث .

(٢) سمعت هذه القصة من صديق عربي .

إلا بخنجر خالط جوفه مِن وراء ظهره ، فاستغاث بابنه مرتين فلم يجبه ، فالتفت فإذا هو صاحب الضربة المميتة ، وقتله طمعًا في ماله .

● **الجحود :**

رجل كبير تجاوز السبعين مِن عمره ، أصابه مرض شديد ، يعيش مع ابنه الكبير . . قالت زوجة : أنا على وشك ولادة ، ووالدك دائمًا أمامي وأشعر بانزعاج وهو أمامي . . فاتصل الأخ الأكبر على شقيقه الأصغر واتفقا أن يذهبا به إلى دار المسنين .

أخذوا والدهم وهو لا يدري أين سيذهب ، قالوا له : سنذهب بك إلى المستشفى كي يرعوك هناك وفعلاً ذهبوا به ، لكن إلى دار المسنين . . دخل الأب ولم يذهبوا لزيارته إلا بعد ستة شهور ، وقد دخل الأب في مرحلة اكتئاب وزهايمر .

● **الجحود القاتل :**

رجل تجاوز التسعين مِن العمر ، وفي بعض الأحيان يفقد وعيه ويفقد الذاكرة حتى يصبح كالمجنون ، لقد قام بتزويج أبنائه الثلاثة ، وأسكنهم في نفس البيت ، ولكن كانت زوجات أولاده قد تضايقوا مِن وجود هذا الأب ، فوضع البنات خطة لطرد هذا الأب ، وأقنعوا الأزواج بالذهاب به إلى دار المسنين ، واستجاب الأبناء وذهبوا بوالدهم إلى دار المسنين وقالوا لمدير الدار : إن هذا الرجل العجوز وجدناه في الطريق ونريد أن نكسب الأجر فوضعناه عندكم في دار المسنين .. رحب مدير الدار بهذا الأمر .. وانصرف الأبناء في سيارة ،

وبعد أقل مِن دقيقة تتعرض السيارة لحادثة بشعة ، ومات اثنان مِن الأشقاء ، وأما الثالث فقد أصيب بكسر في العمود الفقري ، ويعيش على كرسي متحرك ، وقال بعد أن أفاق مِن العملية الجراحية : هذا انتقام الله(١) .

● **قسوة ابن :**

توفي زوجي ، فلم يهن عليَّ أن أتشاغل عن ابني بزواج خشيةً عليه ، فوقفت حياتي كلَّ حياتي صباحها ومساءها ، ليلها ونهارها لأجله ، وتمضي الأيام ، وأنا أعدُّها عدًّا أنتظر ذلك اليوم الذي أُراه فيه في مصاف الرجال ، وقد كرست كل جهدي لتربيته على معالي الأخلاق ، ووطنت نفسي أن أبذل كل ما أستطيع حتى يبلغ ذلك المقصد الجليل ، فلم يزل يتفوق في دراسته حتى نال مِن الشهادات أعلاها ، وها هو يوشك أن يتبوأ الوظيفة المرموقة والوجاهة بين الناس ، فسعيت لتزويجه بامرأة تسعده بعد أن كَلَلْتُ وضعفت عن خدمته لكبر سني ، وها هو أول أولاده ماثلٌ بين يدي ، فرأيت فيه طفولة ابني وفلذة كبدي ، وأعادني لذكريات تربيتي لأبيه ، ويسألني حفيدي ذات يوم ببراءة الطفولة ما هذه الخطوط التي تحف وجهك من جانبيه يا جدتي ، وكأنه يقرأ آثار الأيام السالفة . ولدى بلوغي هذه المرحلة من العمر إذا بأمور تحدث في جنبات البيت ، لتبدأ زلزلة كياني وهز وجداني ، حيث فوجئت بزوجة ابني وقد قلبت

(١) أخبار الحوادث .

لي ظهر المجن ، فأجد سريري ومتاعي وثيابي عند عتبة الباب!! يا للعجب لعل حريقًا قد حلَّ بالبيت أثناء غيبتي ، أم لعلهم أرادوا تجديد أثاث البيت؟

وبعد أن طرقت الباب ، إذا بزوجة ابني تطلق رصاصات قاتلة مِن بين ثنايا فمها فتقول : قد تحملناك في السنين الماضية ، فلتذهبي إلى إحدى أخواتك أو بعض أقاربك ، فالبيت يضيق بك ، وبتِّ شخصًا غير مرغوبٍ فيه عندي ؛ فانعقد لساني ، وبقيت عند الباب أنتظر حضور ابني فهو أملي بعد الله ، ولن يرضى لأمه أن يُساء لها ، ولما حضر ابني أخبرته الخبر ، وأنا أحاول أن تكون ردة فعله متعقلة غير مُتسرعة خشية أن يطلق زوجته أو يضربها بسبب جرأتها ، ثم كانت المفاجأة . . المفاجأة التي شعرت معها كأن جمرًا يتوقد بين أضلعي ، إنه يؤكد خبر زوجته ويقول : ولكن بإمكانك لفترة مؤقتة أن تسكني في الغرفة الخارجية الملحقة بالسور ، وأن تضعي متاعك في الغرفة العلوية في السطح إلى أن تجدي مكانًا تذهبين إليه .

يا ترى مَن الذي أمامي أهو ابني أم أنَّه مسخٌ له ؟ لقد انعقد لساني ، وجف دمعي ، وخارت قواي ، ولكن لا مجال لي إلا أن أرضى بما عرضوه علي ، فلا حيلة لي ولا خيار ، ولقد حاولت فما كان جزائي إلا التبكيت والتعنيف مِن سيدة البيت ، أما طعامي فعليَّ أن أنتظر حتى تنتهي سيدة البيت وزوجها منه ، ثم أجد ما فضل منهم عند عتبة الباب بعد أن أخذ مني الجوع كل مأخذ .

وأما زوجها فقد قرر أنَّ هذا بيتها وهي سيدته، وأنها بنت الناس، لا يملك أن يمنعها مِن حقها في إدارة بيتها، فلها أن تمنع مَن شاءت، وأن تأذن لمن تشاء.. ومع كل ذلك كان قلبي متعلقًا به، بل حتى برؤيته، بل حتى برائحته، فمع كل ما أقاسيه كنت أتمنى رؤية ابني وأولاده ولو دقائق معدودة في الأسبوع، ولكن هيهات هيهات، ولسوف أتذكر ما حييت ذلك اليوم الذي خرجت فيه مِن غرفتي عندما سمعت بكاء حفيدي الصغير بجانب غرفتي، فاحتضنته وتشممته، فتذكرت ابني الوحيد، تذكرت طفولة ولدي يوم كنت أرضعه وأنظِّفه وألاعبه، فلم أتمالك إلا أن أحمله وأضمه إليَّ وأقبله، وأقبل يديه ورجليه، ولم يقطع عليَّ هذه اللحظات الرائعة إلا ضربة على كتفي، لقد فوجئت بأمه مِن ورائي تدفعني وتوبخني وتنتزعه مني وتنهرني: ماذا تريدين أيتها العجوز؟ ألا تتأدبين وقد سمحت لك بالبقاء حتى تتجرئي وتمتد يدك إلى ولدي؟ ثم غادرت الغرفة بحفيدي وكأنما اقتلعت معها جزءًا من كبدي.

ولما كان مِن المساء طرت فرحًا بحدث غريب، إنه ابني شاخصٌ فوق رأسي داخل غرفتي ولأول مرة، يا للفرحة والسعادة. في الصباح حفيدي والآن ولدي، وبرغم عجزي وضعفي إلا أنَّ القوة تعود إلى بدني وهاهي روحي تبتهج، فقد نهضت فرحةً بدخول ولدي إلى غرفتي بعد أن لم يطأ عتبتها منذ أشهرٍ عديدة، لكن سرعان ما تبدد هذا الفرح، لقد تبخر مع عباراتٍ التوبيخ

والتقبيح مِن ابني ، يبدو أنك بدأت تخرفين ، أو أنـك تعانـدين ، ألم أمنعك من التـدخل فيمـا لا يعنيـك؟ ألم نمنعـك مِـن الـدخول إلى البيت؟ ألا يكفي أنها سمحت لك بالسـكن في هـذه الغرفـة؟ كيـف تجترئين لتأخذي الطفل إلى هذه الغرفة؟ ألا تعلمين أنك بـذلك قـد تسببين له المرض بسبب غرفتك الملوثة؟ ألا تعلمين أنك سـتعدينه بصحتك المتدهورة؟

قلت : يا أسفاه يـا ولـدي ، أنـت تعلـم أنَّ الغرفـة غـير صـحية ، وتعلم أنَّ صحتي متدهورة وأنـي أعـاني مِـن أمـراض مزمنـة ، لـك الحق بأن تخاف على ولدك ، لكن ألا تخاف علـيَّ والمـرض يأكـل بدني؟ سامحك الله يا ولدي ، وتسقط الأم ميتة أمام ابنها[١] .

● الأبناء القتلة :

الأب يشـقي ويكـد ويتعـب علـى أمـل أن يـرى أولاده عناصـر صالحه في المجتمع ، والأبنـاء لا يـردون إلا بـالعقوق والضـجـر ، فهذا الأب رزقه الله بخمسة أولاد وبنتين ، فكان العبء المـادي عليـه ثقيلاً ، واصل الليل بالنهار في معظم الأيـام حتـى يتسـنى لـه تـوفير وسائل كريمه للعيش .. حاول الأب الاجتهاد في تعليم أبنائـه حتـى لا ينخرطوا في أعمال مُضنية فيكون مصيرهم معاناة مثل أبيهم .

بدأت أولى الثمار تنضج فيصبح الكبير مُحاسبًا قانونيًـا ، والآخـر بكالوريوس تربيـة ، والثالـث دبلـوم صـنايع ، والرابـع حصـل علـى

(١) أخبار الحوادث .

الثانوية وانخرط في الأعمال الحرة ، والخامس مهندسًا ، أما البنتان فقد حصلتا على الدبلوم وتزوجتا .

بدأ المرض يتسلل إلى جسد الأب الهزيل ، والتعب يصيب الأم المغلوبة على أمرها بعد أن داهم السكر الأب ، والفشل الكلوي الأم ، تزايدت المصروفات على الأب ، وبدأ في حيرة مِن أمره بين أعبائه المنزلية وتوفير أموال علاجه وزوجته . . الوضع المزري وعقوق الأبناء له جعله عصبيًا وحاد المزاج لأتفه الأسباب ، بدأ ينفعل معهم في كل كبيرة وصغيرة لاسيما وأنهم غير مُهتمين بتخفيف هموم الوالد ، أو وضع حل لمشاكله ، فالكل نظر إلى نفسه وحاول شقَّ طريقه بعيدًا عن الآخر ، وكانوا نادرًا ما يزورون أباهم ، أو يلتقون في المنزل .

في ضوء هذا التصيعد أتت للأبناء فكرة التخلص مِن الأب غير مُهتمين بمرضه ، أو التماس الأعذار بسبب الضغوط المادية والمعنوية الواقعة عليه ، انتزع الشيطان مِن بعضهم العاطفة تجاه الأب ، وعقد لهم عدة سيناريوهات للتخلص مِن الأب وقتله .

وفي اليوم المشهود تجمع الأبناء وذهبوا للأب المريض وجدوه في حالة صحية متدهورة ، اقترب أصغر الأبناء مِن أبيه ورشَّ عليه مخدرًا ، فذهب الأب في غيبوبة ، ثم خنقه بحبل ، ففاضت روحه في الحال ، واستخرجوا له تصريحًا بالدفن عن طريق أحد المعارف لتتم الجريمة بهدوء دون أن يشك أحد .

وذات ليلة مرت الأم بهدوء فوجدت أبناءها يتهامسون ، راقبت تصرفاتهم ، فسمعت الأكبر يقول : إنه لم يشعر بطعم الراحة منذ قتل والده . وقال الثاني : إن والده يأتي إليه كل ليلة أثناء النوم . وفجأه استجمعت الأم قواها ودخلت عليهم وهي تصرخ لماذا قتلتم أباكم المريض العليل؟ ينهار الأبناء ويعترفون بجريمتهم ، فصحبتهم الأم بهدوء إلى قسم الشرطة لتسلمهم إلى العدالة بنفسها لينالوا حكما بالسجن المؤبد(١) .

• قلب الأم الكبير (قصة رمزية) :

ومما يُستحسن ذكرُه في هذا المقام هذا الحوار المؤثّر بين أم وولدها حيث يعبّر عن أرقى درجات المحبَّة والحنان والتضحية والنُّبل :

أَغرى امرؤٌ يومًا غلامًا جاهلاً
بنقودهِ حتى ينالَ به الوطرْ
قال ائتني بفؤادِ أُمِّكَ يا فتى
ولكَ الدراهمُ والجواهرُ والدُّررْ
فمضى وأَغمدَ خنجرًا في صدرِها
والقلبَ أخرجَهُ وعادَ على الأثرْ
لكنهُ من فرطِ دهشتهِ هوى
فتدحرجَ القلبُ المعفرُ إِذا عثرْ

---

(١) مجلة عالم الجريمة .

نـــاداهُ قلـــبُ الأمِّ وهـــو معفـــرٌ
ولدي حبيبي هل أصابَكَ مـــن ضـــررْ
فكأَنَّ هـــذا الصـــوتَ رغـــمَ حُنُـــوِّهِ
غضبُ السماءِ على الولدِ انـــهـــمرْ
فاستســـلَّ خِنْجَـــرَه لـــيطعنَ نفســـهُ
طعنًـــا ســـيبقى عـــبرةً لمـــن اعتـــبرْ
نـــاداهُ قلـــبُ الأمِّ كـــفَّ يـــدًا ولا
تطعنْ فـــؤادي مـــرتينِ علـــى الأثـــرْ

• قصيدة أبي صُهَيب في عقوق الوالدين :

إنِّي أســـائلُ هـــل للمـــرء مـــن أرَب
في ذي الحيـــاةِ بغـــير الـــدين والأدبِ
لِيشْكُروا الله من في الكون قد خُلِقـــوا
والوالدَيْنِ بصـــدر ِالمـــؤمنِ الرَّحـــبِ
للوالـــدين علـــى الأبنـــاء حَقُّهُمـــا
فـــاذكر بُنَـــيَّ وَأدِّ الحَـــقَّ واحْتسِـــبِ
يا مَنْ يَعقُّ ولَـــمْ يَحْسِـــبْ حسـابَهُما
مثـــواكَ نـــارٌ فـــلا تفعلـــهُ واجْتَنِـــبِ
من الكبـــائر عَـــقُّ الوالـــدين فَتُـــب
وليس يُنْجيكَ مهما جِئْتَ مِـــنْ سَـــبَبِ

فعلتَ جميلا شاكرًا لــهـــما مهمــا
هل كُلُّ هــذا بِحَمْــلٍ أوْ بِكَــدٍّ أبِ؟
قد قيــل إنَّ أبــا شــكا علــى ولــد
أبكى الرسولَ على ما بَثَّ مِنْ عَتَــبِ
الابــنُ مَــعْ مالِــهِ مِلْــكٌ لوالِــدِهِ
هَدْيُ الرسول لأهل الزَيْغِ كالشُّــهُبِ
إن العقـــوقَ لَنُكْـــرانٌ لفضـــلِهما
أتُنْكِرُ الأصْلَ أدنى النــاس في النَّسَــبِ
هــذا وربي جُحــودٌ مــا رأيــتُ لــه
إلا جُحودَ يهــود مــن بَــني العَــرَبِ
أو مِثْل إبلــيسَ حــين الله قــال لــه
اسْجُدْ فَيَجْحَــدُ أمــرَ الله في الطلَــبِ
الأهلُ رأس فكيــف الابْــنُ يَجْهَلُهُــم
يا ناكِرَ الرأس أنْــتَ الصِّــنْوُ للــذَنَبِ
يا مَنْ يُحِــبُّ مــن الأبنــاء تَكْرِمَــةً
جنات عدن ويَرْقــى عــالِيَ الرُّتَــبِ
هما السبيلُ لكــل الخــيرِ فارْضِــهِما
تُرْضِ الإله وَمَــنْ أرضــاه لم يَخِــبِ
إنْ شِــئْتَ كَسْــبًا لــدنيا أو لآخِــرَةَ
فَلْتَكْسَــبَنَّ رضــا الاثــنينِ فانْتَخِــبِ

أمــا الشــقيُ فــابْنٌ مــا أطاعهمــا
ضَلّ الطريــقَ وَلَــمْ يَعْقِــلْ ولم يَثُــبِ
إمّــا لمــالٍ وإمــا حُــبُّ زوجَتــه
جفاهُما مُعْرِضًا عَــنْ أعْظَــمِ القُــرَبِ
يــا بائعًــا أبويْــه زاهــدًا بــهــما
كَبَيْعِ يوسُفَ أزكى الناسِ وَابْــنِ نَبِــي
مِنْ أجلِ دنيــا يبيــعُ المَــرْءُ والــدَهُ
أو أمَّه عَلَنًــا مِــنْ أعْجَــبِ العَجَــبِ
يا ناســيًا لهمــا وَمُبْــدِلاً بــهــما
كَمَنْ يُبَــدِّلُ أدْنى الــدّون بالــذَّهَبِ
قد قيــل موســى ينــاجي الله يَسْــأَلُهُ
مَنْ ذا رفيقي بــجــنات وَعَنْ كَثَــبِ
فَدلَّــــهُ الله تَــــوًّا زارَ مســــكنَهُ
رأى الوسامةَ والأخــلاقَ لَــمْ تَغِــبِ
في البيتِ أمٌّ طِوالَ العُمْرِ يــخــدمُــها
بِكُــلِّ حُــبٍّ ولا مَــنٍّ ولا تَعَــبِ
الأمُّ تدعو وقــد سُــرَّتْ بــــخدمته
يا رَبِّ ابْني حبيبُ القلــبِ فاسْــتَجِبِ
اجْعَلْــهُ في جنّــةٍ موســى مُرافقــهُ
هو الرسولُ بِحَقٍّ دونــما كَــذِبِ

أنا الرفيــق أنــا موســى ودَعوْتُهــا
في جنـــةٍ نلتقـــي بـــالعزِّ فارْتقِـــبِ
البِـــــرُّ للوالـــــدين لا عُقوقَهُمـــــا
فاغْنَمْ حياتــهــما تَسْلمْ مِنَ الكُــرَبِ
لا تنسَ بِرَّهُما مِنْ بعــدِ موْتــهـــما
فَلْتُنْفــقِ المـــالَ وادعُ اللهَ وَاقْتَـــرِبِ
أحْسِنْ كما أحسنا أوْ نِصْفَ حُسْــنِهما
هيهاتَ تَبْلُغُهُ مِنْ يَــوْمِ أنْــتَ صَــبِي
بالـــــهمِّ والحـــزن أمْضَــيا حياتَهُمــا
خوفًا عليك وتُمْضي العُمْــرَ باللَعِـــبِ
ويَجْلِــبُ الــهَـــمَّ أدواء تصــيبهما
مِنْ فَرْطِ حبــك والتفكــر والنَصَـــبِ
يا لَلْمصـــيبةِ تَنْســـى كُــلَّ فضــلِهما
كُنْتَ الشريكَ إذا ماتــا بــلا رِيَــبِ
مِنْ أقْبَحِ الــذنْبِ أن ترنـــو بِسُـــخْرِيَةٍ
إليهما طالبًا مــا شِــئْتَ في صَــخَبِ
أيْــنَ الحيــاءُ بِكِبْــرٍ صــارِخٌ بِهِمــا
دون اهتمامٍ بقلبٍ فيــكَ كالحَطَــبِ
قَـــدْ حَـــرَّمَ اللهُ أُفٍّ رَغْـــمَ خِفَّتِهـــا
فاحْفَظ لسانَكَ لا تَجْــرَحْ ولا تَعِـــبِ

فكيفَ تصــرُخُ يــا هــذا بِعَجْرَفَــةٍ
في والديْكَ بصــدْرٍ أسْــوَدٍ خَــرِبِ؟
يا أيُّها الفَرْخُ هــل غَرَّتْــكَ أجنحــة
هَلا كَبُــرْتَ بــدونِهِمْ أأنْــتَ غَبِــي
واذكرْ بكاءك كم في الليــل أيْقَظَهُــمْ
واليوم إنْ بَكَيــا غَوْثــا فلَــمْ تُجِــبِ
يَرْوِي لنــا أحَــدُ الكُتّــابِ حادِثَــةً
جاءَتْ حكايتُها مِنْ صــادقِ الكُتُــبِ
مَرَرْتُ يوما بشــيخٍ كــان يضــرِبُهُ
فتى غلامٌ فَلَمْ أصْــبِرْ مــن الغَضَــبِ
الشــيخ قــال فــابْني مَــنْ يعــاقبني
لا تَغْضَبَنَّ هُنا يومــا ضــربت أبــي
دَيْــنٌ بِــدَيْنٍ مِــنَ الأبنــاء تقبضُــهُ
تُجْزى بــمثلٍ وما يُنْجيكَ مِنْ هَــرَبِ
هذي حقائِقُ عَبْــرَ الــدَّهْرِ تشــهَدُها
هلا تَعَلّمْــتَ مِمَّــا مَــرَّ في الحُقَــبِ
يا زارعَ الشَّــر لم تَحْسِــبْ عواقِبَــهُ
شَرًّا سَتجْني ومســئولٌ عــن العَطَــبِ
فالابْنُ غَرْسٌ وينمو حَسْــبَ غارِســه
إنْ صانَ طابَ وإنْ يُهْمِلْهُ لَــمْ يَطِــبِ

فما علــى الأهْــلِ إلا خَيْــرُ تَرْبِيَــةٍ
إذا اهْتدى أُجِروا إنْ ضَلَّ لَــمْ يُصِــبِ
فالأهْلُ قد قَدَّموا مــا كــان واجبــهم
مِنَ النّصــيحَةِ لكِــنْ مــالَ للشَّــغَبِ
فيَحْمِـــلُ الابْـــنُ وِزْرا لا يفارِقُــــهُ
لا دَخْلَ للأهْلِ بعدَ النّصْحِ لَــمْ يَــؤُبِ
هي الــهــدايــةُ لِلــرّحْمنِ مَرْجِعُهــا
فكمْ عزيــزٍ لنــا في النــار واللّهَــبِ
وانظرْ لنــوحٍ لــه ابْــنٌ فخــالَفَهُكم
قد دعاهُ إلى الإيـــمان لَــمْ يُجِــبِ
يا أيّها الابــنُ لا تيــأسْ هَلُــمَّ فَعُــدْ
للوالـــديْنِ وللــــرّحمنِ فَلْتَتُــــبِ
أسْــــرِعْ إلى توبــــةٍ لله خالصــــةٍ
يَتُبْ عليــك وإنْ أَخَّــرْتَ فانْتَحِــبِ

أيها العاق . . تذكَّر

أيها العاق تذَكَّر زمن حمل أمك بك ، وأنت في بطنها علة مِن أكبر العلل .

- وتذَكَّر وقت أن كانت تلدك وهي مما بها لا مِن الأحياء ولا مِن الأموات .
- وتذَكَّر ما خرج عقب ولادتك مِن النزيف الدموي الذي هو نفسها .
- وتذَكَّر أنك كنت تمصُّ دمها مدة الرضاع ، وسرورها بك تقصر عن شرحه العبارات .
- وتذَكَّر تنظيفها لبدنك وملابسك مِن الأقذار .
- وتذَكَّر فزعها عندما يعتريك خوف أو مرض أو نحو ذلك .
- وتذَكَّر دفاعها عنك إذا اعتدى عليك معتدٍ .
- وتذَكَّر حرصها الشديد على أن تعيش لها ولو حرمت لذة الطعام والشراب .
- وتذَكَّر سهرها عليك عندما يؤلمك شيء مِن جسدك .
- وتذَكَّر تعب والدك عليك في تحصيل ما به تحيا ، لا يهدأ عن ذلك مدى الأيام والليالي .

- وتذَكَّر عنايته بك في تعليمك وتوجيهك إلى ما فيه صلاح دينك ودنياك .
- وتذَكَّر نصحه لك وتحمل الشدائد مِن أجل راحتك .
- وتذَكَّر فرحه واستبشاره بنجاحك .
- وتذَكَّر دفاعه عنك بيده ولسانه .
- وتذَكَّر قلقه عليك إذا تأخرت عنه وقت المجيء .

أيها العاق : أنصف شخصين لهما عشرون سنة أو يزيد يتابعانك بالنظر ، يجوعان لتشبع ، ويعريان لتلبس ، ويشقيان لتسعد ، ويعملان لترتاح ، إذا عطشت أسقياك ، وإذا ظمأت أروياك ، وإذا مرضت داوياك ، وإذا بكيت أرضياك ، وإذا ضحكت فرحا ، وإذا نهضت أتبعاك النظر ، وإذا جلست أتبعاك الدعاء ، ما ظنك بهذين المخلوقين ؟! وما جزاؤهما ؟! وماذا يستحقان منك ؟!

فالويل على مَن تعامل بالإحسان إساءةً ، وبالمعروف جحودًا وإنكارًا ، وتناسى ضعفه وطفولته ، وأُعجب بشبابه وفتوته ، وغرَّه تعليمه وثقافته ، وترفع بجاهه ومرتبته .

نصائح مهمة

أيها القارئ الكريم : كثيرًا ما تحدث خلافات وصراعات بين الزوجة وأم زوجها ، وكثيرًا ما استمع إلى مكالمات هاتفية في برامجي عن كيفية مواجهة هذه الإشكالية ، وها أنا ذا أقدم نصيحة حتى لا تتفاقم المشاكل داخل الأسرة ، وتهدد كيان المجتمع .

بداية أقول : أيها الابن الزوج عليك أن تقوم بالتوفيق بين أمك وزوجتك ، وذلك بألا تقطع البرَّ بعد الزواج ، وألا تبدي لزوجتك المحبة أمام والديك ، وخصوصًا إذا كان أحدهما ذا طبيعة حادة ، فهذا مما يُوغِرُ صدورهما ، ويُوَلِّد لديهما الغيرة خصوصًا الأم .

وعليك أن تنصف زوجتك ، وذلك بمعرفة حقها ، وألا تأخذ كل ما يسمع عنها مِن والديك بالقبول ، بل عليك أن تحسن بها الظن ، وأن تتثبت مما يُقال .

وعليك أن تستخدم أسلوب الودِّ ، فتوصي زوجتك مثلاً أن تهدي لوالديك هدية ، أو تشتري بعض الهدايا وتعطيها لزوجتك كي تقدمها لأمك ، فهذا مما يرقق القلب ، ويجلب المودة ، ويكذب سوء الظن .

وعليك أن تتفاهم مع زوجتك ، وتعلمها أنَّ الأب والأم هما سبب وجودي في الحياة ، ولن أعقَّهما مهما صدر منهما ، ولن أقبل أي إهانة لهما .

وعليك أن تخبرها أنَّ حبك لها سيزيد بصبرها على والديك .

وعليك أن تخبرها أنها ستكون أمًّا في يوم من الأيام ، فهل ترضى العقوق لنفسها؟

وأنت أيتها الزوجة أقدم هذه النصيحة : إن إكرامك لوالدي زوجك هو في الحقيقة إكرام لزوجك وتقديرًا له ، فهما مَن أنجبا هذا الزوج الذي أصبح شريكًا لحياتك .

أيتها الزوجة كيف ينسى زوجك أمه التي حملته في بطنها تسعة أشهر ، وأمدته بالغذاء مِن لبنها ، وأشرقت عليه بعطفها وحنانها ، ووقفت نفسها على الاهتمام به حتى صار رجلاً سويًّا .

أيتها الزوجة إن زوجك يحب أهله أكثر مِن أهلك ، ولا تلوميه في ذلك ؛ فأنت تحبين أهلك أكثر مِن أهله ؛ فاحذري أن تطعنيه بازدراء أهله ، أو أذيتهم ، أو التقصير في حقوقهم ؛ فإن ذلك يدعوه إلى الابتعاد عنك .

أيتها الزوجة إنَّ الرجل الذي يحب أهله ، ويبر والديه إنسان فاضل كريم صالح جدير بأن تحترمه زوجته ، وتؤمل فيه الخير ؛ لأنَّ الرجل الذي لا خير فيه لوالديه لا يكون فيه خير لزوجته ، أو وأولاده ، أو أحد مِن الناس .

أيتها الزوجة رأيت كثيراً مِن الوالدين يحبون زوجات بنيهم كحبهم لبناتهم ، أو أشد حبًّا .

وأنت أيتها الأم أقدم هذه النصيحة : إن زوجة ابنك في مقام ابنتك فأحسني إليها ، ولا تشعريها أنها خَطَفتْ ابنك منك .

أيتها الأم لا توغري صدر ابنك على زوجته ، حتى لا تتحرك فيه نوازع العزوف عنها ، وربما زيِّنت له طلاقها ، ووعدتهِ بزوجة خير منها .

أيتها الأم لن تفيد القسوة في التعامل مع زوجة ابنك .

أيتها الأم يا مَن تحبين ابنك ، لا تكوني معولَ هدمٍ وتخريبٍ ، ولا تجعلي غيرتَك ناراً موقدة تحرق جو الأسرة ، ولا تستسلمي للأوهام التي ينسجها خيالك فتعكري الصفو ، وتثيري البلابل ، فلا تجعلي علاقتَك بزوجة ابنك علاقَة الندِّ بالندِّ ، والضُرة بالضرة ، بل كوني لها أمًّا تكن لك ابنةً ، فيحسن بك أن تحبيها ، وأن تتغاضي عن بعض ما يصدر منها ، وإذا رأيت خللاً بادرت إلى نصحها برفق ولين وحينئذ تسعدين .

من وصايا الصالحين

١- خاطب والديك بأدب ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾ .

٢- أطع والديك دائمًا في غير معصيةٍ ، فلا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق .

٣- تلطَّفْ بوالديك ، ولا تعبسْ في وجوههما ، ولا تحدق النظر إليهما غاضبًا .

٤- حافظ على سمعة والديك وشرفهما ومالهما ولا تأخذ شيئًا دون إذنهما .

٥- اعمل ما يسرهما ولو في غير أمرهما كالخدمة وشراء اللوازم .

٦- شاورهما في أعمالك كلها ، واعتذر لهما إذا اضطررت للمخالفة .

٧- أجب نداءهما مسرعًا بوجه مبتسم قائلاً : « لبيك يا أبي ، لبيك يا أمي » .

٨- أكرم صديقهما وأقرباءهما ولا تصادق عدوهما في حياتهما وبعد موتهما .

٩- لا تجادلهما وحاول بأدب أن تبين لهما الصواب .

١٠- لا تعاندهما ولا ترفع صوتك عليهما ، وأنصت لحديثهما وتأدب معهما .
١١- ساعد أمك في البيت ، ولا تتأخر عن مساعدة أبيك في عمله .
١٢- لا تسافر إذا لم يأذنا لك ولو لأمر مهم فإن اضطررت فاعتذر لهما ، ولا تقطع رسائلك عنهما .
١٣- لا تدخل عليهما دون إذنهما ولاسيما وقت نومهما وراحتهما .
١٤- إذا كان عندهما ضيفٌ فقم بالخدمة ، وراقب نظرهما لعلهما يريدان شيئًا .
١٥- لا تتناول طعامًا قبلهما وأكرمهما في الطعام والشراب واللباس .
١٦- لا تكذب عليهما ولا تلمهما إذا عملا عملاً لا يعجبك .
١٧- لا تفضل زوجتك وأولادك عليهما ، واطلب رضاهما قبل كل شيء ، فرضا الله تعالى في رضا الوالدين ، وسخط الله تعالى في سخط الوالدين .
١٨- لا تجلس في مكان أعلى منهما ولا تمش أمامهما .
١٩- لا تتكبر مِن الانتساب إلى أبيك ، واحذر أن تنكر معروفهما ، أو تؤذيهما ولو بكلمة واحدة .
٢٠- لا تبخل بالنفقة على والديك حتى يشكواك ؛ فهذا عار عليك وسترى ذلك مِن أولادك ؛ فكما تدين تدان والجزاء مِن جنس العمل .

٢١- أكثر مِن زيارة والديك وتقديم الهدايا لهما ، واشكرهما على تربيتك وتعبهما عليك ، واعتبر بأولادك وما تقاسيه معهم .

٢٢- أحقُّ الناس بالإكرام أمك ثم أبوك ، واعلم أنَّ الجنة تحت أقدام الأمهات .

٢٣- احذر عقوق الوالدين وغضبهما فتشقى في الدنيا والآخرة ، وسيعاملك أولادك بمثل ما تعامل به والديك .

٢٤- إذا طلبت شيئًا مِن والديك فتلطف بهما ، واشكرهما إن أعطياك ، وأعذرهما إن منعاك ، ولا تكثر طلباتك لئلا تزعجهما .

٢٥- إذا أصبحت قادرًا على كسب الرزق فاعمل وساعد والديك فأنت ومالك لأبيك .

٢٦- إن لوالديك عليك حقًّا ، ولزوجتك عليك حقًّا ، ولأولادك عليك حقًّا ، ولإخوتك عليك حقًّا ، فأعط كل ذي حقٍّ حقّه ، وحاول التوفيق بين هذه الحقوق إن اختلفت ، وقدم لهما الهدايا سرًّا وجهرًا ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء .

٢٧- إذا اختصم أبواك مع زوجتك فكن حكيمًا ، وأفهم زوجتك أنك معها إن كان الحق لها ، وأنك مضطر لترضي والديك .

٢٨- إذا اختلفت مع والديك في الزواج والطلاق فاحتكموا إلى الشَّرع فهو خير عون لكم .

٢٩- دعاء الوالدين مُستجاب فاحرص على أن يدعوا لك بالخير ، واحذر دعاءهما عليك بالشر .

٣٠- تأدب مع الناس فمن سبَّ الناس سبوه ، قال رسول الله ﷺ : « مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ : نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » .

٣١- زر والديك في حياتهما وبعد موتهما ، وتصدق عنهما ، وأكثر مِن الدعاء لهما قائلاً : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ ، ﴿ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ .

* * *

ملاحق الكتاب

ملحق (١)
الدعاء للوالدين

أمر الله تعالى ببرِّ الوالدين والإحسان إليهما ، والدعاء لهما بالرحمة حيين وميتين ، قال الله تعالى : ﴿ **وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا** ﴾ ، وليست هناك صيغة خاصة للاستغفار للوالدين ، ولكن الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة كافٍ ، وإذا كانا متوفيين كان من برهما إنفاذ عهودهما ، وصلة أرحامهما ، والصدقة عنهما .

يقول الكيا الهراسي : « بيَّن الله تعالى أنَّ الذي يلزم لهما ليس مقصوراً على منافع الدنيا ، بل يلزمه مع ذلك ما يمكن في باب الآخرة من الدعاء ؛ لأنه لا يقدر منهما على ما سواه ، فقال : ﴿ **وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا** ﴾ بيَّن العلة في لزوم الدعاء لهما ، وبيَّن أنَّه يلزم الولد من الدُّعاء للوالدين ، أكثر مما يلزمه في غيرهما »(١) .

إنَّ كثرة الدعاء للوالدين بعد الممات مِن الأمور الجليلة الكريمة ؛ لأنه قد يكون في كربة مِن ضيق القبر ينفس الله عنه بفضله سبحانه ، ثم بدعائك كما قال ﷺ : « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ

(١) أحكام القرآن للكيا الهراسي ، ٣/١٠٧ عماد الدين بن محمد الطبري .

ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ »[١] ، فلا تشغلك الدنيا عن والديك ، وما الذي تخسره وأنت جالس تقول : رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً ، وتسأل الله لهما أن يوسع لهما القبر ، وأن يهون عليهما السؤال في القبر ، وأن يهون عليهما الحساب ، واعلم أنك ما ذكرتهما بدعوةٍ صالحةٍ إلاَّ سخر الله لك من يدعو لك كما دعوت لهما .

فعلى الإنسان أن يحرص على كثرة الدعاء للوالدين وخاصةً بعد الموت ، وأن يترحم عليهما .

والدعاءُ للوالدين بالرحمة خاصٌّ فيما إذا كانا مسلمين ، أما المشركُ فلا يُدعى له بالرحمة والمغفرة ، لكن لا بأس ، بل يَحسُن أن يدعو لهما بالهداية والتوفيق لقبول الحقِّ ، ففي الحديث عن يزيد ابن عبد الرحمن قال : حدَّثني أبو هريرة رضي الله عنه قال : « كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ فَقَالَتْ : مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، وَسَمِعْتُ

---

(١) رواه الترمذي .

خَضْخَضَةَ الْمَاءِ قَالَ : فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا ، فَفَتَحَتِ الْبَابَ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ وَأُمَّهُ - إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلاَ يَرَانِي إِلاَّ أَحَبَّنِي »(١) .

إنها صورة لعظمة هذا الدِّين ، وعظمة التربية الإيمانية ، فانظر كيف كان حرص أبي هريرة ، فقد كان يكرر الدعوة ، وانظر كيف كظم غيظه عندما نالت مِن سيد الخلق ﷺ ؛ لأنَّه كان يرجو لها الخير ، ويؤمل لها الهداية ، وإنما حزن وغضب وبكى ، ولكنه سأل النبي ﷺ أن يدعو لها بالهداية ، فلما هداها الله لم يطق مِن فرحته إلا أن بكى فرحًا بعد أن بكى حزنًا ، ثم جاءت هذه الصورة المشرقة لندرك في الحقيقة كيف كان فهم أصحاب النبي ﷺ للإسلام ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ ، عجبًا لهذا السلوك الرائع ، وعجبًا لهذا الدِّين العظيم الذي يعلمنا ذلك .

---

(١) رواه مسلم .

يقول الشيخ عبد الرزاق البدر : « فهذه القصَّةُ العظيمةُ الرائعةُ دالـةٌ على جواز الدعاءِ للوالدين إذا كانا مشركَيْن بالهدايةِ ، وأهميَّـةِ ذلـك وعِظَـمِ فائـدتـه ، وينبغي له أن يجمع لهما بـين الـدعاء والـدعــوة ، كما فعل أبو هريرة رضي الله عنه مع أمِّه ـ رضي الله عنها ـ ، فقد كان يُكثـر من دعوتها إلى الإسلام ، والدعاءِ لها بالهداية والتوفيق ، ثمَّ إنَّـه رضي الله عنه كان يُكثر من الدعاءِ لَها بعد هدايتها بالرحمة والمغفرة »(١) .

وعن أبي مرَّة مولى أمِّ هانئ بنت أبي طالب « أنَّه ركـب مـع أبـى هريرة إلى أرضه بالعقيق ، فإذا دخـل أرضـه صـاح بـأعلى صـوته : عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمتـاه ، تقـول : وعليـك السـلام ورحمة الله وبركاته ، يقول : رحمك الله كما ربَّيتني صغيراً ، فتقول : يا بني وأنت فجزاك الله خيراً ورضي عنك كما بررتني كبيراً »(٢) .

وروي أيضًا عن محمد بن سيرين قال : « كنَّا عند أبي هريرة ليلة فقال : اللَّهمَّ اغفر لأبي هريـرة ولأمِّـي ، ولِمَـن اسـتغفر لهمـا ، قـال محمد بن سيرين : فنحن نستغفر لهمـا حتـى نـدخل في دعـوة أبـي هريرة »(٣) .

ودعاء الولدِ لوالديه ينفعهما بعد موتهما حيث ينقطع عملُهما في هذه الحياة ، فقد ثبت في صحيح مسلم عـن أبـي هريـرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَـعَ عَمَلُـهُ إِلاَّ مِـنْ ثَـلاَثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ »(٤) .

---

(١) فقه الأدعية والأذكار ، ٢٤٢/٢ عبد الرزاق بن عبد المحسن البـدر ، الكويـت ، ط.٢ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

(٢،٣) رواه البخاري . (٤) رواه الترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « تُرفع للميت بعد موته درجتَه ، فيقول : أي رب أي شيء هذه؟ فيقال : ولدك استغفر لك »(١) .

وإذا كان الدعاءُ للوالدين بالرحمة والمغفرَة بِرًّا وإحسانًا وحقًّا ينبغي على الابن أن يعتني به ، فإنَّ مِن أعظمِ الإثمِ ومِن كبائرِ الذنوب أن يَسُبَّ الولدُ والديه ، سواء ابتداء أو تسبُّبًا ، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال النبيُّ ﷺ : « إنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ »(٢) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال : « مِن الكبائر عند الله تعالى أن يستسبَّ الرجل لوالده »(٣) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ »(٤) . ومثلُ هذا لا يكون إلاَّ مِن ذوي الأخلاق الرديئة .

• الدعاء للوالدين الأحياء :

نسأل الله عز وجل أن يحفظنا ، وأن يحفظ لنا آباءنا وأمهاتنا ، وأن يشيع البرَّ في أبنائنا وبناتنا ، وحُسن التربية والرعاية في آبائنا وأمهاتنا .

• اللهم بارك لنا في آبائنا وأمهاتنا ، ولا تضرهما ، ووفقهما لطاعتك ، وارزقنا برهما .

(١-٣) رواه البخاري .

(٤) رواه مسلم .

- اللهم يا مُعلم موسى وآدم ، ويا مُفهم سليمان ، ويا مؤتى لقمان الحكمة آتهم العلم والفهم والحكمة وفصل الخطاب .
- اللهم علمهما ما جهلا ، وذكرهما ما نسيا ، وافتح عليهما بركات من السماء والأرض إنك سميع مجيب الدعوات .
- اللهم إنا نسألك لهما قوة الحفظ وصفاء الذهن .
- اللهم اجعلهما هُداة مُهتدين غير ضالين ولا مُضلين .
- اللهم حبب إليهما الإيمان وزينه في قلبهما ، وكره إليهما الكفر والفسوق والعصيان .
- اللهم اجعلهما أوفر عبادك حظًّا في الدنيا والآخرة .
- اللهم اجعلهما من أوليائك وخاصتك الذين يسعى نورهم بين أيديهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
- اللهم اغفر ذنوبهما .
- اللهم طهر قلوبهما .
- اللهم املأ قلوبهما نورًا وحكمة ، وأهِّلْهما لقبول كل نعمة ، وأصلح بهما الأُمة .
- اللهم اجعلهما من حرس الدِّين ، ومِن الذاكرين والطف بهما يا كريم .
- اللهم اجعلهما مِن أوجه مَن توجه إليك وأحبك ورغب إليك .
- اللهم اجعلهما حفظةً لكتابك ، ودعاةً في سبيلك ، ومجاهدين في سبيلك ، ومبلغين عن رسولك ﷺ .
- اللهم افتح عليهما فتوح العارفين .

- اللهم ارزقهما الحكمة والعلم النافع ، وأكرمهم بالتقوى ، وجملهم بالعافية ، واعف عنهم برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم ارزقهما الصحة والعافية .
- اللهم ارزقهما القناعة والرضا .
- اللهم ارزقهما حبك وحب نبيك محمد ﷺ ، وحب كل من يحبك وحب كل عمل يقربهم إلى حبك .
- اللهم اجعلهما ممن تواضع لك فرفعته ، واستكان لهيبتك فأحببته ، وتقرب إليك فقربته ، وسألك فأجبته .
- اللهم افتح لهما أبواب رزقك الحلال من واسع فضلك ، واكفهما بحلالك عن حرامك ، واغنهما بفضلك عمن سواك ، ولا تولهما وليًّا سواك .
- اللهم جنبهما الفواحش والمحن والزلال والفتن ما ظهر منها وما بطن .
- اللهم سلمهما من العلل والأوبئة والآفات .
- اللهم سلمهما مِن شر الأشرار آناء الليل وأطراف النهار في الإعلان والإسرار ، واهدهما لما تحبه منهما ، واغفر لهما يا غفار .
- اللهم منَّ عليهما بصلاح الحال .
- اللهم امدُدْ في أعمارهما مع الصحة والعافية في طاعتك ورضاك .
- اللهم عافهما في أبدانهما وأسماعهما وأبصارهما وأنفسهما وجوارحهما .

- اللهم آت نفوسهما تقواها وزكها أنت خير من زكاها وآلهمهما رشدهما .
- اللهم اجعلهما أبرارًا أتقياء .
- اللهم اجعلهما مِن الموسع عليهم الرزق الحلال المعوذين من الذل بك ، والمجارين مِن الظلم بعدلك ، والمعافين من البلاء برحمتك ، المعصومين من الذنوب والزلل والخطأ بتقواك ، الموفقين للخير والصواب بطاعتك ، والمحال بينهما وبين الذنوب بقدرتك ، التاركين لكل معصية .
- اللهم نزه قلبهما عن التعلق بمن دونك ، واجعلهما ممن تُحبهم ويحبونك .
- اللهم امنُنْ عليهما بما يصلحهما في الدنيا والآخرة .
- اللهم اجعل لهما الذِّكر الجميل في الدنيا والآخرة ، وألبسهما من ملابس الجمال والكمال الحلل الفاخرة .
- اللهم انظرهما بعينك وتولهما بعونك وأيدهما بجيش المحبة واسقهما من شراب الولاية أكرم شربة .
- اللهم اجعلهما في حفظك وكنفك وأمانك وجوارك وعياذك وحزبك وحرزك ولطفك وسترك من كل شيطان وإنس وباغٍ وحاسد .
- اللهم إنا نسألك أن نبر آباءنا ، وأن نسعى إلى رضاهما ، وأن نجتهد في طاعتهما في المعروف ، وأن نبذل غاية ما نستطيع في الإحسان إليهما وإدخال السرور عليهما ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

- اللهم حبِّبْ إلينا والدينا ، وأعطف عليهما قلوبنا ، واجعلنا نـرأف بهما ونبرهما ونرد لهما بعض ما قدماه لنا من إحسان .
- اللهم ارحمهـما واغفر لـهما وسامحـهما واجعـل الجنـة مآلهمـا ، ولا تضيع أجرهما إنك على كل شيء قدير .
- اللـهم اجعلنـا مـن البـارين بوالـديهم أحيـاء وأمواتًـا ، واغفـر لنـا ولوالـدينا ولجميـع المسـلمين ، ونسـألك أن توفقنـا لبرهمـا والإحسان إليهما .
- اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أتم على والدينا الصحة والعافية ، واجعلهم شاكرين لنعمك مثنين بها عليك قابليها وأتمها عليهم يا رب العالمين .
- اللهم ارحم والدينا كما ربيانا صغاراً .
- اللهم انظر إلى والدينا بعين الرأفة والرحمة ، وتجاوز عن سيئاتهم يا أرحم الراحمين .
- اللهم ارحم والدينا أحياءً وأمواتًا .
- اللهم ما عملا من سيئات فتجاوز عنهما بفضلك وسعة رحمتك .
- اللهم ما عملنا من أعمال صالحة فاجعل لوالدينا منه أوفـر الحـظ إنك على كل شيء قدير .
- اللهم لا تجعلنا بأبنائنا أشقياء ، وارزقنـا ذريـة صـالحة تنفعنـا في الدنيا والآخرة ، واجعلنا بـارين بآبائنـا محسـنين إليهمـا ، واجعـل أبناءنا بارين بنا محسنين إلينا ، فإنك أنت الجواد الكريم .

- اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجعلنا بارّين بوالدينا أحياء وأمواتًا ، وارحمهما كما ربيانا صغارًا .
- اللهم ارفع درجاتهم ، وكفرّ سيئاتهم ، وارزقهم الدرجات العلى في جنات النعيم ، واجزهم عنا خير الجزاء ، ونعوذ بك من نسيانهم أو عقوقهم .
- اللهم اغفر لنا تقصيرنا معهم ، واجعل ما نقوم به مِن أعمال ترضاها كفارةً لنا عن إساءتنا إليهم ، واجعل لهم مِن ثوابٍ أعمالنا نصيبًا فنحن مِن كسبهم ، ولا تفتنّا بعدهم ، ولا تحرمنا أجرهم ، واغفر لنا ولهم برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم أجرنا مِن العقوق ، واجعلنا ممن يقوم بالحقوق .
- اللهم أعنا على البرِّ بوالدينا حتى يبرنا أبناؤنا إنك سميع مجيب الدعوات .
- اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أتمَّ على والدينا الصحة والعافية ، واجعلهم شاكرين لنعمك مثنين بها عليك قابليها وأتمها عليهم يارب العالمين .
- اللهم من كان منهما حيًا فأسعده ولا تشقه .
- اللهم أسعدهما ولا تشقهما .
- اللهم يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ندعوك باسمك الأعظم الذي إذا دُعيتَ به أجبت ، أن تبسط على والداي من بركاتك ورحمتك ورزقك .
- اللهم ألبسهما العافية حتى يهنئا بالمعيشة ، واختم لهما بالمغفرة حتى لا تضرهما الذنوب .

- اللهم اكفيهما كلَّ هول برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم لا تجعل لهما ذنبًا إلا غفرته ، ولا همًّا إلا فرجته ، ولا حاجة مِن حوائج الدنيا هي لك رضا ولهما فيها صلاح إلا قضيتها .
- اللهم ولا تجعل لهما حاجة عند أحد غيرك .
- اللهم أقر أعينهما بما يتمنياته لنا في الدنيا .
- اللهم اجعل أوقاتهما بذكرك معمورة .
- اللهم أسعدهما بتقواك .
- اللهم اجعلهما في ضمانك وأمانك وإحسانك .
- اللهم ارزقهما عيشًا رغدًا .
- اللهم ارزقهما الجنة وما يقربهما إليها من قول أو عمل .
- اللهم باعد بينهما وبين النار وبين ما يقربهما إليها من قول أو عمل .
- اللهم اجعلهما مِن الذاكرين لك ، الشاكرين لك ، الطائعين لك ، المنيبين لك .
- اللهم اجعل أوسع رزقهما عند كبر سنهما وانقطاع عمرهما .
- اللهم اكفهما بحلالك عن حرامك ، وأغنهما بفضلك عمن سواك .
- اللهم اغفر لهما جميع ما مضى من ذنوبهما ، واعصمهما فيما بقي من عمرهما ، وارزقهما عملاً زاكيًّا ترضى به عنهما .
- اللهم تقبل توبتهما ، وأجب دعوتهما .
- اللهم إنا نعوذ بك أن تردهما إلى أرذل العمر .
- اللهم اختم بالحسنات أعمالهما .

- اللهم أعنا على برهما حتى يرضيا عنا فترضى .
- اللهم أعنا على الإحسان إليهما في كبرهما .
- اللهم رضِّهم علينا .
- اللهم لا تتوافهما إلا وهما راضيان عنا تمام الرضا .
- اللهم أعنا على خدمتهما كما ينبغي لهما علينا .
- اللهم اجعلنا بارين طائعين لهما .
- اللهم ارزقنا رضاهما ، ونعوذ بك من عقوقهما .
- ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾ اللهم تقبل منهما أعمالهما الصالحة .
- ﴿ **رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** ﴾ اللهم آتهما في الدنيا حسناتٍ طيباتٍ ، وفي الآخرة حسناتٍ طيباتٍ ، وقهما عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين .
- ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ** ﴾ اللهم لا ترغ قلبهما بعد هدايتك لهما ، ويا واهب الرحمة ارحمهما رحمة واسعة .
- اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان .

• الدعاء للوالدين الأموات :

- اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تسبغ شآبيب الرحمات على الوالدين .
- اللهم اغفر لنا ولوالدينا .

- اللهم تجاوز عن سيئاتهما ، وثقل موازينهما بالحسنات .
- اللهم اغفر لأمواتهما ، اللهم اغفر لهما وارحمهما ، وعافهما واعف عنهما .
- اللهم اجزهما عنا خير ما جزيت والدًا عن ولد .
- اللهم اغفر لهما وارحمهما ، وعافهما واعف عنهما ، وأكرم نزلهما ، ووسع مدخلهما ، واغسلهما بالماء والثلج والبرد .
- اللهم أسبغ عليهما شآبيب الرحمات ، وكفر عنهما الخطيئات ، وارفعهما عندك في أعلى الدرجات .
- اللهم ارحم والدينا .
- اللهم اغفر لهما .
- اللهم ارض عنهما رضا تحل به عليهم جوامع رضوانك ، وتحلهما به دار كرامتك وأمانك ، ومواطن عفوك وغفرانك ، وتسبغ عليهما لطائف برك وإحسانك .
- اللهم اغفر لهما مغفرة جامعة تمحو بها سالف أوزارهما .
- اللهم وارحمهما رحمة تنير لهم بها المضجع في قبرهما ، وتؤمنهما بها يوم الفزع عند نشورهما .
- اللهم تحنن على ضعفهما كما كانا على ضعفنا متحننَين .
- اللهم تعطف عليهما كما كانا علينا في حال صغرنا متعطفين .
- اللهم ارحم انقطاعهما إليك كما كانوا لنا في حال انقطاعنا إليهم راحمين .
- اللهم احفظ لهما ذلك الود الذي أشربته قلبهما ، والحنان الذي ملأت به صدرهما ، واللطف الذي شغلت به جوارحهما .

- اللهم جازهما على ذلك السعي الذي كانوا فينا ساعين ، والرعي الذي كانوا لنا راعين ، أفضل ما جزيت به السعادة المصلحين والرعاة الناصحين .
- اللهم برهما أضعاف ما كانوا يبروننا .
- اللهم انظر لهما بعين الرحمة كما كانوا ينظروننا .
- اللهم هب لهما ما ضيعوا من حق ربوبيتك بما اشتغلوا به في حق تربيتنا .
- اللهم تجاوز عنهما ما قصروا فيه من حق خدمتك بما آثرونا به في حق خدمتنا .
- اللهم اعف عنهما ما ارتكبا من الشبهات مِن أجل ما اكتسبا مِن أجلنا .
- اللهم لا تؤاخذهما بما دعتهم إليهما الحمية من الهوى لما غلب على قلبهما من محبتنا .
- اللهم الطف بهما في مضاجع البلى لطفًا يزيد على لطفهما في أيام حياتهما بنا .
- اللهم ما هديتنا له من الطاعات ، ويسرته لنا من الحسنات ، ووفقتنا له من الدعوات ، ووفقتنا له من القربات ، فنسألك اللهم أن تجعل لهما منها حظًّا ونصيبًا ، وما اقترفناه من السيئات واكتسبناه من الخطيئات وتحملناه من التعبات فلا تلحقهما منا بذلك حوبًا ، ولا تحمل عليهما من ذنوبنا ذنوبًا .
- اللهم كما سررتهما بنا في الحياة فسرهما بنا بعد الوفاة .

- اللهم لا تبلغهما من أخبارنا ما يسوؤهما ، ولا تحملهما من أوزارنا ما ينوؤهما .
- اللهم سر روحهما بأعمالنا في ملتقى الأرواح إذا سر أهل الصلاح بأبناء الصلاح .
- اللهم ما تلونا من تلاوة فزكيتها ، وما صلينا من صلاة فتقبلتها ، وما تصدقنا من صدقة فنميتها ، وما عملنا من أعمال صالحة فرضيتها ، فنسألك اللهم أن تجعل حظهما منها أكبر من حظوظنا ، وقسمهما منها أجزل من أقسامنا ، وسهمهما من ثوابها أوفر من سهامنا ، فإنك وصيتنا ببرهما ، وندبتنا إلى شكرهما ، وأنت أولى بالبر من البارين ، وأحق بالوصل من المأمورين .
- اللهم واجعلنا قرة أعين لهما يوم يقوم الأشهاد .
- اللهم وأسمعهما من أطيب النداء يوم التناد ، واجعلهما بنا من أغبط الآباء بالأولاد ، حتى تجمعنا وإياهم والمسلمين جميعا في دار كرامتك ، ومستقر رحمتك ، ومحل أوليائك ، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ذلك فضل الله وكفى بالله عليمًا .
- ربنا وارزقنا الصبر والسلوان .
- اللهم اغفر لجميع موتى المسلمين والمسلمات الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك .

- اللهم اغفر لهما وارحمهما وباعد بينهما وبين خطاياهم كما باعدت بين المشرق والمغرب ، وأعنهما على جواب منكر ونكير يا رب العرش العظيم .
- ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾
- اللهم لا تؤاخذهما بما نسيا وقصرا في حقك ، ولا تحمل عليهما إصراً ، ولا تحملهما ما لا طاقة لهما به .
- اللهم أسألك العفو لهما والمغفرة والرحمة برحمتك يا أرحم الراحمين .
- ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ اللهم إنهما آمنا بك حق الإيمان فاغفر لهما ذنوبهما ، وقهما عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين .
- ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ اللهم إنهما آمنا بك حق الإيمان ، وآمنا بكتبك وجميع رسلك ، واتبعا نبيك ﷺ فاغفر لهما ذنوبهما يا أرحم الراحمين .
- ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾
- اللهم اغفر لهما ذنوبهما ، وإسرافهما في أمرهما ، وثبت أقدامهما على الصراط ، وأدخلهما الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين .

- ﴿ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾
- اللهم افتح لهما طريقًا إلى الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين .
- ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾
- اللهم إنهما آمنا بك حق الإيمان فاغفر لهما ذنوبهما ، وارحمهما رحمة واسعة يا أرحم الراحمين .
- ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾
- اللهم إنهما آمنا بك حق الإيمان واتبعا سبيلك حق الاتباع ، فاغفر لهما ذنوبهما ، وارحمهما رحمة واسعة ، وقهما عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم اجعلهما من أهل الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين .
- ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾
- اللهم اغفر لأبي وأمي مغفرة واسعة برحمتك يا أرحم الراحمين .
- ﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾
- اللهم ارحم والدينا كما ربيانا صغاراً .
- ﴿ رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾
- اللهم أدخلهما مدخل صدق ، وأخرجهما مخرج صدق برحمتك يا أرحم الراحمين .

- ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾
- اللهم أنزلهما مُنْزَلاً مُبارَكًا برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم اجعلهما من ورثة جنات النعيم .
- ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾
- اللهم لا تخزهما ولا تحزنهما يوم القيامة فقد جاءا إليك بقلب سليم آمنا بك وبنبيك وبكتبك وملائكتك ، وأخلصا في عبادتك ، فاجعلهما من أهل الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين .
- ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾
- اللهم ادخلهما برحمتك في عبادك الصالحين .
- ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .
- اللهم إنا دعوناك دعاء من يرجوك ويخشاك ، وابتهلنا إليك ابتهال من لم يخطر بباله سواك ، ورحمتك تسع من أطاعك منا ومن عصاك ، فإما محسن قبلته ، وإما مسيء رحمته ، يا من أدنى المنقطعين إليه ، وأغنى المتوكلين عليه ، يا من يعلم عدد قطر الأمطار ، وورق الأشجار ، وحبات الحصى ، وذرات الرمال ، وموجات البحار ، وعدد ما أظلم عليه الليل ، وأشرق عليه النهار ، يا من لا تختلف عليه الوجوه ، ولا تشتبه عليه الأصوات ، يا من

مصير كل شيء إليه ، ورزق كل شي عليه ، يا قديم الإحسان ، يا دائم المعروف . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

• الدعاء للوالد الحي :

• اللهم اشفه شفاء ليس بعده سقمًا أبدًا .
• اللهم خذ بيده .
• اللهم احرسه بعينيك التي لا تنام ، واكنفه بركنك الذي لا يرام ، واحفظه بعزك الذي لا يُضام .
• اللهم ألبسه ثوب الصحة والعافية .
• اللهم اشفه بشفائك ، وداوه بدوائك ، واغنه بفضلك عمن سواك .
• اللهم اجعله مِن الذاكرين لك ، الشاكرين لك ، الطائعين لك ، المنيبين لك .
• اللهم اجعل أوسع رزقه عند كبر سنة وانقطاع عمره .
• اللهم اغفر له جميع ما مضى من ذنوبه ، واعصمه فيما بقي من عمره ، وارزقه عملاً زكيًّا ترضى به عنه .
• اللهم تقبل توبته ، وأجب دعوته .
• اللهم إنا نعوذ بك أن ترده إلى أرذل العمر .
• اللهم اختم بالحسنات أعماله .
• اللهم أعنَّا على برِّه حتى يرضى عنا فترضى .
• اللهم أعنَّا على الإحسان إليه في كبره .
• اللهم ورضه علينا .

- اللهم ولا تتوفاه إلا وهو راضٍ عنا تمام الرضا .
- اللهم أعنا على خدمته كما ينبغي له علينا .
- اللهم اجعلنا بارين طائعين له .
- اللهم ارزقنا رضاه ونعوذ بك من عقوقه .
- اللهم يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ندعوك باسمك الأعظم الذي إذا دُعيت به أجبت أن تبسط على أبي من بركاتك ورحمتك ورزقك .
- اللهم ألبسه العافية حتى يهنأ بالمعيشة ، واختم له بالمغفرة حتى لا تضره الذنوب .
- اللهم اكفيه كل هول دون الجنة حتى تُبَلِّغْه إياها برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم لا تجعل لها ذنبا إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا هي لك رضا ولها فيها صلاح إلا قضيتها .
- اللهم لا تجعل له حاجة عند أحد غيرك .
- اللهم أقر عينه بما يتمناه لنا في الدنيا .
- اللهم اجعل أوقاته بذكرك معمورة .
- اللهم اجعله في ضمانك وأمانك وإحسانك .
- اللهم ارزقه عيشًا قارًا ، ورزقًا دارًا ، وعملاً بارًا .
- اللهم حبِّب إليه الإيمان وزينه في قلبه ، وكرِّه إليه الكفر والفسوق والعصيان .
- اللهم اجعله أوفر عبادك حظًّا في الدنيا والآخرة .

- اللهم اجعله من أوليائك وخاصتك الذين يسعى نورهم بين أيديهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
- اللهم اغفر ذنوبه ، واستر عيوبه .
- اللهم طهِّر قلبه .
- اللهم اجعله مِن أوجه مَن توجه إليك وأحبك ورغب إليك .
- اللهم افتح عليه فتوح العارفين .
- اللهم ارزقه الحكمة والعلم النافع ، وأكرمه بالتقوى ، وجمله بالعافية ، واعف عنه برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم ارزقه الصحة والعافية .
- اللهم ارزقه القناعة والرضا .
- اللهم ارزقه حبك وحبَّ نبيك محمد ﷺ ، وحبَّ كل من يحبك وحب كل عمل يقربه إلى حبك .
- اللهم اجعله ممن تواضع لك فرفعته ، واستكان لهيبتك فأحببته ، وتقرب إليك فقربته ، وسألك فأجبته .
- اللهم افتح له أبواب رزقك الحلال من واسع فضلك ، واكفه بحلالك عن حرامك ، واغنه بفضلك عمن سواك ، ولا توله وليًّا سواك .
- اللهم جنبه الفواحش والمحن والزلل والفتن ما ظهر منها وما بطن.
- اللهم سلِّمه مِن العلل والأوبئة والآفات .
- اللهم سلمه مِن شر الأشرار آناء الليل وأطراف النهار في الإعلان والإسرار ، واغفر له يا غفار .
- اللهم منَّ عليه بصلاح الحال .

- اللهم عافه في بدنه وسمعه وبصره وجوارحه .
- اللهم نزِّه قلبهَ عن التعلق بمن دونك ، واجعله ممن تُحبهم ويحبونك .
- اللهم امنن عليه بما يصلحه في الدنيا والآخرة .
- اللهم اجعل له الذِّكر الجميل في الدنيا والآخرة ، وألبسه من ملابس الجمال والكمال الحلل الفاخرة .
- اللهم اجعله في حفظك وكنفك وأمانك وجوارك وعياذك وحزبك وحرزك ولطفك وسترك من كل شيطان وإنس وباغٍ وحاسد .
- اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أتم على أبي الصحة والعافية ، واجعله شاكرًا لنعمك ، وأتمها عليه يا رب العالمين .
- اللهم اغفر لي تقصيري معه ، واجعل ما أقوم به مِن أعمالٍ ترضاها كفارةً لي عن إساءتي إليه .
- اللهم أجرنا مِن العقوق ، واجعلنا ممن يقوم بالحقوق .
- اللهم ارزقه الجنة وما يقربه إليها من قول أو عمل .
- اللهم باعد بينه وبين النار وبين ما يقربه إليها من قول أو عمل .

• الدعاء للوالد المتوفَي :

- اللهم اغفر لأبي وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه مِن الخطايا كما يُنقَّى الثوب الأبيض مِن الدنس ، وأبدله دارًا خيرًا مِن داره ، وأهلاً خيرًا مِن أهله ، وأدخله الجنة بغير حساب ، وأعذه من عذاب القبر .

- اللهم اجعل قبره روضة مِن رياض الجنة ولا تجعله حفرة مِن حفر النار .
- اللهم مد له في قبره مد بصره .
- اللهم أنزل على قبره الضياء والنور والفسحة والسرور .
- اللهم أفسح له في قبره ونور له فيه برحمتك يا أرحم الرحمين .
- اللهم ثبته عند السؤال .
- اللهم انقله مِن ضيق اللحود والقبور إلى سعة الدور والقصور في سدر محضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة مع الذين أنعمت عليهم مِن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .
- اللهم نور مرقده ، وعطر مشهده ، وطيب مضجعه ، وآنس وحشته ، ونفس كربته ، وقه عذاب القبر وفتنته .
- اللهم إن أبى في ذمتك وحبل جوارك فقه فتنة القبر وعذاب النار .
- اللهم اغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم .
- اللهم إنه في ضيافتك فهل جزاء الضيف إلا الإكرام والإحسان وأنت أهل الجود والكرم .
- اللهم استقبله عندك خاليًا من الذنوب والخطايا ، واستقبله بمحض إرادتك وعفوك وأنت راضٍ عنه غير غضبان عليه برحمتك يا أرحم الرحمين .
- اللهم أدخله بمنِّك وكرمك جنات النعيم .
- اللهم إني أسألك الفردوس الأعلى نزلاً له .

- اللهم ابنِ له بيتًا في الجنة واجعل ملتقانا هناك .
- اللهم اجعله في بطن القبر مطمئنا ، وعند قيام الأشهاد آمنا ، بجود رضوانك واثقًا ، وإلى أعلى علو درجاتك سابقًا .
- اللهم اجعل عن يمنيه نورًا ، وعن شماله نورًا ، ومن أمامه نورًا ، ومن فوقه نورًا ، حتى تبعثه آمنًا مطمئنًا في نور مِن نورك .
- اللهم انظر إليه نظرة رضا ، فإن من تنظر إليه نظرة رضا لا تعذبه أبدًا .
- اللهم أسكنه فسيح الجنان ، واغفر له يا رحمن .
- اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فإنك أنت الله الأعز الأكرم .
- اللهم اعف عنه فإنك أنت القائل ﴿ **وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ** ﴾ .
- اللهم احشره مع أصحاب اليمين .
- اللهم إنه كان يشهد أنك لا إله إلا أنت وأن محمدًا عبدك ورسولك وأنت أعلم به .
- اللهم ثبته عند السؤال .
- اللهم إنا نتوسل بك إليك ونقسم بك عليك أن ترحمه ولا تعذبه .
- اللهم اجعله مع ﴿ **ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾ .
- اللهم اجعله مع ﴿ **ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ** ﴾ .

- اللهم اجعله في جنة الخلد ﴿ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ .
- اللهم انقله من مواطن الدود وضيق اللحود إلى جنات الخلود ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ .
- اللهم ارحمه تحت الأرض ، واستره يوم العرض ، ولا تخزه يوم يبعثــون ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .
- اللهم بشره بقولك ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ .
- اللهم اجعله من الذين سُعِدوا ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ .
- اللهم إنه خاف مقامك فاجعل له جنتين ذواتى أفنان بحق قولك ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ .
- اللهم انجز له وعدك الذي وعدت في قولك ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ .

• اللهم بشره بقولك ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

• اللهم يمِّن كتابَه ، ويسِّر حسابه ، وثقِّل ميزانه ، وثبِّت على الصراط قدمه ، وأسكنه في أعلى الجنات في جوار نبيك ومصطفاك ﷺ .

• اللهم آمنه مِن فزع يوم القيامة ، ومن هول يوم القيامة ، واجعل نفسه آمنة مطمئنة ، ولقنه حجته .

• اللهم احشره مع المتقين إلى الرحمن وفدًا .

• اللهم احشره في زمره المقربين ، وبشره بروح وريحان وجنة نعيم .

• اللهم احشره مع أصحاب اليمين ، واجعل تحيته ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ .

• اللهم إنه صبر على البلاء فامنحه درجة الصابرين الذين يوفون أجورهم بغير حساب .

• اللهم إنه كان مصليًا فثبته على الصراط يوم تزلُّ الأقدام .

• اللهم إنه كان صائمًا فأدخله الجنة من باب الريَّان .

• اللهم إنه كان لكتابك تاليًا فشفع فيه القرآن وارحمه من النيران ، واجعله يا رحمن يرتقي في الجنة إلي آخر آية قرأها أو سمعها وآخر حرف تلاه .

• اللهم اجعل ذريته ذريةً صالحة تدعوا له بخير إلى يوم الدِّين .

• اللهم اسقه من حوض نبيك محمد ﷺ شربةً هنيئةً مريئةً لا يظمأُ بعدها أبدًا .

- اللهم أظلَّه تحت عرشك يوم لا ظلَّ إلا ظلُّك .
- اللهم بيِّض وجهه يوم تبيض وجوه وتسوُّد وجوه .
- اللهم يا باسط اليدين بالعطايا يا قريب يا مجيب دعوة الداع إذا دعاه يا حنان يا منان يا رب يا أرحم الراحمين يا بديع السموات والأرض يا أحد يا صمد أعطه من خير ما أعطيت به نبيك محمد ﷺ عطاءً ماله من نفاد من مالك خزائن السماوات والأرض عطاءً عظيمًا مِن ربٍّ عظيمٍ ما له من نفاد ، أنت له أهلٌ عطاءً يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك .
- اللهم يا جامع الناس إلى يوم لا ريب فيه اجمعه بنبينا محمد ﷺ كما جمعت بين الروح والجسد .
- اللهم اغفر له حتى لا يبقى من المغفرة شيء .
- اللهم ارحمه حتى لا يبقى من الرحمة شيء .
- اللهم ارض عنه حتى لا يبقى من الرضا شيء .
- اللهم اغفر له عدد خلقك ، واغفر له مداد كلماتك ، واغفر له زنة عرشك ، واغفر له رضا نفسك برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا وباسمك الطاهر الأعظم أن تتقبل منا دعاءنا بقبولٍ حسنٍ ، وأن تجعله خالصًا لوجهك الكريم .
- اللهم إني أسألك له الدرجات العلى مِن الجنة ، وأنْ تجعله خالصًا لوجهك الكريم .

• الدعاء للوالدة (حال حياتها) بارك الله في عمرها :

• اللهم اشفها شفاء ليس بعده سقمًا أبدًا .
• اللهم خذ بيدها .
• اللهم احرسها بعينيك التي لا تنام ، واكنفها بركنك الذي لا يُـرام ، واحفظها بعزِّك الذي لا يُضام .
• اللهم ألبسها ثوبَ الصحة والعافية .
• اللهم اشفها بشفائك ، وداوها بدوائك ، واغنها بفضلك عمن سواك .
• اللهم اجعلها مِن الذاكرين لك ، الشـاكرين لـك ، الطـائعين لـك ، المنيبين لك .
• اللهم اجعل أوسع رزقها عند كبر سنها وانقطاع عمرها .
• اللهم اغفر لها جميع ما مضى من ذنوبها ، واعصمها فيما بقي من عمرها ، وارزقها عملاً زاكيًّا ترضى به عنها .
• اللهم تقبل توبتها ، وأجب دعوتها .
• اللهم إنا نعوذ بك أن تردها إلى أرذل العمر .
• اللهم اختم بالحسنات أعمالها .
• اللهم أعنَّا على برِّها حتى ترضى عنا فترضى .
• اللهم أعنا على الإحسان إليها في كبرها .
• اللهم ورضها علينا .
• اللهم ولا تتوفاها إلا وهي راضيةٌ عنا تمام الرضا .
• اللهم أعنَّا على خدمتها كما ينبغي لها علينا .
• اللهم اجعلنا بارين طائعين لها .

- اللهم ارزقنا رضاها ونعوذ بك من عقوقها .
- اللهم يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ندعوك باسمك الأعظم الذي إذا دُعيتَ به أجبتَ أن تبسط على والدتي من بركاتك ورحمتك ورزقك .
- اللهم ألبسها العافية حتى تهنأ بالمعيشة ، واختم لها بالمغفرة حتى لا تضرها الذنوب .
- اللهم اكفها كلَّ هولٍ دون الجنة حتى تُبَلِّغْها إياها برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم لا تجعل لها ذنبا إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا هي لك رضا ولها فيها صلاح إلا قضيتها .
- اللهم لا تجعل لها حاجة عند أحد غيرك .
- اللهم أقر عينها بما تتمناه لنا في الدنيا .
- اللهم اجعل أوقاتها بذكرك معمورةً .
- اللهم اجعلها في ضمانك وأمانك وإحسانك .
- اللهم ارزقها عيشًا قارًا ، ورزقًا دارًا ، وعملاً بارًا .
- اللهم حبِّب إليها الإيمان وزيِّنه في قلبها ، وكرِّه إليها الكفر والفسوق والعصيان .
- اللهم اجعلها أوفر عبادك حظًّا في الدنيا والآخرة .
- اللهم اجعلها من أوليائك وخاصتك الذين يسعى نورهم بين أيديهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
- اللهم اغفر ذنوبها ، واستر عيوبها .

- اللهم طهر قلبها .
- اللهم اجعلها مِن أوجه مَن توجه إليك وأحبك ورغب إليك .
- اللهم افتح عليها فتوح العارفين .
- اللهم أكرمها بالتقوى ، وجملها بالعافية ، واعف عنها برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم ارزقها الصحة والعافية .
- اللهم ارزقها القناعة والرضا .
- اللهم ارزقها حبَّك وحبَّ نبيك محمد ﷺ ، وحبَّ كل من يحبك وحبَّ كلَّ عمل يقربها إلى حبك .
- اللهم اجعلهًا ممن تواضع لك فرفعتها ، واستكانت لهيبتك فأحببتها ، وتقربت إليك فقربتها ، وسألتك فأجبتها .
- اللهم افتح لها أبواب رزقك الحلال من واسع فضلك ، واكفها بحلالك عن حرامك ، واغنها بفضلك عمن سواك .
- اللهم جنبها الفواحش والمحن والزلل والفتن ما ظهر منها وما بطن .
- اللهم سلِّمها مِن العلل والأوبئة والآفات .
- اللهم سلِّمها مِن شر الأشرار آناء الليل وأطراف النهار في الإعلان والإسرار ، واغفر لها يا غفار .
- اللهم منَّ عليها بصلاح الحال .
- اللهم عافها في بدنها وسمعها وبصرها وجوارحها .
- اللهم نزِّه قلبها عن التعلق بمن دونك ، واجعلها ممن تُحبهم ويحبونك .

- اللهم امنن عليها بما يصلحها في الدنيا والآخرة .
- اللهم اجعل له الذِّكر الجميل في الدنيا والآخرة ، وألبسها من ملابس الجمال والكمال الحُلَل الفاخرة .
- اللهم اجعلها في حفظك وكنفك وأمانك وجوارك وعياذك وحزبك وحرزك ولطفك وسترك من كل شيطان وإنس وباغٍ وحاسد .
- اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أتم على أمي الصحة والعافية ، واجعلها شاكرة لنعمتك ، وأتمها عليها يا رب العالمين .
- اللهم اغفر لي تقصيري معها ، واجعل ما أقوم به مِن أعمالٍ ترضاها كفارةً لي عن إساءتي إليها .
- اللهم أجرنا مِن العقوق ، واجعلنا ممن يقوم بالحقوق .
- اللهم ارزقها الجنة وما يُقرب إليها من قول أو عمل .
- اللهم باعد بينها وبين النار وبين ما يُقرب إليها من قول أو عمل .

• الدعاء للوالدة المتوفية (رحمها الله تعالى) :

- اللهم يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ندعوك باسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت ارزقها الجنة وما يقربها إليها من قول أو عمل ، وباعد بينها وبين النار وبين ما يقربها إليها من قول أو عمل .
- اللهم اغفر لأمي وارحمها ، وعافها واعف عنها ، وأكرم نزلها ، ووسع مدخلها ، واغسلها بالماء والثلج والبرد ، ونقها مِن الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض مِن الدنس ، وأبدلها داراً خيراً مِن دارها ،

وأهلاً خيرًا مِن أهلها ، وأدخلها الجنة بغير حساب ، وأعـذها مـن عذاب القبر .

- اللهم اجعل قبرها روضة مِن رياض الجنة ولا تجعلـه حفـرة مِـن حفر النار .
- اللهم مد لها في قبرها مد بصرها .
- اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور والفسحة والسرور .
- اللهم أفسح لها في قبرها ونور لها فيه برحمتك يا أرحم الرحمين .
- اللهم ثبتها عند السؤال .
- اللهم ثبتها عند السؤال .
- اللهم ثبتها عند السؤال .
- اللهم انقلها مِن ضيق اللحود والقبور إلى سعة الدور والقصـور في سدرٍ مخضودٍ ، وطلح منضود ، وظـل ممـدود ، ومـاء مسـكوب ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة مـع الـذين أنعمت عليهم مِن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .
- اللهم نور مرقدها ، وعطـر مشـهدها ، وطيـب مضـجعها ، وآنـس وحشتها ، ونفِّس كربتها ، وقها عذاب القبر وفتنته .
- اللهم إن أمى في ذمتك وحبل جوارك فقها فتنة القبر وعذاب النار .
- اللهم اغفر لها وارحمها إنك أنت الغفور الرحيم .
- اللهم إنها في ضيافتك فهـل جـزاء الضـيف إلا الإكـرام والإحسـان وأنت أهل الجود والكرم .
- اللـهم اسـتقبلها عنـدك خاليًـا مـن الـذنوب والخطايـا ، واسـتقبلها

بمحض إرادتك وعفوك وأنت راض عنها غير غضبان عليها برحمتك يا أرحم الرحمين .

• اللهم أدخلها بمنِّك وكرمك جنات النعيم .

• اللهم إني أسألك الفردوس الأعلى نزلاً لها .

• اللهم ابن لها بيتًا في الجنة واجعل ملتقانا هناك .

• اللهم اجعلها في بطن القبر مطمئنةً ، وعند قيام الأشهاد آمنةً ، بجود رضوانك واثقةً ، وإلى أعلى علو درجاتك سابقةً .

• اللهم اجعل عن يمنها نورًا ، وعن شمالها نورًا ، ومن أمامها نورًا ، ومن فوقها نورًا ، حتى تبعثها آمنةً مطمئنةً في نور مِن نورك .

• اللهم انظر إليها نظرة رضا ، فإن من تنظر إليه نظرة رضا لا تعذبه أبدًا .

• اللهم أسكنها فسيح الجنان ، واغفر لها يا رحمن .

• اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فإنك أنت الله الأعز الأكرم .

• اللهم اعف عنها فانك أنت القائل ﴿ **وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ** ﴾ .

• اللهم احشرها مع أصحاب اليمين .

• اللهم إنها كان تشهد أنك لا إله إلا أنت وأن محمدًا عبدك ورسولك ﷺ وأنت أعلم بها .

• اللهم ثبتها عند السؤال .

• اللهم إنا نتوسل بك إليك ونقسم بك عليك أن ترحمها ولا تعذبها .

• اللهم اجعلها مع ﴿ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

• اللهم اجعلها مع ﴿ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ .

• اللهم اجعلها في جنة الخلد ﴿ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ .

• اللهم انقلها من مواطن الدود وضيق اللحود إلى جنات الخلود ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ .

• اللهم ارحمها تحت الأرض ، واسترها يوم العرض ، ولا تخزها يوم يبعثون ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

• اللهم بشِّرها بقولك ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ .

• اللهم اجعلها من الذين سُعِدوا ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ .

- اللهم إنها خافت مقامك فاجعل لها جنتين ذواتي أفنان بحق قولك ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ .
- اللهم أنجز لها وعدك الذي وعدت في قولك ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ .
- اللهم بشرها بقولك ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ .
- اللهم يمِّن كتابها ، ويسِّر حسابها ، وثقِّل ميزانها ، وثبِّت على الصراط قدمها ، وأسكنها في أعلى الجنات في جوار نبيك ومصطفاك ﷺ .
- اللهم آمنها مِن فزع يوم القيامة ، ومن هول يوم القيامة ، واجعل نفسها آمنةً مطمئنةً ، ولقنها حجتها .
- اللهم احشرها مع المتقين إلى الرحمن وفدًا .
- اللهم احشرها في زمرة المقربين ، وبَشرها بروحٍ وريحانٍ وجنةِ نعيم .
- اللهم احشرها مع أصحاب اليمين ، واجعل تحيتها ﴿ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ .

- اللهم إنها صبرت على البلاء فامنحها درجة الصابرين الذين يوفون أجورهم بغير حساب .
- اللهم إنها كانت مُصليةً فثبتها على الصراط يوم تزلُّ الأقدام .
- اللهم إنها كان صائمة فأدخلها الجنة من باب الريان .
- اللهم إنها كانت لكتابك تالية فشفع فيها القرآن وارحمها من النيران ، واجعلها يا رحمن ترتقي في الجنة إلي آخر آية قرأتها أو سمعتها وآخر حرف تلته .
- اللهم أطعمها مِن الجنة ، واسقها مِن الجنة ، وأرها مكانها مِن الجنة ، وقل لها : ادخلي من أي باب تشائين .
- اللهم إنها أمتك بنتُ عبدك بنتُ أمتك تحتاج إلى رحمتك وأنت غنيٌّ عن عذابها فارحمها .
- اللهم ارزقها لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك .
- اللهم إن كانت من المحسنات فزد في حسناتها ، وإن كانت من المسيئات فتجاوز عن سيئاتها .
- اللهم اجعل ذريتها ذريةً صالحةً تدعوا لها بخير إلى يوم الدين .
- اللهم اسقها من حوض نبيك محمد ﷺ شربةً هنيئةً مريئةً لا تظمأ بعدها أبدًا .
- اللهم أظلها تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك .
- اللهم بيض وجهها يوم تبيضُ وجوه وتسودُ وجوه .

- اللهم يا باسط اليدين بالعطايا يا قريب يـا مجيـب دعـوة الـداع إذا دعاه يا حنان يا منان يا رب يا أرحم الراحمين يا بديع السـموات والأرض يا أحـد يا صمد أعطهـا مـن خـير مـا أعطيـت بـه نبيـك محمد ﷺ عطاءً ماله من نفاد من مالك خزائن السماوات والأرض عطاءً عظيمًا من ربٍّ عظيمٍ ما له من نفاد ، أنت له أهل عطاءً يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك .
- اللهم يا جامع الناس إلى يوم لا ريب فيه اجمعها بنبينا محمد ﷺ كما جمعت بين الروح والجسد .
- اللهم اغفر لها حتى لا يبقى من المغفرة شيء .
- اللهم ارحمها حتى لا يبقى من الرحمة شيء .
- اللهم ارض عنها حتى لا يبقى من الرضا شيء .
- اللهم اغفر لها عدد خلقك ، واغفر لها مداد كلماتك ، واغفـر لهـا زنة عرشك ، واغفر لها رضا نفسك برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم إني أسـألك بأسمائـك الحسـنى وصـفاتك العليـا وباسمـك الطاهر الأعظـم أن تتقبـل منـا دعاءنـا بقبـولٍ حسـنٍ ، وأن تجعلـه خالصًا لوجهك الكريم .
- اللهم إني أسـألك لهـا الـدرجات العلَـى مـن الجنـة ، وأن تجعلـه خالصًا لوجهك الكريم .
- اللهم حطِّ عنها ثقل الأوزار ، وهب لها بالقرآن شمائل الأبرار .

- اللهم اجعلها في مقام من قاموا لـك بـالقرآن آنـاء الليـل وأطـراف النهـار ؛ حتـى توجـب لهـا غفرانـك وجزيـل إحسـانك ومواهـب صفحك ورضوانك .
- اللهم لا نزكِّها عليك ، ولكنَّا نحسبها أنها آمنـت وعملـت صـالحًا في حياتها ، وحمدتك في شدتها ، وشـهدت أن لا إلـه إلا الله وأن محمدا رسول الله عند وفاتها .
- اللهم إنها جـاءت ببابـك ، وأناخـت بجنابـك فَجُد عليهـا بعفـوك وإكرامك .
- اللـهم لا تحرمنـا أجرهـا ، ولا تفتنـا بعـدها ، واغفـر لنـا ولهـا ، واجمعنا معها في جنات النعيم يا رب العالمين .

الخاتمة

ليس هناك أوجب على الإنسان بعد حقِّ الله تعالى وحقِّ رسوله ﷺ مِن حقِّ الوالدين ؛ لذلك أمر الله ببرهما ونوه بفضلهما في القرآن الكريم ، وقرَنَ ذلك بعبادته وطاعته فقال تعالى : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ** ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاثًا ، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا ، فَقَالَ : أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ ، قَالَ : فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَه سَكَتَ » .

أيها القارئ الكريم : هذه هي مكانة الوالدين في ديننا ، وهي الأواصر الطيبة التي تؤكدها نصوص الكتاب والسنة ، وقد تُرجِمت إلى واقعٍ حيٍّ في سيرة السابقين ، والأجيال التالية على مرِّ التاريخ ، إلا ما أفسدته الثقافات الوافدة عند الذين ينعقون بمبادئها .

وختامًا : نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يبرون آباءهم ويبرهم أبناؤهم ، ونسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لكل ما يرضي آباءنا وأمهاتنا ، وأن يسخرنا لرضاهما ، وأن يجعل طريقنا إلى رضاء الله مِن رضاهما ، ونسأله سبحانه وتعالى أن يحسن ختام مَن بقي لهم مِن آبائهم وأمهاتهم ، ونسأله عز وجل أن يبعدنا ويجنبنا عن كل ما يسخطهما أو يسيء إليهما ، إنَّه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير .

آمين يارب العالمين .

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي .
- أحكام القرآن للكيا الهراسى ، عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي .
- أخبار النساء ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي .
- الآداب الشرعية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي .
- أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، تحقيق : مصطفى السقا ، بيروت ، ١٩٧٨م .
- الأدب المفرد ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط.٣ ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .
- أسباب النزول ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م .
- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، دار الفكر ، بيروت، ط.٢ .
- أنوار البروق في أنواء الفروق ، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ، تحقيق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م .

- أيسر التفاسير ، أسعد حومد .
- بر الوالدين : مفهوم ، وفضائل ، وآداب ، وأحكام في ضوء الكتاب والسنة ، دكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني .
- بر الوالدين ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي .
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حنبكة الميداني ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، أبو الفيض محمد بن محمد ابن عبد الرزاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي .
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، أبو العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- تخلِّي الأبناء عن الوالدين ، دراسة اجتماعية على المسنِّين المقيمين بدور الرعاية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية ، عبد الله بن ناصر ابن عبد الله السدحان ، الرياض ، ١٤٢١هـ .
- تذكرة شباب الإسلام ببر الوالدين وصلة الأرحام ، عبد الله بن جار الله الجار الله .
- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .
- تفسير الشعراوي ، الشيخ محمد متولي الشعراوي ، دار أخبار اليوم ، القاهرة .
- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط.٢ ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
- التفسير الوسيط ، دكتور : محمد سيد طنطاوي .

- تهذيب الأسماء واللغات ، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .
- تهميش الوالدين في حياتنا ، موسى بن محمد بن هجاد الزهراني ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٦هـ .
- التوابين ، ص ٢٤٠ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣م .
- جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط.١ ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .
- حاشية السندي على صحيح البخاري ، أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي المدني الحنفي ، دار الفكر ، بيروت .
- حق الوالدين على الأبناء ، يحيى بن موسى الزهراني ، المملكة العربية السعودية .
- الخلاصة في أحكام بر الوالدين ، علي بن نايف الشحود ، دار المعمور ، ماليزيا ، ط.١ ، ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م .
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، محمد علي بن محمد بن علان ابن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي .
- ديوان أبي العلاء المعري .
- ديوان أبي القاسم الشابي .
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب .
- ديوان معروف الرصافي .

- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي .
- سبل السلام شرح بلوغ المرام ، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط.٤ ، ١٣٧٩هـ ، ١٩٦٠م .
- سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت .
- سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .
- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، حسين أسد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط.٩ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .
- شرح صحيح البخاري ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط.٢ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط.٢ ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .
- صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : دكتور مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط.٣ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- صفة الصفوة ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، تحقيق : محمود فاخوري ، دكتور محمد رواس قلعه جي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط.٢ ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .
- العاقبة في ذكر الموت ، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي ، تحقيق : خضر محمد خضر ، مكتبة دار الأقصى ، الكويت ، ط.١ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد ابن علي بن محمد الشوكاني .
- فقه الأدعية والأذكار ، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، الكويت ، ط.٢ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، ضبطه وصححه : أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط.١ ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .
- القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا ، سعدي أبو جيب ، دار الفكر ، دمشق ، ط.٢ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
- قصص مؤثرة للشباب ، أحمد سالم بادويلان .
- الكبائر ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين ، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- المجتبى من السنن ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط.٢ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .
- مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق : أنور الباز ، عامر الجزار ، دار الوفاء ، ط.٣ ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .
- المجموع شرح المهذب ، محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : محمود مطرحي ، دار الفكر ، بيروت .
- المحاسن والمساوئ ، إبراهيم بن محمد البيهقي .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، أبو القاسم حسين ابن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني .
- المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط.١ ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م .
- مسند أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة .
- مصنف ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط.١، ١٤٠٩هـ .
- معجم الفروق اللغوية ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مهران بن أحمد البغدادي أبو هلال العسكري .

- مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط.١ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا يحيى بن شرف ابن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط.٢ ، ١٣٩٢هـ .
- الموسوعة الفقهية الكويتية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، ط.١ ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .
- موطأ الإمام مالك ، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي ، تحقيق : دكتور تقي الدين الندوي ، دار القلم ، دمشق ، ط.١ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩١م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ،أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .
- وبالوالدين إحسانا ففيهما جاهد ، منير عرفة .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد ابن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط.١ ، ١٩٩٤م .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

رَبِّ ارْحَمْهُمَا

هذا الكتاب

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ صدق الله العظيم (الإسراء : ٢٣-٢٤) .

- لقد قست الحياة على الكثير من الناس وأصبحوا لا يعرفون الرحمة ولا البر فيما بينهم ، ومن مظاهرها عقوق الوالدين ـ نعوذ بالله منه ـ وأصبحنا نسمع ونقرأ الكثير عنها .
- وهذا الكتاب تحية طيبة مباركة من عند الله ليس لأحد بعد الله فيه فضل ، فإن وقع كتابي بين يديك وأبواك أو أحدهما على قيد الحياة ، فأنت محظوظ لأنهما بمثابة باب من أبواب الجنة ، فحافظ عليه واغتنمه . أما إن كنت مسكينًا مثلي ؛ فقدتهما أو أحدهما فاعلم أن هذا أوان البكاء والتصدق والدعاء . والمؤلف ليس له أجر من هذا العمل إلا دعوة صادقة بظهر الغيب له ولوالديه .
- ومؤلف الكتاب ـ من علماء الأزهر الشريف ـ واسع الأفق ، غني عن التعريف ، له من ماضيه وحاضره في مجال الدعوة الإسلامية ما يحقق للقراء حسن ظنهم فيما يكتب .
- ويسر مكتبة وهبة أن تقوم بنشر هذا الكتاب الذي يعالج قضية من أخطر القضايا .. فبادر بشرائه وتوزيعه صدقة على والدينا وتذكيراً لأولادنا حتى يعرفوا ما معنى « **رب ارحمهما ـ بر الوالدين والدعاء لهما** ».

ومن الله نستمد العون والتوفيق

مكتبة وهبة